

«المسيحيّون في الجزيرة العربيّة»

(من القرن الرابع حتى القرن الثالث عشر م)



«الكنوز المخبّأة والتاريخ المطموس»

الخوري جوزف ضو

«أَلمسيحيّون
في الجزيرة العربيّة»

(من القرن الرابع حتى القرن الثالث عشر م)

«الكنوز المخبّأة والتاريخ المطموس»

الخوري جوزف ضو ضو
تلفون : –

إن المراجع الكتابيّة مأخوذة من الكتاب المقدّس
طبعة جمعيّة الكتاب المقدّس
طبعة أولى
٢٠١٤

"صورة الغلاف...[1]"

شرح ومعاني

إنها كنيسة "الجبيل الأثرية" في السعوديّة،

وهي كانت مطموسة وسط الكثبان الرملية،

وقد حدّد علماء الآثار أن تأسيسها يعود إلى القرن الرابع ميلادي...

وقد تكون واحدة من أقدم الكنائس التي بنيت في تاريخ المسيحية،

لأنه قبل أواسط القرن الرابع ميلادي،

لم تكن قد بنيت بعد في كل الامبراطورية الرومانية أي كنيسة،

لأن المسيحيين كانوا مضطهدين وموجودين بالسرّ...

وهي كنيسة نسطورية...

ما زالت فيها عدة صلبان صخريّة عند المدخل،

وعلى الأعمدة الداخلية...

"أما من وجدها؟ وأين؟"

وجدها بطريق الصدفة رجل أميركي وزوجته،

بعد أن انحرفت سيارتهما خارج الطريق،

فلاحظا أنه تحت الدواليب توجد أحجار وبناء...

وبمساعدة عدد من العمال الأجانب العاملين في قطاع النفط،

اكتشفا أن البناء هو كنيسة بسبب الصلبان الموجودة على أعمدتها وفي داخلها...

وإن المنطقة التي اكتشفت فيها هذه الكنيسة،

أي ضواحي مدينة الجبيل، التي تقع في شرق السعودية حالياً...

---

(١) Google - Saudi Arabia›s Christian Legacy - Historical Jubail

وكانت تقع قبل مجيء الاسلام ضمن النطاق الجغرافي

لما عُرف بمنطقة "بيت قطرايي" في السريانية

أو "القطر البحري" بالعربية. . .

وهي منطقة كانت تمتد مساحتها الجغرافية من الكويت شرقاً،

وصولاً إلى الاحساء (في السعودية حالياً) شمالاً،

وحتى أقصى (سلطنة) عمان غرباً. . .

وإن القديس إسحق العلاّمة العربي المسيحي والقطري،

الذي عاش في القرن السابع ميلادي،

والمعروف بالسرياني كونه كتب بالسريانية. . .

والذي كان يملك موهبة فريدة في الكتابة عن المواضيع الروحية المسيحية،

وهو من أكبر المعلمين الروحيين في الشرق والغرب على مرّ الأجيال. . .

كان ينتمي إلى هذه المنطقة الجغرافية كما سنرى،

وقد وَضَعت صورة هذه الكنيسة كغلاف لهذا الكتاب الفريد والشيّق. . .

رمزاً لتاريخ عربي مسيحي قديم ومطموس،

عرفته الجزيرة العربية حتى فترة لاحقة لحروب الردّة. . .

ولأشير إلى واقع تواجد كنيسة حيّة وسرية،

في السعودية وباقي مناطق الخليج العربي حالياً. . .

فلله الواحد المثلث الصفات، الآب والكلمة والروح،

كل العبادة والشكر على عمله الخفي. . . آمين

الفهرس

«كلمة المؤلّف»...

هذا الكتاب هو فتح تاريخي وروحيّ، إخترق عدداً من العوائق التي مرجعها تصورات خاطئة وكتابات أسطوريّة في بعض جوانبها، لأنها تحمل وجهة نظر أحادية الجانب، وتبغي طمس حقيقة الوجود المسيحي في شبه الجزيرة العربية مع مجيء الاسلام كما أنها موتورة لأنها صادرة عن عقول متعصّبة، سَعَت إلى قلب الحقائق وإظهار عقيدتها بمظهر الصلاح الوحيد مبررةً السبي والاخراج من الديار وحزّ الرقاب، باسم الله والدين، وإن الحقّ الالهي من كل هذا براء...

مادة هذا الكتاب تستند إلى مادة تاريخيّة نادرة وقويّة الجذور، كانت حتى هذه اللحظة معروفة من ندرةٍ من المستشرقين وندرةٍ من الكتّاب المسيحيّين العرب، الذين لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة... لما في الكتابة في هذا المجال من بحثٍ مضنٍ وندرةٍ في المراجع ومخاطر...

في كتابي هذا سألقي الضوء على حالة المسيحيّين العرب في الجزيرة العربيّة قبل الاسلام وبعده أي لغاية القرن الثالث عشر... وما يشكّل مفاجأة في سلسلة هذه الكتب التاريخية التي كتبتها، هو قوّة هذه المصادر التي نبشتها، وهي تؤكد مدى إنتشار المسيحيّة في الجزيرة العربيّة والمصير الذي آلت إليه الجماعات المسيحيّة مع حروب الردّة وعبر القرون اللاحقة، إضافة إلى إظهاري لوجود ممالك مسيحيّة عربيّة في الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، وقد أبيدت إبادة تامّة بمجيئه، مملكة كندة في دومة الجندل، مملكة كندة في حضرموت، مملكة الغساسنة في الشام ومملكة المناذرة في العراق...

وإني أكتب في هذا المجال الشيّق والمنسيّ، لكي أحرّك في ضمير كل مسيحيّ عربيّ وكل باحث عن الحقيقة الإيمانيّة، ألشوق للتبشير بالمسيح والسعي إلى نشر معرفة الله الحقيقيّ، المثلّث الصفات، الله والكلمة والروح، وخاصةً في الجزيرة العربيّة، وبلاد المشرق العربيّ...

وإني على ثقة بأن الروح القدس، الإله من إله، والذي يعمل بكل قوّة وقدرة وخاصةً في بلاد التصحر والجدب الروحي. سيوصل هذا الكتاب كما أوصل كتبي الروحية والتاريخية السابقة من خلال الخدّام والمؤمنين الغيورين على بيت الرب، إلى بلاد اليمن والسعوديّة والكويت وفلسطين والأردن وسوريا والعراق ومصر وفرنسا والسويد وبلجيكا والولايات المتحدة وأوستراليا ونيوزيلندة وحول العالم كلّه بطرقه الأغرب من الخيال...

فلله والكلمة والروح الإله الواحد الحقيقي...
كل العبادة والسجود إلى الأبد...

خادم الرب
الخوري جوزيف ضو

١٩ آذار ٢٠١٤

تاريخ المسيحيّة في الجزيرة العربيّة

منذ القرن الأول للميلاد

إنتشرت المسيحيّة بين القبائل العربيّة في داخل الجزيرة العربيّة وبين أطرافها، منذ القرن الأول ميلادي. فإن العلاّمة مار افرام السرياني[١] المتوفيّ سنة ٣٧٣ م ومار يعقوب الرهاوي يؤكّدان أنّ «الخصيّ الذي عمّده الرسول فيلبس» (أعمال الرسل ٨/ ٢٦ - ٤٠) كان وزيراً لملكة سبأ[٢] لا ملكة الحبشة، وبلاد سبأ هي بلاد اليمن، وعرفت أيضاً عبر التاريخ بـ«الهند»[٣]، و«الحبشة» لاستيلاء ملوك الحبشة عليها لمدّة طويلة، فقد سمّى المؤرخون القدماء الشعوب الداكنة اللون في جنوب الجزيرة العربيّة بالهنود، وهذا ما نراه عند القديس إيرونيموس الذي يسمّي رهبان اليمن، «برهبان الهند»...

وما يلفت النظر لدى الباحث في تاريخ الممالك القديمة التي تواجدت في وسط الجزيرة العربية وجنوبها، أنّ مملكة كِندة قامت بين مملكة سبأ (أو حِمَير) ومملكة المناذرة، والتي امتدّت من حدود نجران لتملك على الحجاز وصولاً إلى تخوم الحيرة. وإن هذه المملكة الكندية كانت قائمة قبل الميلاد وقد ظلّ قسمٌ منها موجوداً لغاية حروب الردّة. فالمراجع الاسلامية كالمؤرّخ إبن الأعثم (القرن ١٠) تشير إلى أنّ مملكة كندة التي كانت قائمة في حضرموت (اليمن) تمّ القضاء عليها من خلال جيش المسلمين بقيادة علاء الحضرمي سنة ٦٣٤ م، أما مملكة كندة المتواجدة في دومة الجندل في شمال الجزيرة العربية فقد قضى عليها خالد بن الوليد سنة ٦٣٦ م، وإنّ ملوك هذه الممالك وسكانها كانوا كلّهم يدينون بالديانة المسيحيّة.

---

(١) مار افرام في ميمر اللؤلؤة.

(٢) كتاب الدرر النفيسة - ص ٢١١ - ٢١٢.

(٣) هكذا سمّاها أوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي ٥/ ١٠.

وقد أثبت علماء الآثار والمستشرقون الغربيّون(٤) وجود مملكة كندة في فترة سابقة للميلاد، وأكّدوا علوّ شأنها ومدى حضارتها وارتباطها بعلاقات تجارية ومعاهدات سياسيّة مع الامبراطورية الرومانية، وبدءاً من القرن الرابع مع الامبراطورية البيزنطية المسيحيّة، ويؤكدون أنّ الملوك الكنديين وقبائلهم في معد ونجد وحضرموت دانوا بالديانة المسيحيّة.

والغريب في الأمر أنّ علماء الآثار وجدوا أنّ مملكة كندة سمّيت بالعربيّة كندة، أما في الرقوم الأثرية المكتوبة باللغة السبئيّة (الحِمَيرية) فقد سُمّيت مملكة «كدّت»، فهل يُعقل أنّ لُقب «كنداكة» الوارد في أعمال الرسل «كنداكة» (أعمال ٨/ ٢٧). . . «ملكة الحبشة» والذي لا يعرف علماء اللغات تحديده، هل هو لقب أم إسم علم؟ أن يكون جمع للتسميتين العربية والسبئيّة. . «كندا – كِدّت»، مع الإشارة إلى أنّ ملوك كندة حكموا أيضاً قسماً من اليمن (وصاهروا ملوكها) التي لُقّبت بالحبشة، فهل يُعقل أنّ كلمة «كنداكت» اليونانيّة التي استعملها القديس لوقا كاتب أعمال الرسل هي تصغير أو جمع للإسمين سويةً اللذين عُرفت بهما مملكة «كندة – كِدّت(٥)».

إنّني أطرح هذا التساؤل وبشكل فرضيّ محض؟ لأنّ ثقافة الخصيّ كبيرة والكنديّون عرفوا بثقافتهم وعلمهم، ومثالنا في ذلك أمرؤ القيس والأمير عبد المسيح الكندي، والطريق التي اتخذها «من أورشليم إلى غزّة وهي مقفرة» (أعمال الرسل ٢٦/٨) تشير إلى الطريق التجارية والدولية التي كانت تعبر من غزّة (الواقعة في الامبراطورية الرومانية) باتجاه وسط الجزيرة العربية حيث

(٤) أنظر ما كتبته المستشرقة الروسية نينا فيكتورفنا بيغوليفسكيا في كتابها ألعرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي – وهذا الكتاب – المرجع التاريخي "الثقة" – أشرف على طبعه قسم التراث العربي في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لدولة الكويت. وأيضاً كتاب ملوك كندة للمستشرق السويدي ج. اولندر.

(٥) أنظر كتاب العرب على حدود بيزنطة وإيران – ص ١٧٧.

تقع مدينة الفاو عاصمة مملكة كندة[٦] (والتي اكتشفها المستشرق وعالم الآثار جون فيلبي سنة ١٩٠٨، وهي بطول ١٧٠٠ متر وعرض ٧٠٠ متر، وهي تضم قصر الملك ومعابد مسيحيّة وأبنية تتجاوز الطوابق الست بحسب تصوير الأقمار الاصطناعية مع العلم أن السلطات السعودية منعت التنقيب عن هذه المدينة المطمورة، أنظر واندهش إلى الفيلم الوثائقي الذي وضعته دائرة الآثار في جامعة الملك سعود الرياض بعد أن منعتها السلطات السعودية من اكمال عمليات التنقيب فيها – Youtube – الفاو عاصمة مملكة كندة) وبالقرب منها تقع مدينة نجران التاريخية التي كانت مركزاً صناعياً ودينياً مسيحياً مزدهراً لغاية حروب الردّة حيث قام عمر بن الخطاب بتهجير غالبية سكانها إلى العراق والشام سنة ٦٣٥ م ومنها كانت تكمل القوافل التجارية سيرها باتجاه الجنوب.

وما يؤكّد انتشار المسيحيّة في مملكة كندة التي بسطت سلطتها من حدود نجران غرباً مروراً بمنطقة نجد (الحجاز) وصولاً إلى الحيرة عاصمة مملكة المناذرة هو ما ذكره المؤرخ الشهير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفي سنة ٣١٠ هـ) في كتابه تاريخ الرسل والملوك، إذ يقول:

«(الملك) عمرو بن حجر الكندي، كان سيّد كندة في زمانه... وكان ذا رأي ونبل (أي أنه يتخلّق بأخلاق الانجيل المقدس)، وكان – فيما ذكروا – على دين النصرانية الأولى (أي كان يؤمن بإيمان الكنيسة الجامعة)، وكان يُسر ذلك من قومه..»[٧].

وهكذا ندرك أنّ «يُسر... قومِه»..
أي أنّ غالبية الشعب في منطقة نجد والحجاز
كانوا على دين النصرانية الأولى...

---

(٦) فطريق القوافل كانت تمرّ عبر الفاو فنجران، فعدن وليس إلى الحبشة، أي مملكة إيكسوم.
(٧) الطبري تاريخ الرسل والملوك – جزء ٢ – ص ٩٢ – دار الفكر.

أما في أي زمن؟

وإلى أين امتدّ حكم هؤلاء الملوك الكنديون المسيحيون؟

فالطبري يشير إلى أنّ مُلك الملك الحارث إبن الملك عمرو الكندي المسيحي، قد امتدّ: «إلى بلاد معد (وسط الحجاز) والحيرة وما والاها»[٨]

(أي إلى البحرين التي كانت تمتد يومها من منطقة الاحساء شرق السعودية حالياً، وصولاً إلى الكويت والبحرين والامارات وقطر ومازون أي عمان).

والمثير في الأمر، أنّ الطبري يذكر أيضاً الزمن التاريخي الذي كان فيه ملوك كندة حكّاماً على الحجاز وعلى دين المسيحية، هُم «ويُسر من قومهم» أي أن غالبية شعبهم كانوا مسيحيين، إذ يشير إلى: «أنّ الملك حارث بن عمرو بن حجر الكندي (مَلَك على) بلاد معد والحيرة وما والاها في زمن (الملك الفارسي) بهرام (الخامس) بن يزدجرد الأول»[٩].

وبالعودة إلى قائمة ملوك الساسانيين (الفرس) التي حدّدها عالم الآثار الشهير سيدني سميث (Sidney Smith)، نجد أنّ «الملك بهرام الخامس بن يزدجرد الأول قد حكم سنة ٤٢٠م»[١٠].

وهكذا نصل إلى حقيقةٍ تاريخيّةٍ مطموسة، ومجهولة وهي:
أنّ ملوك كندة ويُسرٍ قومهم في الحجاز (السعودية حالياً)
واليمن وحضرموت
كانوا قد اعتنقوا الديانة المسيحية قبل القرن الرابع بكثير..

إنّ في كل ما ذكرت من تساؤلات، وما وجدناه من حقائق مذهلة،

(٨) المرجع نفسه – ص ٩٢ – ٩٣.

(٩) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك – الجزء الثاني – قصص الملوك – ص ٩٣ – دار الفكر.

(١٠) كتاب العرب على حدود بيزنطة وإيران – للمستشرقة الروسية نينافيكتورفنا بيغوليفسكيا – ص ١٤٨ – ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم – طباعة قسم التراث العربي في المجلس الوطني للثقافة – دولة الكويت.

دلائل تشير إلى مدى انتشار الديانة المسيحية في وسط الجزيرة العربية
وبلاد اليمن والحيرة وما والاها (أي منطقة البحرين)
في فترة سابقة للقرن الرابع بكثير.

أضف إلى ذلك وجوب أخذنا بعين الاعتبار حقيقة أنّ الجزيرة العربية لم تكن أيضاً بمعزل عن التيارات الفكرية الخارجيّة، سواء عن طريق التبشير بدخول النساك والرهبان الذين انتشرت صوامعهم في قلب الصحراء، أوعن طريق التجار السريان والبيزنطيين، أو بحكم الجيرة مع عرب الحيرة وغسّان...

أضف إلى ذلك أن الصحراء كانت ملجأ لمن فرّ من إضطهاد أباطرة الرومان الوثنيين، الذين عانى منهم المسيحيّون الأمرّين إلى أن استلم الحكم الامبراطور قسطنطين وأعلن المسيحيّة دين الامبراطورية الرومانية سنة ٣٣٢ م، ولكن مع تعاظم المعارك المتواترة والغزوات التي كان يشنها الفرس على بيزنطة ونشوء البدعة النسطورية، وجد الفرس في النسطورية وسيلة لمحاربة الكنيسة الجامعة.

ويؤكّد المؤرخ القديس أبيفانيوس هذه الوقائع فيقول: «(الجزيرة) العربية موطن ألبدع» الهاربة من الدين المسيحي القويم الذي دانت به الامبراطورية الرومانيّة، فالكنيسة الجامعة العالمية حافظت على وديعة الإيمان الصحيح الذي استلمته من الكلمة الأزلي له المجد، بعد أن أعطاه إلى الرسول بطرس وباقي الرسل والذين أورثوه بدورهم وسلّموه إلى الباباوات والبطاركة المتعاقبين.

بعد هذه المقدّمة الشيّقة يمكننا القول أن الديانة المسيحيّة دخلت إلى الجزيرة العربية منذ أول ظهورها، لأن الكلمة الأزلي (نطق الله المتجسد) له المجد كان قد أرسل إلى أرض الحجاز أحد رسله الاثني عشر وهو القديس برثلماوس(١١).

---

(١١) برثلماوس: كلمة آرامية مع نهاية يونانية للإسم: "بار" يعني إبن، و"ثلما" نسبه، و"وس" نهاية يونانية للكلمة.

وهذا ما أكدته السيرة النبوية لإبن هشام[١٢]: «وبُعثَ من الحواريين. . . إبن ثلما إلى الاعرابية وهي أرض الحجاز».

كما يخبرنا بولس الرسول وهذا ما قد يفاجئ غير المطّلع على الانجيل المقدّس، بأنّ أول رسالة قام بها، بعد ظهور المسيح عليه ودعوته له لتبشير الأمم، هي في الإعرابيّة (غلاطية ١/ ١٧)، ديار العرب من الشمال حتى الحجاز[١٣].

المسيحيّة في الحجاز

تصوّرات خاطئة:

يقول الكاتب السعوديّ صلاح الدين المختار في كتابه «تاريخ ألمملكة العربيّة السعوديّة»:

«لقد كانت الديار النجديّة (منطقة نجد) قبل مبعث النبي محمداً مقراً للجهل والضلال، وموطناً للجور والظلم، ومسرحاً للحروب والقتال والنهب والسبي. حتى بعث الله النبي محمد، فنشر الأمن والسلام والحب والعدل في أرجاء الجزيرة، بما للدين من سطوة قاهرة، واستأصل ما في هذه الديار المترامية الأطراف من شرك وكفر ووثنيّة وإلحاد».

في الحقيقة إن ما ذكره هذا الكاتب
يعبّر عن الشائع من الأفكار التاريخيّة والدينيّة المغلوطة، القائلة:
بأن الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، كانت أرضاً «بوراً»

(١٢) (٤/ ٥٥).
(١٣) المؤرخون العرب يرون في العربية "أرض الحجاز" إبن هشام - ٤/٢٥٥ ، وإبن خلدون ٢/ ١٥٠، والطبري ١/ ٧٣٨.

من العلم والثقافة،
فلا وجود لحضارةٍ سابقةٍ فيها،
وأن لا وجود للتوحيد المسيحيّ فيها،
كما لا أديرة للرهبان في ربوعها أو كنائس . . .
وهذا أمر مخالف للحقائق التاريخيّة التي أثبتها
علماء الآثار الغربيون والكشوف الأثرية
وما تؤكده أيضاً المراجع العربيّة النسطوريّة والحوليّات البيزنطية،
ومعركة اليمامة (جنوب نجد) التي جرت بين أهل نجد وجيش المسلمين . . .

المسيحيّة في الحجاز

والديانة المسيحيّة وجدت في مدن الحجاز قلوباً تقبلتها بالترحاب، فهناك عدّة قبائل عرفت بإيمانها بدين الكلمة الالهي كطيء وكندة وبطونها كالسكون والسكاسك. وإبن هشام يشير إلى أن محمداً رسول المسلمين يوم كان مستضعفاً بعد وفاة خديجة مباشرة حين لم يكن قد استعمل بعد السلاح ولم يكن لديه عدّة (سيوف وحراب) ورجال، إذ لا إكراه في الدين . .

فقد دعا «محمد» قبيلة كندة المسيحيّة في الحجاز إلى الإسلام ورفضت، إذ يقول: «أتى (رسول المسلمين) كندة في منازلهم، وفيهم سيد لهم (ملكٌ عليهم) يقال له: مُلَيح . . . فعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه»[١٤].

«كما أنه أتى كَلباً (أي قبيلة كَلب المسيحية) في منازلهم، إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله . . . وعرض عليهم نفسه، (حتى إنه قال) ليقول لهم: «يا بني عبد

---

(١٤) السيرة النبوية – إبن هشام ص ٢٨٦. المجلد الأول – تحقيق الدكتور سهيل زكّار – دار الفكر.

الله، إن الله عزّ وجلّ قد أحسن إسم أبيكم، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم»[١٥].

نعم، إن إسم عبد الله والد هذا البطن من قبيلة كَلب المسيحيّة،

يشير إلى إيمانهم بالله. . الواحد الأحد. .

لكنهم رفضوا محمداً بن عبد الله الذي يعرض عليهم نفسه

لأنهم لا يؤمنون سوى بالله الأحد المثلث الصفات

ولا يَدعون أحداً معه، في سجدات صلاتهم أو في معابدهم. . .

وإلى مدينة الطائف ألحجازية وهي على مسيرة يوم من مكّة،

إنتمى الشاعر المسيحيّ أميّة بن أبي الصلت.

وفي عكاظٍ التي كان يجتمع في سوقها الوافدون من مختلف قبائل العرب،

خَطَب (أي وعظ) القس بن ساعدة أسقف نجران كما رووا.

وجاء في تقويم قديم للكنيسة النسطورية والذي طبعه الخوري بطرس عزيز الكلداني[١٦]، أن النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من أهل دينهم، وهذا طبيعي فلا تبنى كنيسة أو دير في منطقة مقفرة من المؤمنين ومن الاهتداءات، وقد وجدت أديرة للرهبان المسيحيين في بلاد الحجاز، كدير سعد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيء.

مسيحيّة قبائل نجد

أما مسيحيّة قبائل نجد، فهو أمر تاريخي مؤكد، قبل أن يستعمل علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد أقطع الأدلة الإلهية على صحة الإسلام، أي حز الرقاب بالسيف، ليُدخِلوا أهلها في الاسلام. وعن ذلك يقول المستشرق وعالم الآثار

---

(١٥) السيرة النبوية – إبن هشام.

(١٦) أنظر بالتفصيل كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية – للأب لويس شيخو، منشورات دار المشرق – بيروت – ص ١٢١.

الإنكليزي بلغراف، وتحديداً عن بلاد الجوف، في كتابه «رحلة إلى جزيرة العرب»:

«إن أهل الجوف لا يعرفون عن أصلهم وتاريخهم إلاّ القليل لكن التقاليد المحليّة تزعم أن تلك البلاد كانت قبلاً تدين بالمسيحيّة وأن أنصار النبي كعلي وخالد بن الوليد إضطروا إلى إستعمال أقطع الأدلة أي السيف ليدخلوا أهلها في الإسلام».

وقال في محل آخر ص ١١١: «قبل الإسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة راتعة في بحبوحة السلام الذي فقدته بعد ذلك. وكان أكثرها يدين بالمسيحيّة بل يرجّح أنها حفظت دينها بعد الإسلام إلى أن أجبرها أحد خلفاء الأمويين على إعتناق الإسلام»(١٧). وقد ذكر أسماء القبائل المسيحيّة العربيّة التي سكنت نجد فيقول: «إن عرب نجد قبل الإسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيء»(١٨).

وهذه القبائل كانت معروفة بمسيحيتها منذ القِدم. وقد لقي ذلك السائح هناك عدّة آثار وأبنية سمع الأهلين ينسبونها إلى قدماء المسيحيين من جملتها بير شقيق الذي نزل بقربه.

وإن كلام هذا الرحّالة ليس حديث خرافة بل تؤيد روايته الآثار القديمة التي إطّلع عليها علماء الآثار، والذين منعوا منذ ثمانينات القرن الماضي، من القيام بأي بحث أثري في المملكة العربية السعودية.

ولكن رغم محاولات طمس الحقائق منذ أيام عمر بن الخطاب وحتى اليوم، إلا أنه ومن خلال كثرة المطالعة والبحث في المراجع الإسلامية القديمة،

(١٧) إسم الكتاب في الفرنسية: palgrave: voyage dans l'arabie central 1، page 111 ، وهذا المرجع يعود إلى سنة ١٩٠٠، ويمكن الاطلاع عليه في مكتبة مركز الرئيس بومبيدو في باريس.

(١٨) المرجع ذاته ص ٨٤.

يمكننا الوصول إلى بضعة خيوط تساعدنا، على تبيان الحقيقة الضائعة، عن مدى إنتشار المسيحيّة في بلاد الجزيرة، فالحجاز كان خاضعاً لملوك كندة المسيحيين، إلى فترة سابقة وغير بعيدة من مجيء الإسلام، وإن عدم وجود سلطة مركزية (أي ملك) يحكم على بلاد الحجاز ويضبط العباد، أدّت إلى ادّعاء كُثر النبوة في تلك الفترة التاريخية، وإن الفرصة سنحت لمحمد رسول المسلمين لكي ينجح عبر السيف والسبي والحرب باسم الدين في توحيد تلك البلاد سياسياً في حياته ثم أجبرت قبائل الجزيرة العربية على توحيد معتقدها بالإكراه أي بالجزية وبحز الرقاب بالسيف بعد وفاته وهذا ما توصل إليه جزئياً أيضاً الدكتور الأستاذ سهيل زكار فيشير إلى أنّ من أسباب نجاح رسول الاسلام في نشر عقيدته: «أن الحروب المستعرة (والدائمة) بين (مملكة) الفرس و(امبراطورية) الروم الشرقيين وزوال مملكة كندة، وتمزق مملكة يكسوم (أي الحبشة التي كانت تحكم اليمن) وانهيار كل من (مملكة) الغساسنة و(مملكة) المناذرة منح الفرصة للنبي ص. للعمل داخل شبه الجزيرة العربية دونما خشية من تدخل خارجي مؤثر»[19].

وهناك دليل تاريخي وإسلامي موجود في طيّات حديث «مسيحي سابق» من أهل نجد كان قد إعتنق الإسلام وكان قد رافق أبو بكر الصديق في غزواته، وقد ورد ذلك في السيرة النبوية لابن هشام: «وكان من الحديث... أن رافع بن أبي رافع الطائي (أي من قبيلة طيء المسيحيّة)، قال: كنت امرءاً نصرانياً (مسيحياً)، وسميت سرجيس[20][21] فلما أسلمت خرجت في الغزوة (الغزو)... فصحبت

---

(١٩) السيرة النبوية – لابن هشام – المجلد الأول – تحقيق الدكتور الأستاذ سهيل زكّار – دار الفكر – حاشية ص ٥٠.

(٢٠) السيرة النبوية – لابن هشام – بشرح الوزير المغربي – المجلد الثاني – تحقيق الدكتور الأستاذ سهيل زكار - دار الفكر – الجزء الثاني – ص ١٠٤٢ – ١٠٤٣.

(٢١) إنه القديس سرجيوس شفيع تغلب وطيء وسائر العرب المسيحيين يومها، وما زال في مدينة يريم من محافظة ذمّار في اليمن مسجد يحمل إسم سرجس، لأنه كان كنيسة، ومع إجبار المسيحيين على إعتناق

أبا بكر . . . وقال أهل نجد حين ارتدوا كفاراً: نحن نبايع ذا العباءة (أي محمداً كملك . .) . . قال (أبو بكر): . . . إن الله عزّ وجلّ بعث محمداً ص . بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً (قتلاً وسبياً وخراجاً وجزيةً . .)»

مما تقدّم ندرك أن «المسلم المهتدي إلى الدين الإسلامي» . .
كان مسيحياً في السابق، وقد لُقّب بالطائي، لانتمائه لقبيلة طيء المسيحية،
أما ذكره بأن «أهل نجد حين ارتدوا كفاراً»[٢٢] (ص ١٠٤٢)
فهذا يشير إلى ديانتهم التي أحبوها،
وفضلوها على الإسلام . . .
فالكفّار هم المسيحيّون اليعاقبة، إذ قال القرآن:
«لقد كَفَر الذين قالوا: إن الله هو المسيح، إبن مريم» (المائدة ١٩)
إذاَ إن أهل نجد بعد أن توفي من كان يشكّل بنظرهم سبباً ضاغطاً عليهم
لإعتناق الدين الاسلامي، عادوا إلى ديانتهم المسيحيّة،
فتمّ فيهم ما تمّ . . .
وإن نص السيرة النبوية لابن هشام نفسها،
تذكر أن: «محمداً . . جاهد عليه (أي جاهد بدينه) حتى دخل
الناس فيه . . كرهاً» . (ص ١٠٤٣)
وما أدراك ما وسائل أل «كرهاً» . . . هذه . .
وما فوائد «الغزوة» . . .
فهذا المسيحي الإسمي . . «رافع الطائي . . . »
الذي كان يخالف الانجيل المقدس ألمسالم . . . قبل إسلامه،
إذ كان يغير أي يسرق إبل الناس . . . ظلّ يغيرُ:

الاسلام بحد السيف تحوّلت الكنيسة إلى مسجد، ولكن حبّهم للقديس سرجيس (سركيس)، جعلهم يسمون المسجد باسمه رغم اعتناقهم الإسلام كرهاً . . .

(٢٢) السيرة النبوية – لإبن هشام – الجزء الثاني – ص ١٠٤٢ .

«في الجاهلية كنت أغير على إبل الناس . . .
فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة . . .»[٢٣] (ص ١٠٤٢)
ولكنه نال هذه المرّة طبعاً ما نال . .
وغنم ما غنم . .
إذاً من كل ما تقدّم ندرك أن قبائل الحجاز كانت مسيحيّة . .
فعبارة سُمّيتُ «سَرجس» . .
تدل على أنه نشأ في بيئة مسيحيّة عربيّة، فقد عمّده الأهل والأقارب،
وهو طفل صغير، وسمّوه على إسم القديس «سرجس» . . .
الكثير الإكرام عند عرب الجاهلية . .

معركة اليمامة - جنوب نجد (سنة ١١ هجرية)

نقلاً عن كتاب تاريخ الرسل والملوك – الطبري[٢٤]

«وكان من أمر بني تميم، أنّ رسول الله توفي. . . . فجاءتهم سجاح بنت الحارث قد أقبلت (إلى نجد واليمامة) من الجزيرة، وكانت ورهطها في بني تغلب (قبيلة مسيحيّة) تقود أفناء (قبيلة) ربيعة (المسيحيّة). . . و(قبيلة) أياد (المسيحيّة). . . واجتمع رؤساء أهل الجزيرة (العراق) قالوا لها: ما تأمريننا؟. . . فقالوا: إن شوكة أهل اليمامة شديدة (أي أنهم أقوياء)، وقد غلظ أمر مُسيلمة، فقالت: عليكم باليمامة (جنوب نجد). . . وبلغ ذلك مسيلمة وهابها. . . فأهدى لها. . . فنزلت الجنود على الأمواه (المياه). . . فجاءها وافداً في أربعين من (قبيلة) بني حنيفة (المسيحية)، وكانت راسخة

(٢٣) السيرة النبوية – إبن هشام – الجزء الثاني – ص ١٠٤٢.
(٢٤) تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك – سنة ١١ هجرية – الجزء الثالث – ص ٣٠٠ – ٣٠٧ – دار الفكر.

في النصرانية، قد علمت من علم نصارى تغلب، فقال مسيلمة: «لنا نصف الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت» (ص ٢٩٥) قالت (سجّاح) تزوجته (لمسيلمة) (ص ٢٩٦)...

وكان عدد بني حنيفة (سكان نجد) يومئذ أربعين ألف مقاتل، في قراها وحجرها فسار خالد (بن الوليد)... وبادر بقتال مسيلمة الذي كان معه (شخص يدعى) بن عنفوة، وكان قد هاجر إلى النبي محمد، وقرأ القرآن، وفقه في الدين فبعثه (محمّد) معلماً لأهل اليمامة وليشغب (ليُشاغب) على مسيلمة، وليشدّد (ينصر) من أمر المسلمين، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة (أي أنه عِوض أن يدعوهم إلى الاسلام أبعدهم عن محمد)، (إذ) شهد أنه سمع محمد يقول: «إنه قد أشرك معه» (أي أنه إتفق مع مسيلمة أن يكون شريكاً له في النبوة) (ص ٣٠٠)

فبعث إليهم أبو بكر خالداً، فسار حتى إذا بلغ اليمامة... فخرج مسيلمة وبنو حنيفة.. وقال شرحبيل بن مُسيلمة: «يا بني حنيفة، اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هُزِمتم (من المسلمين) تستردف (تؤخذ) النساء نساؤكم سبيّات وينكحن، فقاتلوا عن أحسابكم، وأمنعوا نساءكم (عنهم) (ص ٣٠٣)... فاستحرّ القتل... ولم تحفل بنو حنيفة بقتل من قُتل منهم.. (لأنّ حياتهم وشرف نسائهم ومنع سبي أولادهم مرتبط بدفاعهم عن أنفسهم من المهاجمين) فقُتل في المعركة، وفي حديقة الموت عشرة آلاف مقاتل (منهم أي من نجد)».

قبيلة كندة في نجد

من أعظم قبائل نَجد قبيلة كندة المسيحيّة، ومن بطونها السكون والسكاسك الذين تواجدوا في اليمن، وقد ذكر مسيحيتهم إبن خلدون في تاريخه (٢/ ٢٤٩). وكان لكندة بيت مُلك (أي ملوك) فمَلكوا على بني معد في أنحاء نجد وكان أعظمهم الملك حجر آكل المرار ثم خلف حجراً بنوه من بعده ومنهم كان الملك الطريد والشاعر

أمرؤ القيس، الذي حاول إستعادة أَلمُلك بعد إنقلاب قبائل معد عليه، ومحاربة الملك المنذر اللخمي له[٢٥]. . .

ومسيحيّة ملوك كندة وقبائلها مثبتة من علماء الآثار والمستشرقين، كالمستشرق السويدي أولندر في كتابه «ملوك كندة»، والمستشرقة الروسية نينا فيكتورفنا بيغوليفسكيا في كتابها العرب على حدود بيزنطة وإيران. **وإن الملكة هند الكبرى بنت الملك الحارث الكندي وزوجة الملك المنذر اللخمي كانت قد بَنَت ديراً في الحيرة عُرف بإسم دير هند الكبرى، وقد وَجد علماء الآثار في بداية القرن العشرين الكتابة التي كانت قد أمرت، سنة ٥٤٠ م بوضعها على صدر ديرها وحيث تفتخر بكونها:**

«أمة المسيح وأم عبده (أي إبنها) الملك عمرو وبنت عبيده (أي إبنة الملك الحارث بن عمرو بن حجر من ملوك كندة المسيحيين)».

وهناك معاهدات أبرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في أيام الأباطرة أنستاز ويوستينوس ويوستنيان، ولولا مسيحيّة ملوك كندة لما أبرمت معهم بيزنطة المعاهدات كما سنرى لاحقاً[٢٦].

وهناك أيضاً أدلة أخرى تؤكد مسيحيّة الكنديين، منها ما صرّح به الأمير عبد المسيح الكندي في رسالته إلى الهاشمي في أيام الخليفة المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة أبو الريحان البيروني في كتابه الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبزيغ - ألمانيا) قال الأمير عبد المسيح الكندي[٢٧]: «ولولا أن الديانة عندي أشرف من الحَسَب الجسداني الزائل، لكان يسعني السكوت، لكني رجل مسيحي وَلِي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي أتشرف به

---

(٢٥) سأتطرق إلى ذلك بالتفصيل في كتابي "الممالك المسيحية في الجزيرة العربية".

(٢٦) سأتطرق إلى ذلك بالتفصيل في كتابي "الممالك المسيحية في الجزيرة العربية".

(٢٧) من كتاب حوار ديني - رسالة الأمير عبد المسيح الكندي إلى الهاشمي في أيام المأمون ٨٣٤ م. ص ١٠٣.

وأفتخر بمكاني منه، وأرغب إلى الله في إماتتي على هذه الديانة [٢٨] وحشري عليها فإنه غاية أملي ورجائي الذي أرجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول إلى ملكوت السماء والخلود فيها بفضله وإحسانه وسعة رحمته».

فملوك كندة كان لهم الشرف على سائر العرب، وقد ملكوا على عرب الجزيرة قبل مجيء الإسلام، فيقول في ذلك أيضاً:

«ولسنا نحب أن نفتخر بما لنا من السبق والنسب في العربية وشرف الآباء فيها إذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لآبائنا وأجدادنا. فقد علم كل ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب، لكننا نقول ما قاله رسول الحق بولس: «ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فإنه غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر به (فقد فقدنا السلطان الملوكي) إلاّ دين المسيحيّة الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي إلى العمل الصالح ونعرف الله حقّ معرفته ونتقرّب إليه وهو الباب المؤدي إلى الحياة والنجاة من نار جهنم»[٢٩]. **ورغم محاولات «أسلمة التاريخ» واعتبار أن الجزيرة العربية قبل الإسلام، كانت غارقة في غياهب التخلف والوثنية، إلا أنني سأستشهد بدليل تاريخي مُهم يشير إلى أن الجزيرة العربية في أيام مُلك ملوك كندة المسيحيين، عاشوا في سلام وطمأنينة وأمان، إذ ورد لدى المسعودي وهو مؤرخ جليل من القرن العاشر، أن عمر بن الخطّاب سأل العالم عمرو بن معد يكرب عن ملوك كندة وغسّان ولخم وكلّهم مسيحيّون، فلنرَ هذا الدليل التاريخي المُحكم والمؤثر والمطموس:**

---

(٢٨) لقد كان هذا الأمير العربي شجاعاً مقداماً مفوّهاً وقديساً، إذ إعترف بإيمانه بالله الواحد الحقيقي المثلث الصفات، كما أنه صرّح ... وبمحضر الخليفة المأمون والأمراء والأعيان بكل ما يعلم عن الحقائق التي أحاطت بنشوء الإسلام وإنتشاره والتغيّرات التي طرأت على القرآن عند جمع عثمان للمصاحف وإحراقها ما عدا نسخته أي حرف عثمان كما ذكر الاقحامات التي أدخلت على نصوص القرآن في أيام الحجّاج بن يوسف وغيرها...

(٢٩) رسالة الأمير عبد المسيح الكندي – في أيام المأمون ٨٣٤ م – ص ١٢٤.

«لما قَدِم بن معد يكرب على (الخليفة) عمر بن الخطاب . . .

قال عمر: أخبرني عن (ملوك) كندة،

قال (عمرو بن معد يكرب): ساسوا العباد، وتمكنوا (أي أحكموا مُلك الحجاز ونشروا الأمان) في البلاد . . .

قال عمر: فأخبرني عن لخم.

قال (عمرو): آخرنا مُلكاً (أي مملكتهم نشأت في فترة متأخرة)، وأولنا هُلكاً (فقد أباد خالد بن الوليد جيش هذه المملكة المسيحية العربية، أنظر معركة أُلَيس - إذ ذُبح ٧٠ ألف جندي مسيحي لخمي في هذه المعركة فقط).

قال عمر بن الخطّاب: فأخبرني عن (ملوك) غسّان،

قال (عمرو): أرباب (آلهة، أي أقوياء) في الجاهلية ونجوم، في الإسلام»(٣٠)

(والحقيقة هي أن نجم ملك غسّان جبلة السادس أفَل بمجيء الاسلام فهاجر مع ثلاثين ألفاً من تابعيه الشام إلى القسطنطينية بسبب سوء المعاملة والإكراه في الدين)(٣١)

بعد كل ما ذكرنا، ومن كل ما تقدّم ندرك أن بلاد نجد كانت قد إنتشرت فيها الديانة المسيحيّة، وقد حلّ في مؤمنيها ما حلّ بغيرهم من المسيحيين العرب في باقي الجزيرة العربيّة، تنفيذاً لتلك الوصية الجائرة والمشؤومة التي تقول:

«لا يكوننّ في جزيرة العرب دينان»

---

(٣٠) أنظر وتأكد من هذه المعلومة التاريخية المجهولة تماماً، كتاب مروج الذهب - المؤرخ المسعودي - المتوفي ٣٤١ هـ/ ٩٥٧ م - المجلد الثالث - ص ١٩٦.

(٣١) أنظر كتابي في إمارة البطريق ــ ص ٤٦.

من مصادرهم: **معركة أُليس[٣٢] سنة ١٢ للهجرة**

«ولما أصاب خالد بن الوليد يوم (معركة) الولجة من أصاب من (قبيلة) بكر بن وائل من نصاراهم (أي من المسيحيين) . . غَضِب لهم (أي للقتلى) نصارى قومهم فاجتمعوا إلى (مدينة) أُليس (السماوة - العراق) . . . فأمر خالد مناديه فنادى في الناس (أي في نصارى العرب المساكين): الأسر، ألأسر! . . . **فأقبلت الخيول بهم (أي بالأسرى المسيحيين) أفواجاً مستأسرين يساقون سوقاً، وقد وَكل (خالد) بهم رجالاً** (جنوداً مسلمين) **يضربون أعناقهم** في النهر، ففعل (خالد) ذلك بهم يوماً وليلة، وطلبوهم (أي طلبوا قطع رقابهم) الغد وبعد الغد . . . **وبلغت قتلاهم من** (معركة) **أُليس سبعين ألفاً من الحيرة** (عاصمة مملكة لخم المسيحية - العراق)».

التوحيد في الكعبة

في أيام ملوك جرهم (القرن الثاني والثالث للميلاد)

إنّ مكّة نفسها كانت قد دخلتها المسيحيّة منذ القرون الأولى للمسيحيّة ودليلنا على ذلك ما رواه المؤرّخ أبي الفدا في تاريخه المسمّى «المختصر في أخبار البشر»، الذي يذكر بأن سادس ملوك جرهم، الذين كانوا ملوكاً على مكّة بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. **كان مسيحيّاً ونستدل على ذلك من إسمه فيقول: «ومَلَك جرهم الحجاز، ثم ملك** بعد جرهم إبنه عبد ياليل بن جرهم، ثم إبنه جرشم . . . ثم إبنه **عبد المسيح، ثم إبنه مضاض بن عبد المسيح»[٣٣].**

---

(٣٢) أنظر وتأكّد – تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك – جزء ٤ – ص ٣٣ – ٣٥ – دار الفكر.

(٣٣) كتاب "تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر" - تأليف الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء - المتوفي سنة ٧٣٢ هـ - الجزء الأول ص ١٢١ - توزيع مكتبة عبّاس أحمد الباز - مكّة المكرمة - السعودية. ولا بد لي من الإشارة بأن لا أحد يسمّي إبنه "عبد المسيح" لو لم يكن مسيحياً، فكيف إذا كان ملكاً على شعب من المشركين ألا يشكّل ذلك مفارقة غريبة؟ ثمّ أو ليس من المفروض أن يكون الناس ولو

وهكذا نعلم أن ملك مكّة كان مسيحياً وإسمه عبد المسيح قبل أن يتغلّب عليه بني الازد ويطردوه مع قبيلته وأعوانه إلى اليمن، وقد حصل ذلك قبل أن يستلم بني خزاعة سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة، وليقوى الشرك في مكّة من جديد، بعد أن غادرها ملوك بنو جرهم المسيحيّون، وطبعاً يحق لنا أن نتساءل أين كان يُصلّي هؤلاء المؤمنون بالإله الواحد الأحد المثلث الصفات وهم ملوك مكة يومها؟

طبعاً ليس لدينا الجواب اليقين، ولكن هناك بضعة أدلة تاريخيّة تطرح على أذهاننا تساؤلات عديدة:

- التساؤل الأول: - يرد في كتاب تاريخ الكعبة للدكتور علي حسني الخربوطلي الخبر التالي، إذ يقول: «بأن خزاعة وجرهماً قبلها (أي قبل أن تحكم قريش مكة وتصير إليهم سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة). لم يريدوا أن يكون إلى جوار بيت الله بيت غيره»(٣٤).

فهل بعد أن زال مُلك بنو جرهم... عن مكّة...

دخل الشرك إلى الكعبة؟!!

إنه سؤال ليس من السهل الإجابة عليه...

ولكن لنقرأ ملاحظة أخرى يوردها هذا المؤرخ المسلم إذ يقول أيضاً:

«الجرهميون.. ظلوا يشرفون على الكعبة ثلاثمائة سنة، وكان آخر ملوكهم الحارث بن مضاض الأصغر، وزادوا في بناء البيت ورفعته على ما كان عليه من بناء إبراهيم عليه السلام»(٣٥).

أقلّهم على دين ملكهم؟... هذه التساؤلات أتركها أيضاً لذكاء القارئ اللبيب وفهمه...

(٣٤) كتاب تاريخ الكعبة - الدكتور علي حسين الخربوطلي - ص ٣٥ - دار الجيل.

(٣٥) مروج الذهب - جزء ٢ - ص ٥٠، وتاريخ الكعبة - ص ٢٨.

لقد زادوا على بيت الله الحرام..

ولكن لا يرد ذكر وجود أصنام... أو شرك.. في هذا المكان المقدّس...

التساؤل الثاني: هل كان بيت الله الحرام تمارس فيه شعائر مسيحيّة، بعد أن دخلت المسيحيّة إلى مكّة ودان بها بنو جرهم وذلك في الفترة التي تلت إرسال السيد المسيح رسوله برثلماوس إلى الحجاز وذلك قبل أن يتسلم الحكم بني الأزد ويتغلب من بعدها بني خزاعة عليهم...؟

المثير في الأمر أن هذا المؤرخ يشير إلى أن الأمير عمرو بن لحي من قبيلة خزاعة (وأمه مِن جرهم) بعد أن إستولى على الحكم في مكة، وبعدما رأى أن «العرب بمكة وما حولها تهاونوا في عقيدتهم الحنيفية دين التوحيد. أراد (الأمير عمرو) أن يدعم سلطته فابتدع عقيدة جديدة تحلّ محل الدين القويم فأقام الأوثان عند الكعبة، ونصب كبيرها (الوثن) هبل في بطن الكعبة»[٣٦].

ونتساءل **لو كان هناك موحّدون مسيحيّون جرهميون في مكّة، أما كان من واجبهم الديني الاعتراض على إدخال الأصنام، والعبادة الوثنيّة إلى التوحيد المسيحيّ الموجود في مكّة؟...**

لقد أكمل هذا المؤرّخ سرده للوقائع فيشير إلى أصوات احتجاج، عَلَت بسبب إدخال الأصنام، وخاصّة من بنو جرهم ملوك مكّة السابقون فيقول: «وتعالت أصوات إحتجاج من بعض العرب وخاصّة عرب جرهم (المسيحيّون) يحتجون على هذه البدعة الوثنية الجديدة التي ابتدعها زعيمهم، (فالأمير عمرو بن لحي كان من قبيلة خزاعة ولكن والدته كانت أميرة من ملوك جرهم السابقون)... ولمّا نَصَبَ الأصنام حول الكعبة وأجبر العرب على عبادتها

---

(٣٦) كتاب تاريخ الكعبة – الدكتور علي حسين الخربوطلي – ص ٣٠ – دار الجيل.

مما هدّد دين الحنيفية (أي المسيحيّة التي كان يدين بها بنو جرهم) فأنشد شحنة بن خلف الجرهمي:

«يا عمرو إنك قد أحدثت آلهةً　　شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيتِ ربٌ واحدٌ أبـداً　　فقد جعلتَ لَهُ في الناس أربابا

لتعرفنّ بـأن الله في مـهـل　　سَيَصطَفي دونكم للبيت حُجّاباً»[٣٧]

ثم يشير المؤرّخ نفسه إلى نجاح هذا الأمير في إخماد أصوات الاحتجاج، بما كان يتمتع به من سلطة سياسية وعسكرية وإقتصادية واسعة. . .

إذاً مما تقدّم وبعودتنا إلى إسم الملك السادس من بني جرهم

«عبد المسيح» ندرك أنه مسيحي. .

وبقراءتنا لأشعار نسيبه شحنة بن خلف الجرهمي

واحتجاجات الجراهمة الذين وصفهم كتاب تاريخ الكعبة بالحنيفيّون،

ندرك أن الحنيفية وتوحيدها،

ليست سوى الديانة المسيحيّة

التي تؤمن بالله الواحد الأحد المثلث الصفات. .

وإنّ المستشرقين كسبرنغر (Sprenger)[٣٨] «وولهوزن (Welhansen)[٣٩] قاموا بأبحاث حول الحنيفية في الجاهلية فقالوا بأنها شيعة مسيحيّة وهذا ما تؤكده أشعار شعراء الجاهلية، فالشاعر هزيل يقول:

«كأنَّ تَواليَهُ بالملا　　نصارى يساقون لاقوا حنيفاً

(٣٧) كتاب تاريخ الكعبة – ص ٣١ – دار الجيل.

(٣٨) أنظر كتابه: Sprenger: Das Leben u.d. Lehre des Mohammad

(٣٩) كتاب Wllhausen: Skizze u. vorarbeiten، III، وأيضاً كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية – الأب لويس شيخو – ص ١١٨ – دار المشرق.

وقد أراد بشعره القول بأن النصارى (أي المسيحيون)

يذهبون لملاقاة «الحنيف» أي الراهب المتجهد للصلاة والتعبد...

كما يروي ياقوت في كتابه معجم البلدان (٢/ ٥١) وأيضاً صاحب الأغاني جزء ١٦/ ص ٤ شعراً لأيمن بن خريم يصف فيه الخمر فيقول:

«وصهباء (أي الخمر) جرجانية لم يَطُف بها **حنيفٌ** ولم تنغرّ بها ساعةً قِدرُ

ولم يشهد **القسّ** المُهيَمن نارهــا طَرُوقاً ولا صلّى على طبخها **حَبرُ** (أي أُسقف)».

إذاً إن كلمة «الحنيف» الواردة في البيت الأول...

يشرح معناها كلمتي «القس».. و«الحبر» أي الأسقف...

الواردتان في بيت الشعر الثاني..

فتكون إذاً كل الدلائل تشير إلى أن الحنيفية هي المسيحيّة لا غير..

ونتساءل أيضاً:

لماذا تواجد على بيت الحرم أسقف في زمن ملك بنو جرهم على مكة ؟

إذ ورد في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني[٤٠] **أن بيت الله الحرام كان له في عهد بني جرهم «خزانة وهي بئر في بطنه يلقى فيه الحلى والمتاع الذي يُهدى له وهو يومئذ لأسقف عليه».**

فكلمة «أسقف» تشير إلى الرئيس الديني لدى المسيحيين...

وهل يتواجد أسقف في مدينة.

لو لم يكن هناك مؤمنون مسيحيّون إلى جواره...؟

كما أنّ هذا التواجد يفرض وجود مكان ديني يمارسون فيه شعائرهم الدينيّة!

(٤٠) كتاب الأغاني – أبي الفرج الاصفهاني ١٣/ ١٠٩.

إن الجواب على هذا التساؤل: أتركه أيضاً لفطنة القارئ الباحث. . .

٣ - التساؤل الثالث: «لماذا تواجدت في دعائم الكعبة (وهي مكان الشرك) صورة للعذراء مريم وللكلمة الأزلي يسوع في أيام محمّد؟

لا بل أنه تواجد أيضاً في بيت الله الحرام
تمثال للعذراء مريم وفي حجرها الطفل الالهي؟
ففي أيّة فترةٍ زمنيّة سابقة تمّ وضعهما؟ ولماذا؟

فقد ورد في كتاب أخبار مكّة للأزرقيّ[٤١] وهو من أقدم تواريخ مكّة التالي:

«فلما كان **يوم فتح مكّة دخل رسول الله صلعم البيت. . . وقال:**
امحوا جميع الصور إلا ما تحت يديّ
فرفع يديه عن صورة عيسى بن مريم وأمه».

ولكن المرجع التاريخي الثمين يشير إلى حقيقة أخرى مجهولة تماماً،
إذ يذكر تواجد تمثال للعذراء مريم وفي حضنها الطفل الالهي.
وهذا يشكّل مفاجأة أخرى، ومما قاله:

«حدثنا داود بن عبد الرحمان عن إبن جريج قال: سَألَ سليمان بن موسى الشامي عطاء بن أبي رباح: هل أدركت في البيت (بيت الله الحرام) تمثال مريم وعيسى؟

قال: نعم أدركت فيها تمثال مريم مزوّقاً، في حجرها عيسى إبنها قاعداً مزوقاً. . قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب: قال إبن جريج فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: في الحريق في عصر إبن الزبير»[٤٢].

---

(٤١) كتاب "أخبار مكّة شرفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف إبن الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي" - وقد فرغ من تأليفه سنة ٢٤٤ هجرية - طبعة ويستنفلد - ليزيغ - المانيا. ص ١١١.

(٤٢) كتاب أخبار مكة للأزرقي - المرجع السابق - ص ١١٣، ومن المعروف لدى الباحثين أنّ عبد الله إبن

بعد هذه التساؤلات المحقّة، أظن أنه يحقّ لنا بسؤال منطقي، بعد أن عَلمنا بأن «بيت الله الحرام» قد أحرق في أيام إبن الزبير ورمّم في أيام غيره، حجراً وأعمدة»... وهو:

«لماذا لم يوضع (أو لا يوضع؟) تمثال جديد للعذراء مريم
وليسوع مكان الذي هَلَك؟!
ولماذا لم توضع رسوم ترمز للعذراء مريم ويسوع في الكعبة
مكان التي دُمرت؟! أو أزيلت؟
وإن كان رسول المسلمين أمر أن لا تطمس؟ أو تزال؟
فلماذا أُزيلت؟ ولماذا لا تُعاد؟!
ولو كان رسول المسلمين حياً بعد الحريق الذي حصل في أيام إبن الزبير؟
ما كان سيكون موقفه»؟!..

«المسيحيّة في مكّة» حتى مجيء الإسلام

كان لمكّة نصيب ولو ضئيل من إنتشار الديانة المسيحيّة في عهد الجاهليّة، فقد دخل إليها الدين المسيحيّ كما دخل إلى غيرها من المناطق الحجازية. ومن «عجيب – غريب» ما رواه مؤرخو العرب كابن الأثير وإبن خلدون وأبي الفداء، أنّ مكّة حكمها في فترة ما، أي في القرون الأولى للميلاد سلالة ملكيّة من «بني جرهم». ويشيرون إلى أن سادس ملك جرهم كان يدعى باسم مسيحيّ وهو «عبد المسيح بن باقية بن جرهم». فيتعيّن ذلك أن المسيحيّة غلبت في مكّة قبل بني الأزد وتغلّب بني خزاعة على ولاية البيت العتيق، وتنقل أخبارهم أنه

الزبير هو إبن أخت عائشة زوجة رسول المسلمين وقد بايعته (أي أعلنته ملكاً) الحجاز والعراق، ولم يستطع الخلفاء الامويون إنتزاع العراق من حكمه إلا بعد معركة مرج راهط بالقرب من دمشق سنة ٦٨٤ م، ثم أرسل الخليفة عبد الملك إبن مروان (٦٨٥ – ٧٠٥ م) الحجّاج ابن يوسف الثقفي إلى مكة فحاصر مكة سنة ٦٩٢ م طوال ستة أشهر ونصف إلى أن قتل إبن الزبير وأحتلها.

على زمن آل جرهم تولى الكعبة أسقف، أي رئيس ديني لدى المسيحيين وهل يتولى أسقف مكاناً دينياً، لو لم يكن قادراً على تأدية صلواته فيه، علماً أن الأسقف يكون رئيساً دوماً على عدد من القسس والرهبان ومن البديهي القول أنه تواجد إلى جانبهم مؤمنون عاديون... وقد رويت ما قال في ذلك أبو الفرج الأصفهاني: «أن البيت الحرام كان له في عهد بني جرهم خزانة، وهي بئر في بطنه يلقي فيها الحلى والمتاع الذي يهدى له، وهو يومئذ لأسقف عليه»[٤٣]. والأزرقي في كتابه أخبار مكة[٤٤] (١/ ١٠٤) يقول: «كان فيها (أي جدران الكعبة) صورة إبراهيم خليل الرحمن... وصورة عيسى بن مريم وأمه، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين. فلما كان يوم فتح مكّة دخل رسول الله البيت، فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب، فجاء بماء زمزم، ثم أمر بثوب فبُلّ بالماء وأمر بطمس تلك الصور فطمست... ووضع كفّيه (أي محمّد) على صورة عيسى إبن مريم وأمه عليهما السلام، وقال: أمحوا جميع الصور إلا ما تحت يديّ: فرفع يديه عن (صورة) عيسى ابن مريم وأمه[٤٥]. . .وحدثني جدي قال حدثنا داود بن عبد الرحمن عن إبن جريج (وجريج تصغير لإسم القديس جرجس المسيحي) قال: سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن أبي رباح وأنا أسمع: أدركت في البيت (أي في الكعبة) تمثال مريم وعيسى؟ قال: نعم أدركت فيها تمثال مريم مزوّقاً في حجرها عيسى إبنها قاعداً مزوّقاً. وكان في البيت أعمدة ستّ. . قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب: قال إبن جريج فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: في الحريق في عصر إبن الزُبير. . . .»

---

(٤٣) كتاب الأغاني – أبو الفرج الاصفهاني ١٣/ ١٠٩.

(٤٤) والإسم الكامل للكتاب هو: «كتاب أخبار مكة شرّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار» تأليف ابن الوليد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي – المطبوع في ليبزيغ – ألمانيا ص ١١٠ – ١١٢. Ed. Wastenfeld .

(٤٥) قابل النص في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ٥/ ١٧٢، حيث يضيف: "وهي رواية للعلماء عنها حديث (نبوي) وكلام (أي تفسير من علماء المسلمين الأقدمين) بخصوص إستثناء صورة مريم وإبنها عيسى من الطمس".

وما يفاجئ ألباحث عن الخفايا وراء الخبايا،

أن الشعراء المسيحيّين العرب كانوا يجمعون أيضاً،

إذا حلفوا بين ربّ مكة والصليب،

فيقول الشاعر عُدَي بن زيد (الأغاني ٢/ ٢٤):

«سعى الأعداء لا يألون شراً عليكِ وربّ مكّةَ والصليب».

كما كانوا يحلفون بثوب الراهب (لاحترامهم له)

وبالكعبة التي بناها بنو جرهم، فيقول الاعشى:

«حلفت بثوبَي راهب الدير والتي[٤٦] بناها قُصَيٌّ والمضاض بن جرهم».

فهل بزوال مُلك بنو جرهم»[٤٧]،

دخل الشرك الكعبة بعد أن كان قد غادرها؟!!. . .

إن في كل ما نقرأه لدلائل مثيرة تشير إلى وجود المسيحيّة حتى في مكّة،

ولكن وبكل أسف وحزن أقول أنه

بعد وفاة رسول المسلمين

تمّ القضاء على كل وجود للمسيحيّة في الجزيرة العربيّة. . .

وهذا ما يخالف بنظري إرادة رسول المسلمين نفسه،

الذي كان قد عاهد أهل نجران،

---

(٤٦) أي بثوب الكعبة أيضاً...

(٤٧) ورحيلهم إلى اليمن مع سائر آل بنو جرهم السيرة النبوية – ص ٨٢.

وجعل أعيانهم يصلون في مسجده في المدينة،

وإن كانت وجهة صلاتهم ألشرق، أي ألقدس - أورشليم

(مدينة السلام بالعربية) مدينة المسيح رئيس السلام.

كما أن السيرة النبوية لإبن هشام تورد خبراً آخر، غريباً في مضمونه،

وقد لا يثير أي تساؤل عند غير الباحثين، لكن يرد فيه:

«قال إبن إسحاق: «**وحَدثَت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانيّة....، وحَجَراً في الكعبة** قبل مبعث النبي ص. بأربعين سنة... **مكتوباً فيه: من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة، تعملون السيئات، وتجزون الحسنات... أجل، كما لا يجتنى من الشوك العنب»**[٤٨]

المثير في الأمر، أن هذه الكلمات المكتوبة على حجر وجدوه في ركن الكعبة، **في حوالي سنة ٥٧٠ م، هي في الحقيقة آيات من الكتاب المقدّس (أي التوراة والانجيل المقدس).**

فالتوراة تقول: «من يزرع بالدموع يحصد بالترنيم» (مزمور ١٢٦/ ٥)

والانجيل المقدس أيضاً يقول: «غبطة العطاء أكثر من الأخذ»

(أعمال الرسل ٢٠/ ٣٥)

«إياكم والأنبياء الكذابين... من ثمارهم تعرفونهم،

أيثمر الشوك عنباً». (الانجيل بحسب لوقا ١١/ ١٣)

وهناك أدلة أخرى تشير إلى تأثير المسيحيّة في مكّة،

وانتماء كثير من سادتها إلى التوحيد المسيحي

فقد ورد في السيرة النبوية لإبن هشام:

---

(٤٨) السيرة النبوية - لابن هشام - الجزء الأول - ص ١٣٢ - دار الفكر.

«كان عُبيد الله بن جحش (من مكّة) حين تنصّر يَمُر بأصحاب رسول الله..
فيقول:
«فقّحنا وصأصأتم، أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، ولم تبصروا بعد»[٤٩].
وكلامه حق...
لأن الأعمى لا يقدر أن يقود أعمى...
فالمتعصب يجر إلى التعصب...
ويورّث القتل والحقد والقسمة والانحطاط... والضلالة والضياع والدمار...

وتورد السيرة النبوية أيضاً: «ان عثمان بن الحويرث قَدِم على قيصر الروم، (أي إستطاع مقابلة إمبراطور الروم نفسه، مع المكانة التي كانت لملك بيزنطة الدولة العظمى يومها)، فتنصّر (أي صار مسيحياً) وحسنت منزلته عنده»[٥٠].

وهل تحسن مكانة إنسان فرد...
عربي غريب...
لدى قيصر الروم... فيستقبله في قصره... ويكرمه...
وهو ملك مملكة عظمى...
لو لم يكن من أسياد قومه...
وإلى جواره جماعة تؤمن بنفس معتقد قيصر الروم؟...
مع العلم أن عثمان بن الحويرث الذي كان يؤمن بالديانة المسيحية
هو من اشراف قريش،
ومن أقارب زوجة محمد الأول خديجة،
والتي كان إبن عمها نفسه هو «قس»: «القس ورقة بن نوفل»...

في الحقيقة هناك كثيرٌ من المفاجئات الروحية والتاريخية تنتظر قرائي الأحباء

(٤٩) السيرة النبوية – إبن هشام – ص ١٥٢ – دار الفكر.
(٥٠) السيرة النبوية – إبن هشام – ص ١٥٢ – دار الفكر.

من خلال الأبحاث التي يتضمّنها هذا الكتاب . . .

فلله الواحد الأحد المثلّث الصفات كل الشكر والحمد . . .

لأنه هدانا إلى النور الحقيقي . . .

وكل من كان من الحق يسمع لصوت الحق . . .

ويتبع إله السلام . . . ،

الله والكلمة والروح الإله الواحد له المجد إلى الأبد . . .

وقد نقل لنا أيضاً اليعقوبي، وهو مؤرخ إسلامي قديم ومعروف، شهادة ثمينة، إذ قال: «وأما من تنصّر من أحياء العرب (في مكّة) فقوم من قريش . . . ويخص بالذكر منهم بني أسد بن عبد العزّى. ومن (القبائل) التي أصلها من اليمن: طيء وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم»[٥١].

كما نقلت السيرة النبوية لابن هشام قصةً ذات مغزى: «قال إبن إسحق: واجتمعت (بعض قبيلة) قريش في عيد لهم عند صنم من أصنامهم. . . فقال لهم: ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش. . . وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو. . . تعلَموا والله ما قومكم على شيء لقد أخطؤوا دين أبيهم إبراهيم. ما حجرَ نطوف به، ولا يسمع ولا يبصر. . . **يا قوم والله ما أنتم على شيء. فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية. . .**[٥٢]»

ألمثير في الأمر بأن هؤلاء الباحثين عن الحنيفية،

قد اهتدوا كلّهم إلى المسيحيّة بنص السيرة نفسها . . .

فتكون «الحنيفية» إذاً بنص السيرة النبوية نفسها تشير إلى «المسيحية»!! . .

ويكمل إبن هشام روايته فيقول: «**فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية** (ولكي يستحكم في الدين المسيحي ويصير قساً، فهذا يعني أنه أمضى سنيناً يتعلم

---

(٥١) تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٩٨.

(٥٢) سيرة إبن هشام – المجلد الأول – ص ١٥١ – دار الفكر.

مبادئ الديانة المسيحيّة وسَبَرَ أعماق اللاهوت المسيحيّ وأدرك معانيه، وعاش أيضاً ولسنوات في مدرسة لاهوتية، حيث يتخرّج ألقسس...) **واتبع الكتبَ من أهلها** (أي من أهل العلم بلاهوت الكتاب المقدس وتفسيره من أساقفة وقسس، أما كلمة تفرّق (أي تردّد) فتعني أنه تردّد على الحيرة عاصمة الثقافة والأدب واللاهوت النسطوري حيث تعلّم في مدارسها علم أهل الكتاب...) **حتى علِم علماً من أهل الكتاب»**(٥٣).

وهذا يشرح ربما لماذا كان للقس ورقة تأثير على محمد رسول المسلمين في الفترة المكيّة،

إذ ورد في حديث لصحيح البخاري – جزء ١ ص ٢، التالي:

«ولم يلبث أن توفي (القس) ورقة بن نوفل ففتر الوحي».

وقد أشار حسين هيكل إلى مخالطة رسول المسلمين لرجال الدين المسيحيين: «**كان يستمع إلى خطب** الخطباء، ومن بينهم... **(الرهبان) النصارى** الذين كانوا يأخذون على إخوانهم العرب وثنيتهم، ويحدثونهم من كتاب عيسى وموسى (أي الكتاب المقدّس) ويدعونهم إلى ما يعتقدونه الحق. ويزن (محمد) ذلك بميزان قلبه فيراه خيراً من هذه الوثنية التي غرق فيها أهله... وعرف محمد طرق القوافل مع عمّه أبي طالب... **وتروي كتب السيرة أنه إلتقى في هذه الرحلة بالراهب بحيرا (مرتين)...(٥٤)»، كما ورد أيضاً أن «خديجة بنت خويلد» وهي الزوجة الأولى لمحمد، «كانت تلجأ** (إضافة إلى إبن عمّها القس ورقة بن نوفل) **إلى راهبٍ من نينوى يقيم في الطائف ويدّعى عداس النينوي لتستفتيه في بعض الشؤون(٥٥)»، أي للإرشاد الروحي.**

---

(٥٣) السيرة النبوية لابن هشام – المجلد الأول – ص ١٥١ – دار الفكر.

(٥٤) حسين هيكل: حياة محمد ص ١٦٤.

(٥٥) السمهوري، وفاء ٢/ ١٨٦، والسيرة الحلبية ١/ ٢٦٠.

من كل ما تقدّم ندرك أن الديانة المسيحيّة كانت متغلغلة حتى في مكّة، حيث كان للمشركين الوجود الأهم، بسبب «منافع الحج وقروشه»، ولكن الديانة المسيحيّة (بفرقتيها النسطوريّة واليعقوبيّة بشكل خاص) كانت قد أسست لها كنائس موطدة وأسقفيات منظمة في باقي أنحاء الجزيرة العربيّة...

ولكن بعد موت رسول المسلمين محمد...
تمَّ عليهم ما تمّ...

إختلاط المسيحيّين بأهل مكّة

كان هناك إختلاط للمسيحيّين بأهل مكّة، فمحمد عرف ورقّة وعاشره وحاوره في أمور الدين المسيحي والانجيل، **وإن ما عرفه محمد من ورقة هو ألفكر النسطوري، ففي المسيح أقنومان أي شخصان فهو إنسان عادي مَثَلُه مثل آدم يأكل ويشرب، وهو شخص إلهي من حيث هو «كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه». فهذه الصفة الغير بشريّة واضحة في القرآن الكريم (نساء ١٧٠، وآل عمران ٣٩) وإن كانت من متشابه الآيات** والتي لم ينتبه حتى أكابر علماء الإسلام إلى وحدة إنتسابها ونسبها مع الكلمة المتجسد (يوحنا ١/ ١ – ١٤) في الانجيل المقدس، **والدالة (أي هذه الصفة الالهية) على مصدرية الكلمة الالهي أي كلام الله الذي تجسد ولبس جسداً من أجل خلاصنا، من الله...**

ومن المفيد لمعرفة مدى تأثير المسيحيّة في مكة، ذكر المعاملات التجارية والمصاهرات التي كانت متواصلة بين أهلها ونصارى قبائل العرب، «فأبي سفيان زعيم مكّة كان صهراً لبُشر أخي اكيدر الكِندي ملك دومة الجندل، وكان كلاهما نصرانياً، وأن بُشر هو الذي علَّم أهل مكّة الخط العربيّ»[٥٦].

---

(٥٦) أنظر كتاب الحيرة – المدينة والمملكة العربية – يوسف غنيمة – ص ٥٣ – مطبعة دنكور الحديثة بغداد

وان اختلاط المسيحيين العرب مع باقي القبائل أثّر في أهل مكّة تأثيراً عظيماً واجتذب كثيرين منهم إلى الدين المسيحي. ومما يؤيّد ذلك أن أبا عامر الراهب[٥٧]. (وسواء كان إسم عائلته «الراهب» أو كنيته بـ «الراهب» فكلاهما يشير إلى مسيحيّته) الذي حارب رسول المسلمين في مكّة وَأُحُد قد «لقي (أي واجه) المسلمين في الأحابيش وعبدان أهل مكة» كما روى إبن هشام في السيرة النبوية.

إنتشار المسيحية النسطورية

ورقة بن نوفل والراهب بحيراء

لدينا إثبات تاريخيّ من خلال مخطوطة تاريخيّة ثمينة موجودة في المكتبة الوطنية في باريس، والتي تتضمّن رداً تاريخياً ولاهوتياً من الأمير المسيحي العربي النجدي عبد المسيح الكندي على الأمير عبد الله الهاشمي الذي كان قد دعاه في رسالة سابقة إلى الاسلام، والأمير عبد المسيح الكندي يؤكد في رسالته إنتماء ألقس ورقة بن نوفل والراهب بحيراء، إلى الكنيسة النسطورية،

والفقرة بعنوان: عمل الراهب سرجيوس (بحيرا) وتأثيره على محمد، إذ يقول التالي:

«ذلك أنه كان رجل من رهبان النصارى (أي النصاطرى) يعرف بسرجيوس، أحدث حدثاً أنكره عليه أصحابه، فحرموه وأخرجوه وقطعوه عن الدخول إلى الكنيسة، وامتنعوا من كلامه ومخاطبته، على ما جرت العادة منهم في مثل هذا الضرب. فندم على ما كان منه. فأراد أن يفعل فعلاً يكون له به تمحيص

- سنة ١٩٣٦.

(٥٧) السيرة النبوية لابن هشام - الجزء الأول - شرح الوزير المغربي - ص ٥٦١ - ٥٦٢.

ذنبه وحجّة عند أصحابه النصارى (النصاطرى) فصار إلى بلد تهامة، حتى أفضى إلى بريّة مكّة. . . فلم يزل يتلطّف ويحتال بصاحبك حتى استماله. وتسمّى نسطوريوس وذلك أنه أراد بتغيير إسمه، إثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتديّن به. فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته، ويلقي إليه الشيء بعد الشيء إلى أن أزاله عن عبادة الأصنام، ثم صيّره داعياً وتلميذاً له يدعو إلى دين (أي فكر) نسطوريوس (وهذا ربما يشرح لماذا في الآيات المكيّة ليس محمدٌ سوى نذير، بشير، وأنه يجب أن لا يُدعى لأحدٍ في المسجد مع الله، وأن لا قتل بالسيف، إذ لا إكراه في الدين، ولكن بعد موت ورقة والراهب نسطور وخديجة ووراثة محمد لثروتها التي تقدّر بنصف تجارة قريش وبعد فشل الدعوة إلى الديانة بالحسنى ستتغيّر المبادئ والأولويات وسيسعى إلى الترؤس على عشيرته وبلده (عبر السيف والسبي والغزو والمغانم والحور العين وهذه كلّها من ألذ الأمور على سكان البادية، وكلنا نعلم ما كانت أحوال الاعراب في الجزيرة في غير مناطق الحضر حتى إكتشاف النفط في القرن التاسع عشر. .)

فلما أحسّت اليهود بذلك ناصبته العداوة، فطالبته بالسبب القديم (أي العداء) الذي بينهم وبين النصارى (النصاطرى). فلم يزل يترقّى به الأمر إلى أن بلغ ما بلغ. فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذبّ (الدفاع) عنها. وتزكية أهلها والشهادة لهم أنهم أقرب مودّة، وأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون (٥/ ٢٥). فلما قوي الأمر بالنصرانية (النسطورية) وكاد يتمّ، توفي نسطوريوس. . . وكان علي بن أبي طالب قد أحسّ بما كان نسطوريوس الراهب عليه، لأن علياً كان صغيراً وقتما صحبه إلاّ أنه أوعز إليه ألا يعلم أحداً بموضعه، ولا يطلع أحداً بموضعه، ولا يطلع عليه أحداً من

أهله. فقبل عليّ منهما (أي من محمد والراهب نسطور) ذلك لصغر سنه وقلّة تجربته»(٥٨).

نعم،

إن إبنة العَم... خديجة وزوجها..

كانا الأولى باهتمام وتعليم ألقس والكاهن وراعي النفوس ورقة بن نوفل

عملاً بأحكام الانجيل المقدس الذي يقول(٥٩):

«من لا يعتني بأقربائه، وخصوصاً أهل بيته، أنكر الإيمان

وهو أسوأ من غير المؤمن (أي من الكافر)»

وإلا كان خاسراً

دينه ودنياه...

لذلك صدق صحيح البخاري حين أورد:

«ولم يلبث أن توفي ورقة ففتر الوحي» (جزء ١ / ص ٢)

لمدة سنتين...

قد يحزن أحدنا على قريبٍ له يومين... أسبوعين.. شهرين..

ولكن أن يفتر الوحي عن رسول المسلمين مدة سنتين..

فيا لعمق هذه العلاقة الروحية المتينة والمؤثّرة

التي تربط محمداً بالقس ورقة

والتي جَعلت الوحي القرآني يفتر، وينقطع نبع إلهامه ومصدره...

---

(٥٨) أنظر مخطوطة الحوار الديني الذي جرى بين الأمير عبد الله الهاشمي والأمير عبد المسيح الكندي في محضر الخليفة المأمون ٨١٣ – ٨٣٤ م، وإن أقدم مخطوطة عن هذا الحوار موجودة في المكتبة الوطنية في باريس – فرنسا وهي تعود إلى سنة ١١٧٣، وهي تحت رقم ٢٠٤ و٢٠٥ – ص ٩٧.

(٥٩) ١ تيموتاوس ٥/ ٨.

«علي بن أبي طالب وناقوس ألدير»[60]

«حدّث محمد بن موسى السكري عن أحمد بن عبد الرحمن. قال حدّثني أبي عن إبن الكواء قال كنت مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وكان في نفر من أصحابه بظاهر الحيرة، إذ سمعنا صوت الناقوس يضرب فجعلت أتعسه (أي تضايق إبن الكواء من صوت الجرس).

فقال (له علي): «صه يا إبن الكواء لأنك لا تدري ما يقول الناقوس».

فقلت يا أمير المؤمنين: «الناقوس يتكلّم»؟

فقال (علي): «والذي فَلَق الحبّة وبر النسيمة ما من ضربة تقع على ضربة ولا نقرة على نقرة إلاّ وهي تحكي مثلاً وتؤدي علماً».

قلت (له): «فما يقول الناقوس».

قال (علي): «يقول (الناقوس) سبحان الله حقّاً حقّاً.

إن المولى فرد يبقى يحكم فينا رفقاً رفقاً

لولا حكمه كنا نشقى أنّا بعنا داراً تبقى

واستوطنّا داراً تفنى ما من حيّ فيها يبقى

أدنى منه موتاً إن الدنيا قد غرتنا واستغوتنا واستهوتنا

ما من يوم يمضي عنا إلا يهدم منا رُكناً

تفنى الدنيا قرناً قرناً نقلاً نقلاً دفناً دفناً.

يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً

فازهد خيراً تزدد حباً يا مولانا

قد أسرفنا قد أفرطنا وتوانينا

حكمك عنّا قد أجزأنا فتداركنا واعف عنّا»

يا لهذا الكلام العفوي الجميل...

---

(٦٠) نقلاً عن كتاب الحيرة المدينة والمملكة – الأستاذ يوسف رزق الله غنيمة – بغداد سنة ١٩٣٦.

فعلاً إننا نعجب لسرعة جواب علي بن أبي طالب. . .

ولجمال كلامه وبلاغته. . .

وطبعاً نظنّ أن ثقافة علي بن أبي طالب لم تأتِ من فراغ. .

بل من مدرّسٍ. . ومدرسةٍ

وتلقي علمٍ لسنين. . . »

ويقول العلاّمة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني عن حقيقة هذا الكلام المنسوب إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في الناقوس في جوابٍ له على الأستاذ يوسف غنيمة: «قد جاء في كتاب دستور معالم الحكم المطبوع بمصر سنة ١٣٣٢ هـ تأليف الإمام القاضي إبن عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المتوفي سنة ٤٥٤ هجرية وفي صفحة ١٣٣ ما لفظه:

«مرّ علي (ع) ومعه الحارث الأعور فإذا ديراني (أي راهب) يضرب بالناقوس،

فقال علي (ع): يا حارث أتعلم ما يقول هذا الناقوس».

قال (الحارث): «الله ورسوله وإبن عم رسوله أعلم»

قال (علي): «إنه يصف مثل خرائب الدنيا يقول:

مهلاً مهلاً يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً إن الدنيا
قد غرّتنا واستهوتنا لسنا ندري ما فرطنا
فيها إلا أن قد متنا ما من يومٍ يمضي عنّا
إلاّ هدّت منا ركناً
زِنُ ما تأتي زِنُ ما تأتي زِنُ ما تأتي زِنُ ما تأتي
وزناً وزناً وزناً وزناً تفنى الدنيا قرناً قرناً
يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً يا ابن الدنيا سَرُطاً سَرُطاً
ما من يوم يمضي عنا إلا أثقل منا ظهراً
إن المولى قد خَبّرنا إنا نُحشَر غُرلاً بُهُماً
قد ضيّعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى».

إن العبرة الروحية، من هذه الحادثة الروحية المعبّرة،
هيّ يا ليت بعض أولي الأمر من ملوك ورؤساء وأئمةٍ دين. . .
يتعلمون من علي بن أبي طالب إبن عم رسول المسلمين
وأقرب مقربيه، إكرام النواقيس. . .
فيسمحون ببناء الكنائس في دول الجزيرة العربية
وبلاد المشرق والمغرب العربي وفي بلاد فارس. . .
دون أي مانع أو ترهيب
لتوجد عندها نواقيس تقرع. . .
«ضربة على ضربة» و«نقرة على نقرة»
«فتحكي مثلاً روحياً وتؤدي علماً إلهياً. . .»
وليُسَبّح المولى الفرد الأحد
المثلث الصفات حقاً حقاً حقاً».

«الروح القدس» «الهادي الأعظم»

«ألذهب موجودٌ. . . و(لكنّ) كلام المعرفة جوهرة كريمةً». (الكتاب المقدّس)(٦١)

«متى جاء روحُ الحقِّ أرشدكم إلى الحقّ كلّه». (الانجيل المقدس)(٦٢)

عندما ترى تعاظم تيّارات التطرف والتعصّب، وما يَحلّ بالمسيحيّين العرب وبكل المعتدلين في هذا الشرق الجريح، أضف إلى ذلك مقدار الدمار والكراهية والموت الأرضي والأبدي الذي يعصف بنفوسٍ غاليةٍ على قلب الله وكلّ إنسان مُحب، لا يمكنك عندها أن تأخذ موقف «اللامبالي»، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والطامس للتاريخ الصحيح «شريرٌ مبلّس». . .

---

(٦١) أمثال ٢٠/ ١٥.

(٦٢) يوحنا ١٦/ ١٣.

فخلال كتابتي لهذا الكتاب التاريخي والروحي، واجهتُ صعاباً جمّة، ومصادر نادرةً، وأبحاثاً شاقة، بحيث أنني كنت أشعر أحياناً كما لو أنني أبحث عن جوهرة مفقودة، وسط أكوام من «ألقش الفكري» المليء بالكذب والتناقضات والأساطير والمغلوطات التاريخية المدسوسة... لقد أمضيت وبكل صدقٍ أشهراً بكاملها جالساً إما في داخل مكتبة الجامعة اليسوعية أو في غيرها(٦٣)، حيث توجد عشرات آلاف الكتب القديمة والشيّقة، ولكن والحقّ يُقال لا توجد «مكننة» أو «برمجة حديثة» تقدر من خلالها وبوقت وجيز، طلب إسم موضوع ما لتجد الكتب التي تفي بالغرض المقصود...

كان هدف بحثي الوصول إلى خيوط تاريخية قديمة وشبه مندثرة، عن الوجود المسيحي في الجزيرة العربية إلى ما بعد مجيء الاسلام، إضافة إلى حاجتي إلى معرفة مصير الممالك العربية المسيحية التي كانت موجودة حين نشوء الإسلام والفترة التي تلت موت محمد، أي فترة حروب الردّة...

في الحقيقة لا يمكنني «السكوت» عن التدخّلات العجيبة التي لمست يداً للربّ فيها، فعلى سبيل المثال، وبعد أن وجدت (كتاب) «مخطوطة» «تأريخ المستبصر» – «صفة بلاد اليمن والحجاز ومكة» للرحّالة «إبن المجاور» المتوفي سنة ١٢٩٧ م، والتي لا يوجد سوى نسخة وحيدة عنها في إحدى الجامعات العريقة، استطعت عن طريق «ألحيلة» تصوير غلافها والصفحات التي تشير إلى وجود «النصارى الكفّار» أي المسيحيّين في نجران وجزيرة سقطرى اليمنية لغاية أواخر القرن الثالث عشر، وهذه المخطوطة الفريدة تشكّل جوهرةً نادرة لا تقدّر

(٦٣) لقد كانت لدي معلومات تاريخيّة جمعتها خلال سني إقامتي في فرنسا حين تردّدت مراراً وتكراراً إلى المكتبة الشرقية التابعة لجامعة السوربون والمكتبة الوطنية في باريس ومكتبة بومبيدو – باريس، حيث اطّلعت على مراجع ومخطوطات قديمة ونادرة. إضافةً إلى ما وجدته في مكتبة الفاتيكان حين زيارتي لإيطاليا منذ خمس سنوات...

بثمن، لما تتضمنه من حقائق مطموسة عن مجرى المعارك التي حصلت والمجازر التي ارتكبت بحقّ المسيحيين، كما يتبيّن من مضمون الأشعار المتبقّية والمرويّة في اليمن في تلك الفترة حول المجازر وكثرة الدمار والتهجير الذي حصل بحق المسيحيين اليمنيين في حروب الردّة وفي فترات أخرى سابقة لتدوينات هذا المؤرخ والرحّالة المسلم إبن المجاور.

وحيث أن الأبحاث كانت مضنية.. والكتابة كانت متعبة «وبحقّ جداً.... جداً. إذ مرّت شهور وأنا غارق في المطالعة في منزلي... وبعد تردّدي لمدةٍ طويلة أيضاً إلى مكتبة الجامعة اليسوعيّة وبعد أن اشتريت العديد من المراجع التاريخية القديمة والنادرة من خلال أحد الأشخاص الذي يمتهن شراء الكتب النادرة والقيّمة والذي له علاقات تجارية وثيقة (لما في ذلك من ربح مادي) مع تجار كتب قديمة في الجزيرة العربية ودول المشرق العربي[٦٤].

وبعد أن إمتلأت ذاكرتي من كثرة المطالعات، قرّرت أن أوقف أعمال البحث عن «المادّة» التي يدور حولها مضمون كتابيّ الجديدين، والتي لم يتطرّق أحد إلى الموضوعين اللذين عَملتُ عليهما:

- **المسيحيّة في الجزيرة العربية لغاية القرن الثالث عشر.**

- **مصير الممالك الكنديّة المسيحيّة بعد مجيء الاسلام...**

ألجميل في عمل خادم الربّ هو أنه حين يعمل في سبيل إعلاء إسم إلهه ونشر إنجيله الطاهر، ويسعى إلى تأريخ إنتشار بشارته وعمل رسله وقديسيه الأقدمين، ومصير شهدائه المنسيين، هو أن الله الحقيقي المثلث الصفات، يؤازرك في الأوقات التي يعجز فيها أي تدخل بشري على مساندتك، فتشعر

(٦٤) حلب – سوريا مكان مهم يمكن الاستحصال منها على مخطوطات وكتب قديمة، مكّة، بغداد، القاهرة.

عبر الصدف الغريبة أن الربّ يرافق العمل الروحي الذي تقوم به بغية نشر إنجيله وفضح التاريخ المطموس عن مصير جماعاته المسيحيّة التي ذبحت أو هُجرت وكيفية استشهاد مؤمنيه القديسين. . .

لذلك أجد نفسي مضطراً أن أشهد على الصدف العجيبة التي شعرت بالروح القدس «روح الحق» (يوحنا ١٦/ ١٣) يعضد من خلالها هذا العمل الروحي.

فكما هو معروف أنّ الدخول إلى المكتبات الجامعية العريقة، يفرض رسماً مالياً وتاريخاً محدداً للاشتراك، فبعد مرور أشهرٍ من ترددي على إحدى المكتبات، تشاء الصدف أنه وبعد أن مضى أشهر على أبحاثي، كان ينقصني جوابين على سؤالين تاريخيين راودا عقلي التائق للمعرفة، ولم أجد لهما جواباً. . .

السؤال الأول: ما كان مصير مملكة كندة في حضرموت؟. . .

مع الإشارة إلى أن أهم المستشرقين ومنهم نينا فيكتورفنا بيغوليفسكيا وج. أولندر لم يستطيعوا تحديد كيفية إنتهاء مملكة كندة المسيحية في حضرموت - اليمن بعد مجيء الإسلام. . .

السؤال الثاني - هل صحيح ما أورده المؤرخ المسلم أبو ريحان البيروني في كتابه الآثار الباقية، من أن الأمير روح القريشي (٨٠٠ +) إبن عم الخليفة هارون الرشيد، قد إهتدى إلى المسيحيّة ومات شهيداً (للمسيح)، وأنه كان قديساً تكرّمه الكنائس قديماً في الشرق؟. . .

وهكذا وبعد أن مضت الأشهر وأنا أبحث وأبحث وكنت قد وجدت من الحقائق المنسيّة والضائعة ما وجدت، ولكن لعدم وصولي إلى أي مرجع تاريخي وديني يجيب عن سؤاليَّ هذا. . .

إرتأيت أنه بسبب مرور زمن طويل على ترددي إلى تلك المكتبة الكبيرة وحيث أنه كان قد تبقّى لي ساعتان فقط لا غير، قبل أن ينتهي «الاشتراك» الذي كان يسمح لي بدخول مكتبة تلك الجامعة. . .

ولأنني أنهكت بسبب كثرة القراءة والبحث.
قررت أن أرتاح لبضعة دقائق وأن أصلّي وأسلّم كل هذا العمل
للروح القدس إله الحقيقة والمؤتمن الرئيسي على عمل البشارة
طالباً منه أن يردّ على هذين السؤالين،
اللذين لا يبرحا ذهني؟
وأذكر من صلاتي الشخصية الصغيرة التالي:

يا روح الله القدوس،
هذا العمل هو عملك،
فيا رب انقضت الأيام والأشهر، وأنا تعبت من كثرة البحث والكتابة،
«فيا روح الحق» إن هذين السؤالين:
معرفة قصة إستشهاد هذا القديس القريشي[٦٥]،
وما كان مصير المسيحيين الكنديين في مملكة كندة اليمن،
فأنت الوحيد الذي يعرف مكان وجود الجواب عليهما؟
فتدخّل الآن يا رب، وأرشدني إلى الحقيقة الخافية،
لأن مجهودي البشري قد فشل. . .
أظهر لي يا رب الحقيقة،
وتدخّل إن كان هذا الأمر يوافق مقاصدك،
وتريد نشر ما آل إليه مصيرهم،
فأنت يا ربّ قُدتني إلى هذه الأبحاث،
من خلال الكم الكبير من الصدف الإلهية التي عاينتها

---

(٦٥) إنه من قبيلة قريش، ومن البديهي أن يكون شفيع قريش ومكّة نفسها...

والتي كنت تختبئ أنت وراءها،

فيا لعظم قدرتك ومقدار تواضعك...

ختمت صلاتي بالشكر له على كل ما سيفعله...

بعد إنتهائي من هذه الصلاة، لا أعرف لماذا راود فكري «يقين داخليّ» بضرورة أن أرمي «الصنارة للصيد» للمرة الأخيرة، أي أن أقوم عن مقعدي وأن أبحث بين عشرات آلاف البطاقات التي تحوي أسماء كل الكتب والمخطوطات التي تحويها طوابق تلك المكتبة... وكانت المكتبة تغلق الساعة السادسة مساءً... وكانت الساعة قد صارت الرابعة من بعد الظهر... فبدأت البحث فإذا بي أصادف «بطاقة» مكتوبٌ عليها عبارة: «كتاب الفتوح – لابن الأعثم»، وحيث أنني كنت قد قرأت مئات المصادر التاريخية الإسلامية والمسيحيّة، إضافةً إلى ما كتبه «فطاحل» المستشرقين، ولكن إبن الأعثم لم يرد ذكره مرّة في أي كتابٍ أو مخطوطة قرأتها...

كتبت إسم هذا المرجع التاريخي الذي يعود إلى القرن العاشر ميلادي على ورقة صغيرة، بانتظار أن يأتيني به الموظف المسؤول...

في هذا الوقت، كان عليّ الانتظار لفترة من الوقت، إلى أن يصل الكتاب المطلوب. فقمت «لأتمشّى» في المكتبة لأنه كان قد عيل صبري بسبب جلوسي منذ الصباح في المكتبة بهدف القراءة، فإذا بكتاب «ضخم» موجود على أحد الرفوف يلفت نظري ويجذب إنتباهي، فاقتربت وسحبته عن الرفّ (أي إني اخترته من بين آلاف الكتب الموجودة)، ولكن يا للصدفة الجميلة فقد كان يحمل هذا العنوان «الغريب»: «القديسون المنسيّون في الكنيسة الانطاكية»، تقديم البطريرك إغناطيوس الرابع هزيم – وما إن فتحته (أي الكتاب)، وجدت في أعلى الصفحة إسم: «القديس أنطونيوس القريشي» – المتوفي سنة ٨٠٠ م – عيده يوم ٢٤ كانون الأول.

فقلت في نفسي هل يُعقل أن كلمة «القريشي» تشير إلى قبيلة «قريش» المكيّة؟
وهل الأمير روح هو القديس أنطونيوس هذا؟
نظرت في السطر الأول من الصفحة فقرأت التالي:
«وكان أمير يدعى روح وهو إبن عم الخليفة هارون الرشيد. . . .»
فعلاً إندهشت من هذه «الصدفة العجيبة». . .
فشكرت الرب من كل قلبي، وملأ الفرح كياني،
ولكني لم أكن أنتظر أن يكمل «روح الله». . .
هذا الريح الإلهي مفاجآته لي. . .
ففيما أقرأ قصة حياة هذا «الأمير – القديس»،
والذي لا يعرف بوجوده أحد. . .
ولم يُكتب عنه سوى في هذا الكتاب الروحي الوحيد،
والذي هو نتاج بحث روحي عن مخطوطة نادرة موجودة
في دير القديسة كاترين – في سيناء. . .
إذا بالموظف يجلب لي مجلّدات «كتاب الفتوح – لابن الأعثم»،
فأخذت المجلد الأول وفتحته،
فإذا بي أصادف العبارة التالية:
«وعندما علِمَ أبو بكر. . . بثورة ملوك كندة في حضرموت (اليمن)
إغتمّ غماً شديداً. . .»
فعلاً يا لجمال تدخلات الروح الإلهي الذي يرشدنا إلى الحقّ كلّه. . .
لقد كنت فرحاً وسعيداً لما صادفني فالروح القدس «ألهادي الأعظم». . .
أرشدني إلى جوهرتين نادرتين
من «جواهر الحقائق التاريخية المطموسة». . .
وعلمت من جديد أنه ليس بقوتي يتمّ أي عمل،
وإنما بالعمل تحت نظر الربّ وإرشاداته. . .
له المجد والعبادة والشكر إلى الأبد. . .

الأمير روح ألقريشي
إبن عم الخليفة هارون الرشيد
(القديس أنطونيوس ألقريشي - ٨٠٠م)

إنّ أحد أقدم التقويمات (الكلندار أو روزنامة) المارونية، الوارد في مخطوط الفاتيكان السرياني رقم ٣١٣، والعائد إلى القرن السادس عشر، يذكر عيد هذا القديس في ٢٤ كانون الأول على هذا النحو:

«القديس الشهيد أنطونيوس الذي من قبيلة هاجر».

على أنّ كنيستنا المارونية ألغت من الكلندار (روزنامة أعياد القديسين)

عيد هذا القديس «القريشي» بسبب كثرة عدد القديسين.

والكنيسة السريانية الأورثوذكسية حدّدت عيد هذا القديس في تقويمها المسمّى «ربّان صليبا» (القرن الرابع عشر) في اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول. أما التقويم الجيورجي الفلسطيني فيذكر عيده في ١٩ كانون الثاني. ويبدو أن الكنيسة الملكية، أي كنيسة الروم الأورثوذكس والروم الكاثوليك هي أول من أعلنته قديساً.

على أن أقدم ذكر تاريخي لعيده جاء على لسان أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفي سنة ١٠٤٩ م. فقد جاء في مؤلفه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» خلال تعداده لأعياد المسيحيين الملكيين في مقاطعة خوارزم التالي: «**ذكر أن أنطونيوس الشهيد.** زعموا **انه ابو روح ابن عم هرون الرشيد وانه تنصّر بعد الإسلام فصلبه هرون.** وله عندهم (أي في الكنيسة الملكية) قصة طويلة عجيبة ما سمعناها ولا قرأنا مثلها في كتب الأخبار والتواريخ. **على أن النصارى قوم**

سمّاعون مصدّقون لمثل ذلك، وخاصة ما تعلّق بديانتهم ناظرين من جميع الجهات في تدقيق الأخبار وتحقيق الآثار».

وفي القرن الثاني عشر ذكر البطريرك ميخائيل الكبير في تاريخه ما يلي: «شيّد هارون (الرشيد) مدينة بالقرب من قالينيقوس[٦٦]... فوقع الشعب في ضائقة مالية إلى درجة الجوع، بسبب نفقات البناء... ووجد في هذه الفترة رجل قرشي (قريشي) الأصل يدعى رويح (روح)، وكان بيته (قصره) ملاصقاً لكنيسة، وقد اعتاد أن يطلّ عليها كلّما أقيمت الصلاة، ويرمي الكاهن بكرات طينية خلال إقامة الذبيحة الإلهية. وفيما كان ذات يوم يطل كعادته. رأف به الله العارف بكل شيء قبل أن يكون، إذ رأى في الصينية حملاً ملطخاً بالدم بدلاً من خبز وخمر القربان. فشده (ذهل) من هذا المشهد وتوجّه إلى الكاهن ليتأكد مما يرى... فترك (الأمير روح) بيته واعتمد (أين؟ لا يذكر...) والتحق بدير (أين؟ لا نعرف...). فاستدعاه هرون الرشيد وسأله عن موضوعه، فشرح له بكل شجاعة ما أراه الله، وصمّم على عدم هجر (الديانة) المسيحيّة، ولئن راح (مات) ضحية العذابات (كان يعرف مقدار العذابات التي تنتظره كمرتد..)، فكبلوه بالحديد وسجنوه، وبعد أن أذاقوه مرّ العذاب، استدعاه هارون (الرشيد) ثانيةً ووعده بمنصب رفيع إن هو هجر المسيح، ولمّا لم يرضخ أمر (الخليفة) بقطع رأسه بالسيف، فوضعوه على خشبة وعلقوه على سور مدينة رفيقا (الرقّة). وقد شاهد الجمهور (مسلمين ومسيحيين) نوراً هابطاً عليه من السماء»[٦٧].

---

(٦٦) مدينة كانت تقع قرب الرقّة.

(٦٧) تاريخ ميخائيل الكبير (القرن ١٢)، المجلد الثاني – ص ٤٤١.

القديس الشهيد أنطونيوس القريشي[٦٨] (٨٠٠ م)

(مخطوط سينائي عربي رقم ٥١٣ – القرن ١٠)

«كان رجل من الأشراف (أي أنه امير فهو إبن عم الخليفة هارون الرشيد) إسمه روح نازلاً في مدينة دمشق في موضع يقال له النيرب، في دير هناك على اسم الشهيد ثيودوروس. وكان الأمير روح قريشياً ماجناً، كثيراً ما **يمد يده إلى القربان المقدّس في الكنيسة** فيأكله ويشرب ما تبقّى في الكأس المقدسة. **ويبدو أنه كان يقلع** أحياناً **الصلبان** من مواضعها **ويشق أردية المذبح**...

فحدث ذات يوم، بعد فراغ الشعب من القداس الإلهي، أن لفتت هذا الرجل القريشي أيقونة القديس ثيودوروس.. فتناول روح قوسه ووتّره ثم سدّده باتجاه الأيقونة فانطلق السهم **حتى دنا منها، على مدّة يد، فإذا به ينثني راجعاً ليخرق كفّ صاحبه.** فلما نظر الأمير هذا الأمر العجب وجف قلبه واعتراه الذهول. وإذا به، ينزع السهم من كفّه فوقع مغشياً عليه من عظم الألم. **وكتم روح الأمر.**

ومرّت الأيام ووافى عيد القدّيس الشهيد ثيودوروس **فكان القداس الإلهي.** فلما خرج الكهنة بالقرابين، وكان الأمير روح جالساً في شرفة قصره، **إذ به يرى في صحفة القربان شكل حمل**[٦٩]**، أنصع بياضاً من الثلج... فعجب للمشهد أشدّ العجب وجعل يتفكر في الأمر قائلاً: «سبحان الله! حقاً إن المسيحية دين شريف!»**... وإذ انفضّ الجمع نزل روح من مجلسه وجعل يخبر الناس بما

---

(٦٨) أنظر كتاب "القديسون المنسيون في الكنيسة الأنطاكية" – قدّم له البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم – إعداد الأرشمندريت توما البيطار – يوم ٢٥ كانون الأول.

(٦٩) فالجسد الذي حلّ فيه الكلمة الأزلي (نطق الله المتجسد) هو الكفّارة عن خطايانا، أو ما يسمّيه الكتاب المقدّس "حمل الله الحامل خطايا العالم".

عاين شغوفاً، فعظّموا الله شاكرين وانصرفوا فرحين مسرورين.

ولما حلّ المساء جعل الأمير القريشي يتفكّر في الأمر، وسهر الليل بطوله. ولما أذن الفجر، **غمضت عيناه فأتاه القديس ثيودوروس وأيقظه وصرخ في وجهه: «لقد آذيتني بفعلك وعبثت بهيكل الرب... فأرجع الآن عن رأيك وآمن بالمسيح... وأقبل إلى الحياة...»**. ولما قال له هذا غاب عنه. فجعل روح يتأمل في ما جرى مرتعباً متعجباً حتى وقع الإيمان بالرب يسوع المسيح في قلبه ناراً. فلما أصبح ركب جواده وخرج إلى موضع يقال له «الكسوه» حيث التقى أعداداً من المؤمنين في طريقهم إلى بيت المقدس، أورشليم. فسار برفقتهم حتى بلغ القدس. ثم دخل على إيليا، رئيس أساقفة أورشليم، فأخبره بجميع ما أبصر وسمع، وبكلام القديس ثيودوروس له. وطلب منه الأمير روح أن يعتمد، فأجابه: «أنا لا أقدر أن أعمدك يا بني لئلا نثير الوالي علينا فيحدث ما لا تحمد عقباه، ولكن قم إلى نهر الأردن والمسيح الإله موافيك هناك بمن يعمّدك في السرّ». فلما سمع كلامه انصرف لساعته إلى حيث أشار عليه.

وجاء روح إلى دير العذراء مريم في الخوزيب، في منتصف الطريق إلى الأردن. هناك أدركه المساء فبات ليلته في الكنيسة. وفي نصف الليل ظهرت عليه العذراء مريم. إذ وقفت عند رأسه وأيقظته. فصحا مبهوتاً ورآها فقالت له: «لا تحزن فإبني معك»!

وأطل الصباح، فاستيقظ مسروراً وصلى في الكنيسة ثم غادر... إلى أن بلغ البحر الميت. وإذا براهبين سائحين في تلك البريّة يلوحان. فبادر روح إليهما وتوسّل أن يعمّداه فأجاباه إلى ما سأل... ثم أطلقاه؟

وقفل الأمير روح (وصار اسمه أنطونيوس بعد المعمودية) **عائداً إلى دمشق حتى صار إلى** قومه **وأهل بيته... فلما عاينوه قالوا له: ما هذا الذي صنعته**

بنفسك... فأجابهم: «قد صرت مسيحياً مؤمناً بالرب يسوع، فماذا تريدون مني؟!» فاستهجنوا واستعاذوا وحاجوه ساعات فلم يتمكنوا من إقناعه بالعدول عن رأيه. **فقاموا وجرّوه في سوق دمشق حتى صاروا به إلى قاضيها. فلما نظره هذا الأخير قال له: «ويحك يا روح! لم تركت دينك وقد ولدت عليه وتخليت عن حسبك القريشي وشرفك كأمير وصرت نصرانيا كافراً!؟» فأجابه أنطونيوس: «هذا قليل مني لأحظى برضى الرب يسوع، فمر الآن بما رغبت!» فلما سمع القاضي قوله ضربه وحبسه. فأقام في السجن سبعة شهور. ثم طرح في بيت مظلم مع قطاع الطرق واللصوص فأقام معهم سبع عشرة ليلة يسيمونه العذاب.**

فلما كانت الليلة السابعة عشرة إذ بنور يشرق عليه في الليل حتى أضاء السجن كلّه وصوت يقول له: «لا تخف يا أنطونيوس! فلقد أعدّ لك الرب الإكليل مع الشهداء والأبرار».

وأخبر من كانوا معه في الحبس السجّان بما جرى فذهب وأطلع القاضي فأخرجه القاضي من السجن وحبسه مع نظرائه، من قريشين وعرب، فكانوا يؤذونه بالمجادلة ويمطرونه بالكلام اللاذع مقبّحين عليه مسيحيته.

ولما أشرف الليل على نهايته، وكان الجميع نياما، عاين أنطونيوس ملاكين بلباس أبيض، مع أحدهما... إكليل. فأخذه وجعله على رأسه.

فلما كان الصباح قام القديس فرحاً وأسرّ إلى من كانوا معه بما أبصر. إذ ذاك بعث إليه القاضي فأخرجه ونقله إلى مدينة حلب، ومن هناك ساروا به إلى الفرات حتى بلغوا الرقّة فدفعوه إلى واليها، فطرحه في السجن وضيّق عليه. ورفع الوالي قضيته إلى هارون الرشيد، فأمر بإطلاقه من الحديد وأحضره بين يديه. فلما مثل أمامه قال له الخليفة: «ويحك أيها الأمير روح

الشريف! ما الذي حملك لأن تصنع بنفسك ما قد صنعت، لعلّك محتاج إلى مال فأعطيك وأحسن إليك؟! فقط ارجع عن رأيك الوخيم هذا ولا تنخدع!» فقال له القديس: «لا، حقاً، ما خدعت، بل آمنت واهتديت إلى الربّ يسوع الذي أتى إلى العالم نوراً وخلاصاً لكل طالب ساع إلى رضاه، وأنا اليوم مسيحي مؤمن بالآب والإبن والروح القدس الإله الواحد». فلما سمع هارون الرشيد كلامه أمر بضرب عنقه. فقال القديس: «حقاً قد أعطيتني اليوم منيتي لأني أخطأت إلى ربّي... فرجائي أن يمحو ذنبي بعد ضربك عنقي بالسيف ويعمّدني بدمي!» فلما سمع الرشيد كلامه ضرب عنقه.

وإنهم صلبوه على شاطئ الفرات وأقاموا عليه حراساً لئلا يتقدم مسيحي فيأخذه. وكان الحرّاس ينظرون كل ليلة ناراً تنزل من السماء وتستقرّ عليه وكانوا يتعجّبون من ذلك. فآمن في تلك الأيام بسبب أنطونيوس ممن أبصروا النور خلق كثير. فاتصل الخبر بالرشيد فأمر بإنزاله عن الخشبة. فأنزل ووري الثرى في مدينة الرقّة. أما شهادته فكانت يوم عيد الميلاد (٨٠٠ للميلاد).

نجران[٧٠]
أرض أهل الخير والقداسة

«نجران هي أرض (أو منطقة جغرافية) تقع في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية، تحدها من الغرب الأراضي الجبلية العالية أي «ألعسير»، كما يحدها من الشرق «الربع الخالي» أو الصحراء الضخمة غير المأهولة. ففي هذه الأرض

(٧٠) هذه الفقرة ترجمتها عن كتاب "نجران مسيحيّو الجزيرة العربية" قبل الإسلام، للمستشرق الفرنسي روني تاردي – دار المشرق – ص ١١ – ١٣، وقد ساعدني في الترجمة الخوري جوني الراعي فله كل الشكر.

شبه المنعزلة، تختبئ روعة من الطبيعة، وقد عُرفت تاريخياً «بواحة نجران».

١ - واقع الواحة:

هذه الواحة «نجران»، كناية عن وادٍ طويل يمتد لمسافة ٢٥ كيلومتراً، ويصل إلى الصحراء، ويَضم من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الجبال الوعرة، مكوّنة من الصخر البركاني (Basalte) والغرانيت. واللون الأخضر (أي الاخضرار) يغطي هذه المنطقة، لأنه يجري فيها نهر ماء لمدة شهرين في العام، وليعبر هذه البقعة الجغرافية قبل أن ينتهي في الشرق في رمال الصحراء، لذلك تزدهر الزراعة فيها.

في الماضي كان عدد القرى كثيراً جداً، والتي كانت «معلّقة» على منحدر الوادي، وعلى رؤوس القمم. أما الآن فتوجد قرى في الوادي على مقربةٍ من الآبار والنخيل.

منذ القدم، كان هذا «الوادي - الواحة» عامراً ومأهولاً تشهد على ذلك النقوش الصخرية والفخاريات والأفران الصناعية القديمة، التي تدل على حضارة قديمة وُجدت فيها واندثرت. ومن القرن الرابع ميلادي ولغاية إجلاء عمر بن الخطاب الغالبية العظمى من سكان هذه الواحة، كانت توجد فيها جماعة مثقفة، غنية، ومزدهرة. وإن تاريخ نجران العريق الذي عاشته قبل غزوها من جيوش المسلمين، ما زال مطموراً تحت ركام الآثار.

وإن الأبحاث في علم النقوش والرقوم التاريخية بدأها (فيها وفي اليمن) العام ١٨٧٠ م العالِم الشهير في الآثار جوزيف هاليفي Joseph Halevy، وتابعها جون فيلبي في العام ١٩٣٦، ثم ريكمانس J. Rychmans في العام ١٩٥١ م. والجدير بالذكر أن هذه التنقيبات كانت تتم في ظروف صعبة، وإن آخر التنقيبات الأثرية التي جرت في شهر شباط سنة ١٩٨٢، دامت فقط لأربعين يوماً. إذ منعت

السلطات السعودية المنقّبين من إكمال عملهم. والأسباب تعود إلى:

١ - السبب الأول: سياسة «ألطمس»، (وقد اعتمدت مع عمر بن الخطاب وتعتمدها السلطات السعودية اليوم).

٢ - السبب الثاني: «وهو الأهم بالطبع، فيعود للدين»[٧١]

فالكتّاب المسلمون الذين لا يهمهم أو يعنيهم ألماضي المسيحي «للجزيرة العربيّة»، أي فترة ما قبل الإسلام. فبالنسبة لهم وللمسلمين عامةً، فإنهم يعتبرون أن الجزيرة العربية كانت تعيش في جاهلية العداء والتناحر والقتل والسبي، فأتى الاسلام دين الرحمة والسلام، وبسط الطمأنينة والعلم والازدهار في تلك الربوع...؟!

أما بالنسبة للمسيحيين العرب، فإنه من النادر أن يفكّر أحدهم بالكتابة عن ماضيهم المسيحي المجيد والبعيد... مع ما يرافق نبش الحقائق التاريخية الصادمة والمطموسة من خطر على الحياة والتعرض للتهجمات وتأليب الغوغاء عليه. إضافةً إلى انتشار روح الميوعة والمساومة، والتي نراها خاصة لدى الكثير ممن يفترض بهم أن يشهدوا للمسيح، حتى لو كلّفهم ذلك أن تصطبغ ثيابهم باللون الأحمر الحقيقي أي بلون الدم...

وإنني سأدرس وإياكم المصادر الدينية والتاريخية على ندرتها التي أرّخت لانتشار المسيحيّة في «نجران» أرض البحبوحة والقداسة والشهادة الحقّة للمسيح.

المسيحيّة في نجران

(٧١) هذه الفقرة ترجمتها عن كتاب "نجران مسيحيّو الجزيرة العربية" قبل الإسلام، للمستشرق روني تاردي - دار المشرق - ص ١١ - ١٣، وقد ساعدني في الترجمة الخوري جوني الراعي فله كل الشكر.

ذكر الانجيل المقدس[٧٢] وجود عرب في أورشليم في عيد العنصرة، يوم فاض الروح القدس على التلاميذ فامتلأوا من الروح القدس: «كانوا مجتمعين كلّهم في مكان واحد، فخرج من السماء فجأة دوي كريح عاصفة... فامتلأوا من الروح القدس.. وقالوا: ... نحن من برثية... وما بين النهرين.. وعرب..» (أعمال ٢/ ١ و١١).

ومن المؤكد اعتبار أن رسل المسيح كما أنهم بشروا كل أقطار المعمورة واجترحوا المعجزات باسم الرب يسوع، الكلمة الأزلي. فإن البشارة بطبيعة الحال وصلت إلى الحجاز ونجران واليمن وغيرها، لوجود جاليات يهوديّة في كل من يثرب ونجران واليمن يومها.

فيكون أيضاً أن المسيحيّة انتشرت بين بعضهم كما انتشرت بين عرب الجزيرة، وذلك منذ الأيام الأولى لانتشار المسيحيّة. ويخبرنا بولس الرسول وهذا ما قد يفاجئ الانسان غير المطّلع على الانجيل المقدس، بأن أول رسالة قام بها، بعد ظهور المسيح عليه ودعوته له لتبشير الأمم، هي في الإعرابية (غلاطية ١/ ١٧)، أي ديار العرب من الشمال حتى الحجاز. وقد ذكرت سيرة إبن هشام إسم رسول المسيح الذي نشر المسيحية في الحجاز: «وكان من بعث عيسى عليه السلام من الحواريين... إبن ثلماء، إلى الاعرابية وهي أرض الحجاز»[٧٣].

وذلك الرسول يسمى في الانجيل المقدّس «برثلماوس»[٧٤] أحد الرسل الحواريين، وهكذا نُدرك بحسب الانجيل المقدس والسيرة أنّ التوحيد المسيحي

(٧٢) المؤرخون العرب يرون في العربية "أرض الحجاز"، إبن هشام ٤/ ٢٥٥، وإبن خلدون ٢/ ١٥٠، والطبري ١/ ٧٣٨.

(٧٣) إبن هشام، السيرة النبوية ٤/ ٢٥٥.

(٧٤) بارثلماوس: كلمة آرامية مع نهاية يونانية للإسم: "بار" يعني إبن، "وثلما" نسبه، و"وس" نهاية يونانية للكلمة.

دخل إلى العربية والحجاز منذ عهد الرسل خلفاء المسيح له المجد.

ولعلمنا بالمعجزات التي كان يجترحها رسل المسيح بإسم مُرسلهم القدوس، (إذ إنه «كلمة الله الأزلي» أي نطق الله الذي هو والله واحد). ندرك أن المسيحيّة كانت قد انتشرت في بلاد الحجاز ونجد وصولاً إلى نجران التي هي على تخوم منطقة الحجاز منذ القرون الأولى للمسيحية...

- **رقي نجران وغناها:**

يقول الرحّالة إبن المجاور عن غنى نجران التالي:

«هذا الحصن (أي نجران) ما بين نجد واليمن... فمدينة نجران عليها المعوّل في البيع والشرى (أي الشراء)».

(في كتابه تأريخ المستبصر - الجزء الثاني - ص ٢٥)

ومن عبارة «المعوّل» عليها «في البيع والشراء...

ندرك أنها مركز تجاري في الجزيرة العربية، فطريق القوافل من اليمن إلى الشام ومن الشام إلى اليمن فالحبشة أو الهند كان يمر بمدينة نجران، مروراً بمدينة الفاو عاصمة مملكة كندة...

كما ينسب إلى القديس ماري أحد الرسل السبعين إدخال المسيحيّة إلى اليمن وبلاد العرب سكان الخيم وجزائر بحر اليمن (جزيرة سقطرى..) وبحر الهند[٧٥].

أضف إلى ذلك ارتباط أهل نجران، بعلاقات تجارية واجتماعية جيدة مع الحبشة وبيزنطة وغسان والحيرة وكلّها بلاد مسيحيّة معروفة. وإن الرسل

---

(٧٥) أنظر لائحة المؤرخين المشرقيين السريان والغربيين من اليونان واللاتين والتي ترجع إنتشار المسيحية في بلاد العرب تلك إلى فجر ظهور المسيحية وقد أوردها المؤرخ الأب لويس شيخو في كتابه النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٥٢ - ٥٣.

المسيحيّين الغيورين على انتشار إنجيل الخلاص والسلام الحقيقي قد أوصلوه (ومن بعدهم الرهبان والقسس) على مرّ السنين والقرون إلى نجران وباقي أنحاء الجزيرة العربية. **وقد اهتمت حتى السيرة النبوية لابن هشام**[٧٦] **بذكر كيفية دخول المسيحية إلى نجران نقلاً عن مسيحيي نجران أنفسهم**[٧٧] **فتورد التالي:**

- <u>إعتناق أهل نجران للديانة المسيحية</u>

«**قال إبن إسحق:** . . . حدثني بعض أهل نجران عن أهلها: «**أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان**، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران: القرية العظمى التي إليها جماع (مجموع) أهل تلك البلاد - ساحر يعلّم غلمان أهل نجران السحر، **فلما نزلها فيميون** - ولم يسمّوه لي باسمه الذي سمّاه به ابن منبّه، قالوا: رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر، . . . فجعل يجلس إليه ويسمع منه (الانجيل المقدس). . . حتى أسلم، فوحّد الله وعبده. . فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران. . . **قال. . . يا عبد الله (فلان) أتوحّد الله وتدخل في ديني (ألمسيحي) فأدعوا الله فيعافيك ممّا أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم فيوحّد الله (أي يؤمن بالله وكلمته وروحه الإله الواحد) ويُسلم، ويدعو له فيشفى. حتى لم يبق بنجران أحدُ به ضرّ (أي مرض) إلا أتاه فاتبعه على أمره (صار مسيحياً)، ودعا له (صلّى من أجله) فعوفي (نال الشفاء والعافية). . .** واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر (القديس فيميون)، وكان على ما جاء به عيسى من الانجيل (المقدس) وحكمه. . . فمن هنالك كان أصل (إنتشار)

(٧٦) السيرة النبوية – المجلد الأول – ص ٢٤.

(٧٧) سمّوا من بشّرهم بالمسيح بإسم فيميون، أما إبن منبّه اليهودي الذي أسلم فيسمّيه عبد الله بن الثامر.

النصرانية (المسيحية) بنجران»[٧٨].

وفي أيام إبن المجاور في القرن الثالث عشر، كان ما يزال ثلث سكان نجران، مسيحيين من المذهب النسطوري:

«نجران عليها المعوّل في البيع والشرى، وينقسم أهلها على ثلاث مِلل، ثلث يهود و**ثلث نصارى** وثلث مسلمين...» (ص ٢٠٩)

فرغم تهجير المسيحيين (الملكيين واليعاقبة عنها على يد عمر بن الخطّاب، إلاّ أن الخليفة عمر لم يُجلِ المسيحيين «النصاطرى»[٧٩] منها، «فظلوا لفترة ما البقية الباقية من مسيحييها» قبل أن يُكرهوا هم أيضاً على إعتناق ما لا يرغبون.

وهذا ما يؤكده تقويم قديم للكنائس النسطورية (ص ٩) الذي طبعه المطران بطرس عزيز الكلداني وقد ورد في حاشيته أن البطريرك يوحنا الخامس النسطوري **قال أنه «كان لمدينة نجران أسقف سنة ١٢٦٠ م يدعى يعقوب وأن في أنحائها كان ١٤٠٠ بيت من النساطرة».**

غنى أهل نجران قبل مجيء الإسلام

إن غنى أهالي نجران المسيحيين كان مشهوراً ومعروفاً قبل الإسلام، فبعد أن قتل الملك ذي نؤاس اليهودي سنة ٥٢٣ م، آلاف المسيحيين في نجران، خاطب الشريفة الغنيّة المسيحية «روهوم بنت أزمع» قائلاً لها[٨٠]:

«قولي فقط إن المسيح هو إنسان، وابصقي على الصليب وامضي إلى بيتك وبنتيك. فلما سمعت الحفيدة روهوم وكانت في التاسعة من عمرها، الملك ذي

(٧٨) السيرة النبوية – إبن هشام – بشرح الوزير المغربي – المجلد الأول – ص ٢٤ – دار الفكر.
(٧٩) أنظر كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية – للأب لويس شيخو – ص ٦٧ – دار المشرق.
(٨٠) كتاب "الشهداء الحميريون العرب" – نشره وحققه البطريرك يعقوب الثالث – ص ١١.

نؤاس يقول لجدتها أن تكفر بالمسيح وتبصق في الصليب ملأت فاها (فمها) بصاقاً وتفلت على الملك (اليهودي) وإن هذه الفتاة الصغيرة واسمها روهوم باسم جدّتها، كانت أمّها قد قُتلت مع السيدات النجرانيات اللواتي قتلن قبل يوم، ثم قالت للملك ذي نؤاس: «ألبصاق عليك إذ لم تخجل أن تقول لجدّتي أن تكفر بالمسيح (كلمة الله المتجسد) وتبصق في الصليب. ألكفر بك وبكل من يكفر نظيرك بالمسيح (كلمة الله المتجسد) وبصليبه (الخلاصي)... إنّ جدّتي أشرف من أمّك، وإن عشيرتي[٨١] أنبل من عشيرتك. ومع هذا فقد تجاسرت أن تقول لسيدتي لتبصق في الصليب وتكفر بالمسيح. فليُسدّ فوك (فمك) أيها اليهودي القاتل... ولما قالت الفتاة هذا للملك (اليهودي) أمر (جنوده) فألقوا بجدّتها الأرض. ولتخويف جميع المسيحيين، ذبحت عليها (أي على الجدّة) الفتاة (أي حفيدتها)، فسال دمها في فم جدّتها. ثم ذبحت إبنة روهوم (أي الابنة الثانية للجدّة) واسمها أمّة، وسال دمها هي أيضاً في فم أمّها الملقاة أرضاً.

ثم أقامها الملك عن الأرض وسألها: كيف تذوّقت دم إبنتيك؟

فأجابت: إني تذوقته بفمي وبنفسي كقربان طاهر لا عيب فيه، فأمر فحزّ رأسها للحال».

وبعد مقتل «ألشهيدة الشريفة» روهوم بنت أزمع النجرانية.
تقدّم العظماء (أشراف مملكة حمير من اليهود) إلى الملك وقالوا له:

«إن هذه المرأة قد أسدت أيادي بيضاء إلى كل أحد، أي الملك (السابق) والعظماء والفقراء. وهكذا فعلت حيناً مع «عُدوكرم» الذي كان ملكاً قبلكم عن هذا البلد (أي على مملكة حمير)، إذ (لمّا) أحتاج (المال) إستقرض منها إثني

---

(٨١) كانت تلقّب قبيلة الحارث بن كعب المسيحيّة في نجران "بجمرة العرب" أي أنها أنبل عائلة عربية في الجزيرة العربية وأعرقها نسباً وشرفاً.

عشر ألف دينار، وأخيراً لما رأته وقد احتاج (لم يستطع الإيفاء)، تركتها (له) مع رباها (أي فائدتها). وقد أعانت كثيرين في كل شيء. لذلك نطلب منك أن تمنحنا... أن ندفن هذه المرأة إعترافاً بأياديها البيضاء على كل أحد، لأنها كانت في كل شيء تصنع الخير سوى أنها كانت مسيحيّة... ودفنوها على ضفّة الوادي الذي قُتلت فيه رفيقاتها.. وقد نالت الشهادة الطوباوية روهوم (وتسمى أيضاً رومي Romi) بنت أزمع وابنتها أزمع وابنتها التي تدعى أمّة وابنة إبنتها واسمها روهوم، يوم الأحد الواقع في ٢٠ تشرين الثاني سنة ٥٢٣ م»[٨٢].

لقد كانت الشهيدة روهوم كباقي سكان نجران المسيحيين، يعيشون ليس فقط في البحبوحة، بل في الغنى. بسبب موقع نجران الجغرافي اذ كانت مكان تقاطع لخطين كبيرين للقافلات التجارية، ولأنها (أي نجران) أقامت علاقات تجارية مهمة منذ القديم مع بلاد الحبشة واليمن وعُمان وبيت قطرايي وفارس وصولاً إلى الهند، كما مع بلاد شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

إضافةً إلى ذلك كان في نجران تجمع صناعي(٨٣)، وهذا ما يشرح تعجب رسول المسلمين من نوعية ثياب أهل نجران المسيحيين والخراج الذي فرضه عليهم وهو إلزامهم بضريبة سنوية قيمتها: «٢٠٠٠ حلّة» أي ثياب حريرية... إذ ورد في السيرة النبوية لابن هشام[٨٤] بأن وفد نجران عندما مثل أمام رسول المسلمين ظنّهم من أهل الهند لإنهم كانوا يلبسون «الحرير»:

«قدموا (أي وفد نجران) على رسول الله ص. فدخلوا عليه في مسجده.. عليهم ثياب الحبّرات، جنب وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

---

(٨٢) أنظر كتاب "الشهداء الحميريّون" العرب نشره وحققه البطريرك يعقوب الثالث – ص ١١.

(٨٣) أنظر كتاب نجران للمستشرق الفرنسي روني تاردي – دار المشرق.

(٨٤) السيرة النبوية – إبن هشام – الجزء الأول – ص ٤١٥ – دار الفكر.

قال بعض من رآهم (من أصحاب محمد) يومئذ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم. . . »

وعندما فرض عليهم الجزية، فرضها مالاً . . . أو ثياباً . .

وهذا يشير إلى وجود مصانع للثياب . . . في نجران يومذاك. . .

وهذا دليل تاريخي آخر على ثراء نجران، قبل أن يتمّ فيهم ما تمّ. . .

إذ ورد في السيرة النبوية لإبن هشام أيضاً:

«فلما قدِموا على رسول (المسلمين) فرآهم، قال:

من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند. . . ومن كان (منهم) على نصرانيته أو يهوديّته فإنه (يُدفَع عن). . . وعلى كل ذكر أو أنثى. . . دينار وافٍ أو عرضُه[٨٥] ثياباً».

كما كانت المياه متوفرة في نجران قبل الاسلام،

وكانت أساليب الري فيها هي الأكثر تطوراً في القديم

(أي قبل قدوم جيش المسلمين إليها وتهجير غالبية المسيحيين منها).

وكان يرأس مدينة نجران ومنطقتها أحد الأشراف وفي خلال مجزرة سنة ٥٢٣ م، كان يرأسها الشريف الحارث بن كعب، (وهو أحد قديسي الكنيسة الكاثوليكية) و كانت القرارات المهمة تتخذ بالتشاور مع باقي أشراف المدينة وسكانها، لذلك عُرفت مدينة نجران ومنطقتها لدى البيزنطيين وباقي سكان البحر المتوسط، «بالمدينة – الدولة»(٨٦)، «City – State".

إلا أنه وبسبب تهجير عمر بن الخطّاب لغالبية سكان نجران المسيحيين من بيوتهم وديارهم وفرض الضرائب الباهظة عليهم لتمسّكهم بمسيحيتهم، إضافة إلى مقتل بعضهم (كأهل قرية رعاش من أرض نجران)، «إذ ورد في

(٨٥) ابن هشام – بشرح الوزير المغربي – جزء ٢ – ص ١٠١٤ و١٠١٦).

(٨٦) كتاب العرب على حدود بيزنطة وإيران للمستشرقة الروسية نينافيكتورفنا بيغوليفسكيا – ص ٣٨٧ – ترجمة صلاح الدين عثمان – الكويت.

معجم ما استعجم للبكري (ص ٤١٩) عنهم[٨٧]: «أنهم (أي أهل قرية رعاش) ارتدّوا إلى النصرانية (المسيحية) فجعل ذمّته منهم بريئة».

إضافة إلى ذلك فإنّ **توقف الخط التجاري وانقطاع العلاقة التجارية التي كانت تربطهم مع بيزنطة والحبشة والهند**، وهذا ما أكّده الرحّالة إبن المجاور في مخطوطه (القرن الثالث عشر)، إذ يقول: «**الطريق القديم** (بين بيزنطة والهند والحبشة)... **كان هذا الطريق يسلك في أيام الجاهلية، فلما ظهر الإسلام بطل...**».

إنّ كلّ هذه الأسباب مجتمعةً، أدّت إلى أفول ثراء أهل نجران،
فتعرّضوا للفاقة والاضطهاد والتهجير
إلى العراق والشام والقسطنطينية وكبادوكيا وغيرها،
كل ذلك سببه ما صرتم تفهمونه وتعرفونه...

مذبحة نجران (سنة ٥٢٣ م)

كان لكنيسة اليمن ونجران إكليروس محلي، أي أن الأساقفة وخدّام الكنائس كانوا مِن أهل البلاد وهذا يدلّ على تجذر المسيحيّة في تلك المناطق منذ أمد طويل. وكان لكنيسة اليمن الآلاف من شهداء الإيمان الذين قتلوا باضطهاد اليهود لهم، وخاصةً في أيام الملك اليهودي ذي نؤاس الحميري الذي عمد إلى تقتيل مسيحيي اليمن (٥٢٣ – ٥٢٤ م) في ظفار ومخّا ومأرب وخصوصاً في نجران إذ ركّز على بني الحارث بن كعب الملقبين «بجمرة العرب»[٨٨].

والمراجع المسيحيّة ككتاب الشهداء الحميريين (القرن السادس الميلادي) كما السيرة

(٨٧) إبن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، ص ٢٠٣ – القسم الأول – مطبعة بريل ١٩٥٤.
(٨٨) أي أشرفهم نسباً وأرقاهم مكانة وفضيلة، وهذا ما يتحقّق أيضاً في ملوك كندة المسيحيين الذين كانوا يُلقّبون بـ"كندة الملوك".

النبوية[٨٩]، تشير إلى مقتل أكثر من ٢٠ ألف مسيحي عربي في نجران وحدها:

«فسار ذي نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيّرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل... وقتل بالسيف (من قَتل) ومثّل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً»[٩٠]

إن هذه المواقف الإيمانية البطولية التي أبداها
بنو نجران، والحميريّون المسيحيّون
إنما تدلّ على عمق الإيمان المسيحي،
في نفوس العرب اليمنيين جنوب الجزيرة العربية،
ودلالةً على صمودهم في الدفاع عن جماعتهم المسيحيّة...
ولكن إن كان الملك أبي نؤاس اليهودي لم يستطع أن يبيدهم،
ولكن سيأتي من سيقتل ويهجّر ويفني...
فلنترك المراجع التاريخية تروي لنا ما جرى
لهؤلاء العرب المسالمين النبلاء والخائفين
لله الحقيقي الآب والكلمة والروح الإله الواحد
له العبادة والسجود إلى الأبد.. آمين.

«كعبة نجران»

بعد أن اصطبغت أرض نجران بدماء الآلاف من أبنائها وبناتها المسيحيين، أقام النجرانيون كنيسة أنفقوا عليها القناطير المقنطرة (من الذهب) وزيّنوها بأنواع الحلي، وكان العرب يقصدونها من كل صوب. وهذه «الكنيسة – المزار» شاع ذكرها عند العرب فدعوها بـ «كعبة نجران»، وضربوا بحسنها المثل وإليها أشار

(٨٩) (إبن هشام – جزء ١ – ص ٢٥).
(٩٠) راجع بالتفصيل كتابي في إمارة البطريق – ص ٧١.

الأعشى في بعض أبياته حيث قال يكلّم ناقته:

وكعبَةُ نَجرانَ حَتمٌ عليكِ حتّى تُناخي بأبوابهـا
نزور يزيداً وعبد المسيح وقيساً هم خيرُ أربابها

يريد بذلك الدلالة على حتمية زيارة كل عربي من أبناء الجزيرة «لكعبة المسيح» هذه، ثم يشير إلى أسماء من يتولّى الاهتمام بهذه الكنيسة وهم يزيد وعبد المسيح وقيس، إنهم من أعيان بني الحارث بن كعب[٩١] (شهيد المسيحيّة)، وأشرف العرب إذ لُقّبوا «بجمرة العرب»، كما أنهم أعرق الناس في المسيحيّة...

ومن أساقفة هذه «الكعبة النجرانية» الذي طبقت أخباره أقاصي العرب وأدانيها في ذلك الوقت، هو ألقس بن ساعدة أسقف نجران الذي ضربت العرب المثل في بلاغته، والذي كان يخطب في عكاظ حيث يجتمع العرب في سوقها ليتناشدوا الأشعار، فكان يدعوهم بخطبه إلى المسيحية دين السلام الحقيقي والخلاص والحياة الأبديّة الحقّة...

وما أودّ الإشارة إليه هو أن المستشرق وعالم الآثار البريطاني جون فيلبي[٩٢] ذكر في كتابه «النجاد العربية» أنه عندما زار منطقة نجران سنة ١٩٣٦ م، إكتشف «كنيسة نجران» على جبل تصلال الذي يبعد عن نجران بحوالي ٣٥ كلم، ولكنه مُنع من إكمال حفرياته، كما مُنع غيره من المستشرقين وعلماء الآثار (من بعده) من الدخول إلى تلك المنطقة؟![٩٣] **فسياسة الطمس العمريّة ما زالت سارية...**

---

(٩١) إنه أحد قديسي الكنيسة الكاثوليكية العالمية – أنظر بالتفصيل ما كتبته عن هذا القديس في كتابي: "في إمارة البطريق".

(٩٢) أنظر جون فيلبي – غوغل – بالانكليزية.

(٩٣) أنظر Google المسيحية في نجران – وغوغل – المنصرين في السعودية...

عهد محمّد لمسيحيي نجران

يذكر البلاذري في كتابه الفتوح[٩٤] مضمون العهد الذي أعطاه رسول المسلمين لمسيحيي نجران، وقد ورد فيه:

«... **هذا ما كُتب.. لنجران... عليهم... ألفَي حُلّة (رداء)... في كل (شهر) رجب ألف حُلّة، وفي كل (شهر) صفر ألف حلّة... وذِمّة محمد**[٩٥]**... على أنفسهم، وملّتهم (دينهم)، وأرضهم، وأموالهم.. وغيرهم.. وأمثلتهم** (أي الصلبان والصور) لا يغيّر ما كانوا عليه ولا يغيّر حق من حقوقهم وأمثلتهم، لا يُفتن أسقف من أسقفيّته، ولا راهب من رهبانيّته... وليس عليهم رهَق (أي أن المسلمون لا يرهقونهم بالضرائب أو بسوء المعاملة)، ولا يُعشرون[٩٦]**.. ولا (يكونوا) مظلومين بنجران... ولهم جوار الله وذمّة محمد...**

قالوا ولما استخلف (صار خليفة) أبو بكر الصديق... كتب لهم كتاباً على نحو (مماثل لـ) كتاب رسول (المسلمين)، فلما استخلف (صار خليفة) عمر ابن الخطّاب أصابوا الربا[٩٧]، **وكثروا... فأجلاهم...**»

عبرة روحيّة:

"هناك الثائرون باسم عقيدة يتّخذونها ربًّا،
وينحرون على مذبحها قوافل الضحايا، ويستبيحون حياة الأبرياء،
ويقضون على الله بحجّة القضاء على الشرّ" (غاندي).

---

(٩٤) البلاذري – فتوح البلدان – ص ٨٧ – ٨٩ – دار النشر للجامعيين.

(٩٥) أي أنهم صاروا على ذمّة محمد رسول المسلمين، أي تحت حمايته...

(٩٦) أي لا يؤخذ منهم عُشر ما يجنون...

(٩٧) إن عمر قبل وفاة رسول المسلمين كان يريد إجلاء المسيحيين اليعاقبة والملكيين عن جزيرة العرب، وقصة الربا ليست سوى عذر لتبرير تهجيرهم وافراغ الجزيرة العربية منهم...

«القديس فيميون والخليفة عمر...»

أعجوبة مسيحيّة... وطمسٌ عُمَري...

تروي السيرة النبوية لابن هشام[98] الأعجوبة التالية «للقديس فيميون»[99] وقد أعطته تسمية عبد الله بن الثامر: «قال إبن إسحق: كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر (أي القديس فيميون) رأسهم وإمامهم (أي الرئيس الدينيّ)... **حدث: أنّ رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطّاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفنٍ منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده، فإذا أخّرت يده عنها انثعبت (أي سال الدم منها)، وإذا أرسلت يده ردّها عليها، فأمسكت دمها، في** يده خاتم مكتوب فيه: «ربّي الله». **فكتب فيه إلى عمر بن الخطّاب يخبر بأمره، فكتب إليهم عمر:** «أن أقرّوه على حاله و**ردّوا عليه الدفن** (أي أطمسوه) الذي كان عليه، ففعلوا».

كمسيحيين عرب ولأن الرواية تخبر قصة أعجوبة
تتعلّق بديانتنا المسيحيّة المقدّسة يمكننا التعليق بما يلي:

١ – نحن أمام «أعجوبة لجثمان» قديس مسيحي آمن بالله والكلمة والروح الإله الواحد الحقيقي... وهذه الأعجوبة دليل على أن ديانته ديانة حقّ... وإيمانٍ صحيح... وأنّ مسيحيّي نجران ليسوا مشركين. وهذه الأعجوبة خير دليل...

٢ – إنّ الأعجوبة هي إشارة من الله فيها تقوية لإيمان مسيحيي نجران

---

(٩٨) المجلد الأول – دار الفكر – ص ٢٦.

(٩٩) هذه الأعجوبة اجترحها الله المثلث الصفات من خلال القديس فيميون...

وباقي المناطق في الشرق العربي المسيحي القديم، لأن خبر هذه الأعجوبة وصل إلى «أمير المؤمنين المسلمين». . . كما وصل إليهم. . .

٣ – إنها تحذير لخليفة المسلمين بعدم التعرض لمسيحيي نجران، فهذه الأعجوبة حصلت حتماً قبل أن يُهجّر مسيحيي نجران من ديارهم. . .

٤ – إن جثمان عبد الله بن الثامر (القديس فيميون) بقي غضاً. . .
وقد نزف دماً بعد مئات السنين من موته. . .
وهذا لم يحدث لا لرسول المسلمين نفسه. . .
ولا لعمر بن الخطاب أو أحد من المسلمين. . .

٥ – بعد أن علِم عمر بن الخطاب بأمر هذه الأعجوبة. . .
والتي حصلت بأمر من الله. . .
نتساءل كيف تصرّف وهو خليفة الله. . . وأمير جميع المسلمين. . .
الجواب نجده في أمره الحازم:
«ردّوا عليه الدفن» (ص ٢٦)
فلماذا يا خليفة رسول المسلمين. . .
ويا أمير «المؤمنين». . . «بالله. . . ورسوله». . .
ليس فقط تطمر جثمان هذا القديس. . .
وتخفي الأعجوبة. . . وتمنع المسلمين من رؤيتها،
بل إنك ستهجّر كل أهل نجران المسيحيين. . .
المؤمنين بالله المثلث الصفات
الاله الحقيقي والعجائبي الذي قدّس هذا القديس. . .
فهل هذه هي إرادة الله. . .؟
أم وصية رسول المسلمين. . .؟ أم إرادة مَن. . .؟

صلاة: يا أبانا السماوي،

إن سياسة طمس الحقائق القديمة - الجديدة ما زالت مستمرة...

فأرسل روحك القدوس بشبه ريح عاصفةٍ

ليهب على كل مناطق الجزيرة العربية...

بإسم يسوع نطلب منك يا ربّ

عجائب... وشفاءات.. ورؤى.. وأحلام...

ومواهب فائقة الطبيعة...

ليهتدي الكثيرون إليك ولتعضد من خلال أعاجيب حدوثها

كل المنصّرين العابرين إلى المسيحيّة...

من كل أنحاء الجزيرة العربية..

المحبّبة لنا والغالية عليك... آمين.

تهجير أهل نجران

لقد أجلى الخليفة عمر بن الخطّاب المسيحيين اليعاقبة والملكيين الذين شكّلوا غالبية مسيحيي نجران يومها، وقد قتل قسماً منهم في قرية رعاش من أرض نجران، كما أجبر غيرهم على إعتناق الإسلام، ويقول أبو جعفر النحاس عن عدد مسيحيي نجران: «وقد كثروا في نجران حتى بلغوا أربعين ألف مقاتل فَكَرِهَ عمر أن يميلوا على المسلمين فيفرقوا بينهم.... فأجلاهم إلى الشام»[١٠٠].

«فكرِه عمر»... وكِرهه...

إنتصر على إرادة القديس «فيميون» (عبد الله بن الثامر)

الذي كان بأعجوبته الشهيرة... ... ينتصر لبقاء مسيحيي نجران...

قرب أخدود أجدادهم... وعلى تراب موطنهم...

(١٠٠) في كتابه الناسخ والمنسوخ - أبي جعفر النحاس ص ١٦٢.

ولكن عهد رسول المسلمين لهم
أُطيح به... فهُجّروا... وظُلموا...
وتمّ فيهم ما تمّ...

مصير مسيحيي نجران الأسود

لقد أساء الولاة المسلمون معاملتهم، وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة: «فلما وُلي معاوية شكوا (إشتكوا) إليه تفرقهم (هُجّروا إلى البحرين والشام والعراق والقسطنطينية وغيرها) وموت من مات، وإسلام (أجبر بعضهم على ذلك) من أسلم منهم، وأحضروا كتاب عثمان.. وقالوا: إنما ازددنا نقصاناً (عددياً) وضعفاً (مادياً، فقد أسكنوا في النجرانية قرب الكوفة وهي أرض مجدبة وصحراوية..) فوضع عنهم (أي خفّض الضريبة إلى) مائتي حُلّة... ولما وُلي[١٠١] الحجاج بن يوسف العراق.. ردّ (الضريبة) إلى ألف وثماني مائة حلّة... ولما وُلي (الخليفة) عمر بن عبد العزيز[١٠٢] شكوا إليه فناءهم (يموتون من الجوع) ونقصانهم وإلحاح (مهاجمة) الأعراب (المسلمون) بالغارة عليهم وتحميلهم إياهم المؤَن المجحفة بهم (كان على أهل الذمة، أي المسيحيين واجب إضافة العابرين من المسلمين في منازلهم، «آكلين شاربين» لمدة قد تزيد على ثلاثة أيام، حسب دماثة أخلاق الزائرين...)... فأمر فأحصوا فوُجدوا على العشر من عدّتهم الأولى (أي من أصل الأربعين ألف رجل ما عدا النساء والأطفال، لم يبقَ حيّاً سوى ١٠٪ من عددهم الأساسي أي بقي حياً منهم ٤٠٠٠ رجل، مع ألعلم أن التهجير تمّ في سنة ٦٣٥ م، أما الاحصاء فتمّ في

---

(١٠١) أي صار والياً...

(١٠٢) إشتكوا إليه، ولكن هذا الخليفة كان أيضاً متعصباً، فأساء معاملتهم أيضاً كما يتبيّن لنا من سرد الوقائع اللاحقة في هذا النص...

عهد الخليفة عمر إبن عبد العزيز الذي حكم من سنة ٧١٧ – ٧٢٠ م) . . .

فلما استخلف (صار خليفة) أبو العباس (٧٥٠ – ٧٥٤ م) عمدوا (لاقوه) إلى طريقه يوم ظَهَر بالكوفة، فألقوا (عليه) فيه الريحان، ونثروا عليه وهو منصرف إلى منزله من المسجد (أي أنهم كانوا لطفاء ومسالمين ومحبّين ومنفتحين)، فأعجبه ذلك من فعلهم ثمّ أنهم رفعوا إليه في أمرهم، وأعلموه قلّتهم وما كان من (ظلم) عمر بن عبد العزيز . . . فردّهم أبو العباس إلى مائتي حلة، فلمّا استخلف (صار خليفة) هارون الرشيد (٧٨٦ – ٨٠٩ م) رفعوا إليه في أمرهم وشكوا تعنّت العمّال (الولاة) إيّاهم فأمر فكتب لهم كتاب بالمائتي حلّة . . .» (البلاذري – الفتوح – ص ٨٧ – ٩٢).

وهكذا نفهم أنهم كانوا يُظلمون بشكل متكرّر . . .
وما ذكرناه عن معاناة مسيحيّي نجران . . .
هو غيض من فيض الظلم والاجحاف وسوء المعاملة . . .
الذي عاناه المسيحيّون العرب،
تحت نير حكّام ظالمين متعصّبين،
لا رحمة في قلوبهم ولا ضمير إنساني،
بالطبع كان هناك خلفاء مستنيرون عادلون كالمأمون وغيره،
ووُجد حكام ذوو علم ومعرفة وبحثٍ وبعد نظر
على مثال البرامكة وغيرهم . . .
ولكن من كلّ ما تقدّم،
ندرك عمق المعاناة ومقدار الاضطهاد المستتر
الذي عاناه من تبقّى من مسيحيي نجران،
وكل ذنبهم أنهم
آمنوا بإله السلام والمحبة والحياة الأبدية الحقّة . . .

<u>قصص تاريخية :</u>   «دروس السيف القهرية . . . »

<u>قصة أولى:</u> أمر الخليفة المهدي سنة ٧٧٨ م . عَامِله «ألمُحتسب» بهدم كل الكنائس التي بنيت في عهد العرب وببيع عبيد المسيحيين ، وأجبر ٥٠٠٠ شخص من العرب المسيحيين من بني تنوخ على إعتناق الإسلام ، بعد أن أعطاهم درساً مرعباً حين حزّ رأس رئيس قبيلتهم أمامهم وكان يُدعى ليث ويلقّب بأبا محطّة ، وقد ذكر هذه الحادثة المؤرخ البطريرك ميخائيل الكبير (القرن الثاني عشر): «**جاء المهدي إلى حلب فاستقبله التنوخيون الساكنون في مضارب حلب ، وكانوا مهندمين وقد امتطوا خيولاً عربية ، فقال له أحدهم: «إن هؤلاء مسيحيّون ، فاستشاط غضباً وأمرهم بإشهار إسلامهم ، وبعد عذاب شديد أسلم نحو خمسة آلاف رجل ، أما النساء فنجون ولا تزال بعضهن حتى الآن في كنائس الغرب . كما إستشهد أحدهم ويدعى ليث**»(١٠٣) .

<u>قصة ثانية:</u>   «مَقلَب . . . وحُسن تملّص . . . »

«كان أحد وزراء الخليفة المأمون (٨١٣ – ٨٣٣ م) من آل مخلد تلك العائلة النجرانية القاطنة في العراق وكانوا يرتبئون (أي ينتسبون) إلى سلالة الشهيد الحارث بن كعب المسيحي النجراني(١٠٤). ويبدو أن هذا الوزير المسيحي أبي الحسن بن مخلد كان مُفضِلاً على كاتب لئيم خائن يدعى أبو الفضل فرج بن زياد الرخاجي. فكان من كيدِ هذا الكاتب على صديقه (المسيحي النجراني) ألمُفضل عليه ، أن جعل في رأس الشاشيات الأنيقة التي إصطنعها له (ليهديها للخليفة) صلباناً من خوص النخل ، وذلك لإثبات التهمة عليه بالنفاق ، كونه أخفى عن الخليفة أنه من «عبّاد الصليب» (أي أنه مسيحي). ولكن من حسن التوفيق أن

(١٠٣) تاريخ ميخائيل الكبير (القرن ١٢) – المجلد الثاني – ص ٤٢٤ – ترجمة المطران صليبا شمعون .
(١٠٤) إنه أحد قديسي الكنيسة الكاثوليكية ، وهو شفيع مدينة الرياض في السعودية .

المفترى عليه اكتشف المكيدة وأبدل الشاشيّات وأفحم المفتري العقوق لمّا اتهمه بين يدي الخليفة»[١٠٥].

قصة ثالثة: **«يا لإيمانهم العميق. . . »**

من المعروف أنّ الخليفة المأمون كان حكيماً عادلاً محبّاً للثقافة ومنفتحاً على المسيحيين، ولكن في بداية حكمه عانى من كثرة المؤامرات ومن حالات تمرّد خاصة في بلاد الشام، وكان زعيم المتمردين يدعى نصر، وقد ساندته عشائر في منطقة شمال سوريا، ولم يستقرّ حكم المأمون إلاّ بعد بضعة سنوات من إستلامه للحكم، وإن المؤرخ البطريرك ميخائيل الكبير اليعقوبي يشير في تاريخه إلى عدالة المأمون وطول أناته، ولكن في بداية حكمه وإثر شكوى كاذبة من عامّة المسلمين بحقّ «رئيس دير» من أصلٍ يمني بأنه شتم نبي المسلمين، فقد أصدر إثر ذلك قراراً بإلغاء الشعائر المسيحية، ولكن بعد إستشهاد هذا «الراهب اليمني البريء» (عبدون) حدثت آيات وعجائب كثيرة، فأدرك خطأه وسمح من جديد للمسيحيين بممارسة شعائرهم، كما تعرّض المسيحيّون اليمنيّون المهجّرون إلى الشام، إلى شبه مجزرة في منطقة منبج في شمال سوريا على يد قائد المتمرّدين على الخليفة المأمون. فلنقرأ ما كتبه البطريرك المؤرِّخ حول هذه الأمور: «ودخلوا (أي المسلمون على الخليفة المأمون) وقدّموا مذكرة ضد المسيحيين في ما يخص النواقيس والصلبان والخمر، مدّعين أن الخنازير تدخل المساجد واتهموا المطران باسيليوس والرئيس عبدون (اليمني) بشتم نبيّهم. فصدر قرار بإلغاء الشعائر المسيحية وإلقاء القبض على باسيليوس وعبدون، فهرب المطران، أما (الراهب) عبدون (اليمني) فقدّم شهادة للمسيح، حيث أغراه المأمون بالأموال والمناصب ليشهر إسلامه، ثم استعمل التهديد والوعيد والعذاب دون أن يفلح،

(١٠٥) كتاب رسوم دار الخلافة – هلال الصابي (أي الصابئي) – ص ٤٣ – ٤٤. وكتاب أحوال النصارى في خلافة بني العباس – د. جان فييه – ص ١١٨ – دار المشرق.

فزجّه في السجن، وبعد أن أمضى سبعة أشهر في السجن تحت التعذيب رحل أخيراً مستشهداً بحد السيف في وسط دار القضاء، وعلق على خشبة، وقد رافقت استشهاده آيات وعجائب كثيرة وعظيمة... ونشط المتمردون واشترى نصر (زعيم المتمردين على حكم المأمون) حصن بيت بالش وجمع قواته ونزل إلى نهر هاني بالقرب من الرقة... وعاث في القرى نهباً وسبياً، فانزعج المأمون من ذلك، فأرسل شبيب قائد الجيش على رأس سبعة آلاف من المقاتلين لمجابهة نصر.. أما نصر فانتصر في (تلك) المعركة... واضطر شبيب إلى الهرب والعودة إلى بغداد مع النفر القليل الذي تبقى معه... **أما نصر فلدى عودته من محاربة شبيب، طرق مسامعه أن جماعة اليمنيين (المسيحيين الذين هُجّروا إلى الشام في أيام الخليفة عمر) الذين في منبج، أعادوا بناء القرى الواقعة على شاطئ** نهر شغور الذي يسمّيه المسلمون ساجور. **فكمن لهم نصر مع جيشه لدى ذهابهم إلى العمل، وفتك بهم بما فيهم النساء، ومن كافة الأعمار. وإذ حلّ الناجون في دير بوريم، أحرق الدير فاحترق العديد العديد منهم، وكان الجنود (أي المتمردون) يقبضون على الذين يرمون أنفسهم إلى أسفل ويقتلونهم بحدّ السيف. وهكذا هلك عدد كبير (أي آلاف القتلى) من أولئك اليمنيين المساكين، فقطعوا (أي الثوار) رؤوسهم وحملوها معهم إلى سروج»**[١٠٦].

عبرة روحية:

"هناك مَن يثورون بحجّة الدفاع عن الله، ويرفعون راياته،
في حين يحدوهم التعصّب والاستئثار، والشحن الديني،
والتعطّش إلى سفك الدماء".

---

(١٠٦) تاريخ (مخطوطة) البطريرك ميخائيل الكبير (القرن ١٢) – ترجمة المطران صليبا شمعون – دار ماردين للنشر – الجزء ٣ – ص ٨ – ٩.

«المسيحيّة في «مملكة حِمَير»
«بلاد أليمن السعيد»

وُجِدت مملكة حِمَير في المنطقة المعروفة اليوم ببلاد «اليمن»، كما عرفت منذ أقدم العصور بإسم «مملكة سبأ»، و«الهند»[١٠٧] والعربية «السعيدة»[١٠٨] «والحبشة»[١٠٩]. أما لغتها فهي المعروفة «بالحميريّة». وكان لها قلم خاص يعرف بخط «ألمُسند»، فاستبدلته بمرحلةٍ لاحقة بالقلم السرياني كما أثبت العلماء والباحثون. ويؤكد ذلك ما رواه الطبري ونسبه إلى الزرقي قائلاً: «أنه رأى قبراً عظيماً على رأس جبل بالعقيق من ناحية المدينة (يثرب)، عليه حجران عظيمان فيهما كتاب بالمسند، فاحتملها معه ثم ألقى أحدهما وهبط بالآخر، فعرضه على أهل (المدينة ممن يعرفون) السريانية هل يعرفون كتابته فلم يعرفوه. وعلى من يكتب بالزبور (أي المزامير، وقد كتبت بالعبرية) من أهل اليمن ومن يكتب بالمسند فلم يعرفوه»[١١٠].

إذاً هذه الرواية تؤكد إنتشار السريانية والعبرية وخط المسند في بلاد اليمن والحجاز، قبل القرن الخامس ميلادي، وأنهم لم يكونوا في جاهلية عدم الإلمام باللغات والثقافات الأخرى، كما حصل في وقت لاحق...

ومن أشهر مدن مملكة حمير يرد في الوثائق السريانية الأسماء التالية: «سبأ، مأرب، ذي ريدان، ظفَّار، حَزْبَة، تيمَنة، هجران (هجرين)»[١١١]...

---

(١٠٧) كما عرفت أيضاً بإسم "الهند"، هكذا سمّاها أوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي ٥/ ١٠، وإيرونيموس في القرن الرابع م الذي سمّى رهبانها بـ"رهبان الهند".

(١٠٨) هكذا سمّاها الرحّالة والسائح قوزما إنديكويلوستوس نحو سنة ٥٣٥ م. أنظر أيضاً دائرة المعارف البريطانية مجموعة ٣ ص ٤٠٣، وقاموس الكتاب المقدّس.

(١٠٩) وقد لقّبت أيضاً بالحبشة بسبب احتلالها خلال فترات تاريخية من مملكة "أكسوم" أي الحبشة.

(١١٠) تاريخ الطبري مجلد ٢ ص ٢٤.

(١١١) أنظر كتاب صفحات من تاريخ المسيحيين العرب قبل الاسلام – الأب سهيل قاشا – المكتبة البولسية –

دخول المسيحيّة إلى بلاد اليمن

يعتبر القديس السرياني الشهير «مار أفرام»، وهو أحد قديسي كنيستنا المارونية الحبيبة، وأيضاً مار يعقوب الرهاوي وغيرهم من المفسرين السريان أن الخصي الذي عمّده ألمبشّر الشماس فيلبس بالذات (أعمال ٨: ٢٧)، كان وزيراً لكنداكة ملكة سبأ، لا الحبشة، ومما أثبته المؤرخ الكنسي الشهير أوسابيوس القيصري أن الرسول برتلماوس هو أول من بشّر فيها وفي بلاد الحجاز، وأنه كان قد اهتدى خلق كثير من سكانها على يده، بعد أن رافق الرب يسوع له المجد تبشيره بما صنعه من معجزات وعجائب...

وإنتشار المسيحية في اليمن قديم يؤكده ما ذكرناه عن الطبري، حين قال: بأن (الملك) الكندي كان مسيحياً (على دين النصرانية الأولى)[١١٢] هو ويُسر من قومه (أي الكثير من اليمنيين) الكنديين:

«من (مملكة) حِمَير... (ألملك) عَمرو بن حجر الكندي... وكان فيما ذكروا – على دين النصرانية الأولى، وكان يُسر ذلك (كثير) من قومه (أي على مثاله مسيحيين)»[١١٣]. في زمن بهرام بن يزد جرد (ملك فارس)».

ما أريد أن أوضحه من خلال هذا الأثر التاريخي ألمسلم، أي تأريخ الطبري لديانة ملك كندة المقيم في عاصمته الفاو والتي تتوسط الحجاز وحِمير هو أنّ غالبية أتباعه كانوا قد اهتدوا إلى المسيحية...

ص ١٨٢.

(١١٢) أي على إيمان الكنيسة الجامعة والعالمية (أي الكاثوليكية) والتي تفرّعت عنها الكنائس الأورثوذكسية والانجيلية كافة، والتي تتفق جميعها على الأمور العقائدية الأساسيّة، فلله الكلمة والروح القدس، إله واحد بصفات ثلاث وأن في المسيح طبيعتين، فهو رب من حيث أنه الكلمة الأزلي (أي كلام الله) وهو إنسان (من حيث الجسد الذي حلّ فيه الكلمة الإلهي).

(١١٣) تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك – ٣١٠ هـ – الجزء الثاني – ص ٩٢ – دار الفكر.

وإنّ تغلغل المسيحية في اليمن حصل قبل القرن الخامس م. فالطبري أشار إلى أن هذا الملك الكندي ويُسر قومه كانوا قد تنصّروا (أي إنتموا للمسيحيّة) قبل ذلك بوقت طويل... لأنّ المسيحيّة انتشرت عبر التبشير والاهتداءات والعجائب، لا عبر المذابح والسيف أو الترغيب بالسبايا والأنفال، وهذا يتطلّب وقتاً وصبراً وعملاً للنعمة الالهيّة في الضمائر والنفوس...

وإنّ عبارة: «في زمن بهرام بن يزد جرد ملك فارس[١١٤] (الطبري ص ٩٣)

تدل على زمن حكم الملك بهرام الفارسي إبن يزدجرد الأول الذي حكم من سنة ٤٢٠ ولغاية ٤٢٨ م... فيكون أن الملك الكندي وغالبية قبائل كندة المقيمين في الحجاز واليمن، كانوا يدينون بالديانة المسيحيّة قبل بداية القرن الخامس ميلادي، أي قبل سنة ٤٢٠ م.

وما أريد لفت الانتباه إليه، هو أن القيصر الروماني قسطنطيوس كان قد أرسل في حدود سنة ٣٥٢ م وفداً إلى بلاط ملك حمير، برئاسة ثيوفيلوس السيلاني[١١٥] الهندي، فنصّر الملك[١١٦] وبنى في مملكة حمير ثلاث بيع (كنائس)، كما أكّد ذلك المؤرّخ فيلوسترجيوس. وقد انتشرت الكنائس في المملكة الحميرية، ولا سيما في ظفار ومأرب والهجران (هجرين) وحضرموت. وخلال إحتلال الأحباش لليمن، زارها الرحّالة البيزنطي كوزما «cosmas indicopleustes» في سنة ٥٣٥ م فعدّد ما وَجد في طريقه من الكنائس في اليمن وباقي أنحاء الجزيرة العربية وقال ما تعريبه[١١٧]: «حيثما سرت تجد كنائس للمسيحيين وأساقفة وشهداء وسواحاً

---

(١١٤) لقد عدت إلى سلسلة نسب ملوك فارس التي حدّدها، المستشرق وعالم الآثار سيدني سميث.

(١١٥) من سيلان أي سيريلنكا حالياً.

(١١٦) أي تمّت معموديّة الملك الحميري...

(١١٧) أنظر المؤرخ مين: Migne، p. G.، TLXXX col 169 واطلب مجموع آباء اليونان، أو كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٦٥ – الأب لويس شيخو – دار المشرق.

(أي رهباناً يسوحون في الصحراء) حتى بين أهل العربيّة السعيدة الذين يُدعون بالحميريين كما في كل العرب (أي كل أنحاء الجزيرة العربية) أيضاً وبين النبط (الأردن) وبين قبيلة جرهم»...

وإن من تبقى من سلالة ملوك اليمن السابقين وسكانها العرب ثاروا على الأحباش وكسروا نير احتلالهم، رغم أنهم كانوا يدينون بالمسيحيّة مثلهم، فبعد موت الملك أبرهة وتملك إبنيه يكسوم ومسروق على مملكة حمير اللذين كانا قد أساءا معاملة الوطنيين الحميريين أخذ أمراء حمير وأشرافها ومواطنيها يسعون للتخلص من نير المحتل الحبشي. وكان في مقدّمة هؤلاء الأمراء الأمير سيف بن ذي يزن الذي كان يدين بالمسيحيّة على مثال والده الملك معد يكرب أبو مرة ذو يزن وجدّه الملك الحميري سميفع. وهذا ما تنبه له الدكتور الأستاذ سهيل زكار، في تعليقه على خبر خروج الأمير سيف بن ذي يزن الحميري من اليمن وزيارته لقيصر الروم ومن ثم طلبه المعونة من مملكة فارس.

وهناك مرجع آخر يؤكد مسيحيّة الملك الحميري سيف بن ذي يزن، وقد ورد في مخطوطة عربيّة[١١٨] موجودة في المكتبة الوطنية في باريس، وهي تحوي كتاب أنساب العرب لسلمة بن مسلم ما يلي: «لجأ سيف بن ذي يزن (بدايةً) إلى ملك الروم النصراني (المسيحي) لأنه مال إلى النصرانية (أي كان مسيحياً)».

فعلاً لم يكن الأمير سيف بن ذي يزن الحميري ليلوذ بالقيصر الملك المسيحي لو كان يدين باليهوديّة كالملك المجرم ذي نؤاس الذي قتل مسيحيي نجران.

وإن إيمان الملك سيف بن ذي يزن الحميري بالمسيحيّة يظهر من خلال محبّته لأعدائه، إذ مدحه الشاعر النجدي أميّة بن أبي الصلت بقصيدته الشهيرة التي أوّلها:

---

(١١٨) رقمها ٢٨٦٦، ص ٩٧.

«لا يطلب الثأر (ألا) كابن ذي يزن   في البحر خيّم للأعداء أحوالا».

ويؤكّد المؤرخ الدكتور سهيل زكّار انتماء الأمير سيف بن زي يزن إلى عائلة ملكيّة عربيّة مسيحيّة، فيقول: «والد (الأمير) سيف بن ذي يزن الحميري. واسمه معد يكرب أبو مرة ذو يزن، وهو إبن الملك الحميري سميفع وقد هرب أولاً من اليمن مع إبنه إلى الامبراطور البيزنطي لأنهما كانا يدينان بالمسيحيّة، وبعدما أمضى هناك سبعة أعوام أو عشرة (في المنفى) إلتحقا بالبلاط الفارسي عن طريق ملك الحيرة الملك عمرو بن (الملكة) هند (ألكِنديّة المسيحية)»[١١٩].

وهكذا مَلك على اليمن الملك سيف بن ذي يزن المسيحي الحميري ولكن ملكه لم يدم طويلاً إذ فتك به بعض الأحباش، فخلفه إبنه الملك معدي كرب. ثم إستولى الفرس على الحكم ووضعوا حكاماً من قبلهم ليحكموا باسم الملك الفارسي، وكان أولهم يدعى وهرز ثم خلفه باذان وفي عهده صارت اليمن في أيدي المسلمين.

وإن المسيحيّة لم تضعف بزوال حكم الأحباش، بل ازداد عزّها إلى أن جاء الإسلام، فتمّ القضاء على ملوك الكنديين وغالبية أبناء قبائلهم في حضرموت، (كما أثبت ذلك في كتابي الآخر «الممالك المسيحيّة» في الجزيرة العربية)، كما أنّه في خلال حروب الردّة حدثت مقتلة عظيمة بحقّ المسيحيّين العرب الذين أرادوا المحافظة على إيمانهم المسيحيّ بعدما كانوا قد ارتدّوا سابقاً إلى الاسلام ظاهرياً...

وبمرور الأيام والسنين، وبسبب الضرائب الباهظة المفروضة على من

---

(١١٩) أنظر حاشية السيرة النبوية – لإبن هشام – المجلد الأول – ص ٤٥ – تحقيق الدكتور الأستاذ سهيل زكّار – دار الفكر.

تبقى من المسيحيين، وتغيّر الحكّام وتعاظم التعصّب الديني، فإنّ من تبقى منهم على إيمانهم المسيحي في القرون اللاحقة، إمّا قُتل بحدّ السيف لامتناعه عن اعتناق الاسلام أو عدل عن مسيحيّته درءاً لحزّ رقبته . . .

«كنائس اليمن القديمة»

١ - كنيسة صنعاء: بنى المسيحيون في اليمن كنيسة عظيمة في حاضرة ملكهم صنعاء وقد حوّلها المسلمون الغزاة إلى جامع ولا تزال بقاياها تُرى حتى اليوم في الجامع القديم لتلك المدينة. وهي الكنيسة التي عرفها العرب قبل الاسلام بإسم القُليس، وإن كلمة القليس هي كلمة موازية لكلمة «إيكليزيا اليونانية» والتي تعني الكنيسة. وقد كانوا قد أنفقوا عليها المبالغ الطائلة، وزينوها بكل أصناف الزينة والتصاوير وأنواع الفسيفساء وضروب المحاسن(١٢٠).

وقال المؤرّخ الشهير ياقوت في كتابه معجم البلدان(١٢١)، عند وصفه كنيسة «ألقُليس» أن الملك أبرهة كان قد كتب على بابها بخط المسند:

«بنيت هذا لك من مالِك ليُذكر فيه إسمك وأنا عبدك».

و«القُليس» تجد وصف عجائبها أيضاً في تاريخ مكّة للازرقي (ص ٨٦، ٨٨ - ٩٣) وقد ذكر أنّ تلك الكنيسة بقيت إلى أيّام أبي جعفر المنصور فأخربها بإغراء بعض اليهود الذي وعده (أحدهم) إذا هدمها بأن يملك ٤٠ سنة. قال «وقد أصاب المنصور بهدمها مالاً كثيراً». وذكرها أيضاً ابن الأثير في تاريخه (١: ١٧٨) قال عنها: «وهي كنيسة لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض».

---

(١٢٠) كتاب الأغاني - جزء ٢ / ص ٧٥.

(١٢١) جزء ٤ - ص ١٧١.

كما ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٤: ١٧٠) وجاء في تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني (طبعة أوكسفرد ص ١٣٩) في وصفها قوله: «صنعاء اليمن بها الكنيسة المعروفة بالقليس أنشأها ابراهيم ملك اليمن من قبل النجاشي ملك الحبش وهو ابرهة الاشرم. وهذا في الحرب شُرمت أنفه فسُمي الاشرم. بنى هذه الكنيسة المذكورة وزخرفها بالذهب والاصباغ الحسنة الملوّنة وبسط أرضها بالرخام الملوّن وعمد الرخام فيها قائماً ونائماً وجلاها بأحسن الجلاء من الذهب والفضّة وسمّر الصفائح الذهب بمسامير الفضّة والفضّة بمسامير الذهب الملوّحة وجعل على أبواب المذابح بها صفحات ذهب عراض ورصّع فيها الجواهر من الأحجار الكريمة وجعل في وسط كل صفحة من ذلك صليب ذهب وفي وسطه ياقوتة بهرمان أحمر شفّاف ينبسط بأنوار تشفّ مختلفة الألوان تذهل الناظرين إليها. وأمر الناس بالحج اليها فتواردوا اليها من كل الجهات وجعل لها حجاباً محكوم الصنعة من خشب الابنوس ومطعّم بالعاج الأبيض النقيّ المنقوش بحسن الصنعة. وشاع خبرها في تلك البلاد وسمع بها من لم يرها وحجّ إليها كثيرون من الناس وحملوا لها النذور. وكثير من الناس جاؤوا هناك ولازموا المقام فيها والمبيت وكان الملك يهتّم بالمجاورين بها وبنى لهم بيوتاً يسكنونها وبنى لها أملاكاً كثيرة وحبسها عليها».

٢ - كنيسة ظفّار:

أقام مسيحيو اليمن في ظفّار كنيسة أخرى جليلة وكانت آية في الحسن والجمال وكان يهتم بمؤمنيها أسقف شهير وقديس تكرّمه الكنيسة الكاثوليكية حتى اليوم يدعى جرجنسيوس وهو من هدى الحميريين إلى المسيحية وكان يجادل حاخامو اليهود في اليمن ويرد على مزاعمهم وقد ترك لنا كتاباً اسمه «شرائع الحميريين» الذي ترجم إلى اليونانية، ونراه ضمن مجموع كتب الآباء اليونان للمؤرخ «مين»[١٢٢].

(١٢٢) المؤرخ Migne، p. G، Tome 86، page 567 – 620.

٣ – كنيسة يريم:

وهي مسجد نُجَيم حالياً، ذكر الرحّالة غلازر في كتاب رحلته[١٢٣] انه وجد سنة ١٨٨٦ في يريم قريباً من ظفار آثار مسجد تُرى في بقاياه نقوش مسيحيّة. واعمدته وكواه من الطراز الغوتي مع صلبان منقوشة عليها ويدعى هذا المسجد بمسجد نجيم[١٢٤].

٤ – إنتشار الكنائس في كل أنحاء اليمن:

عدّد الرحّالة كوزماس «Cosmas indicoplenstes“ الذي مرّ في اليمن (ولقّبها العربيّة السعيدة) سنة ٥٣٥ م خلال سفره إلى الهند، فعدّد ما وجده من الكنائس في طريقه وانتشار المسيحيّة في أواسط الشرق وأقاصيه وقد خصّ بينها بلاد اليمن حيث قال ما تعريبه: «انك حيثما سرت تجد كنائس للمسيحيين وأساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين أهل العربيّة السعيدة الذين يدعون بالحميريين كما في كلّ العرب أيضاً وبين النبط وبني جرهم...»

«هدموا الكنائس وقَلَبوا الديار...»

(من كتاب فتوح اليمن – القرن العاشر)

«**فسار** الإمام **علي** بن أبي طالب **بالاسلام**... وأمر الرجال بالحملة، **فحملوا على المشركين (أي المسيحيين) ووضعوا فيهم السيوف... فقالوا الأمان... قال (علي): «الأمان لكم، فمَن أسلَم سلِم، ومَن جحد (رفض الاسلام) ندِم،** (وقد أخذوهم بالسيوف) وأيّد الله الإسلام، وجمعوا الغنائم **وقلبوا الديار كلّها إسلاماً... وأمر بهدم الكنائس، وبناء المساجد، فهدموها وبنوا بدلها المساجد...»**

(كتاب فتوح اليمن – المعروف برأس الغول – طبع النجاتي المحمدي – مطبعة المنار – تونس، ص ٨٤ – ٨٥)

---

(١٢٣) Skize I ، p. 15، 37.

(١٢٤) اطلب مجموع آباء اليونان Migne. P. G. T. LXXX، col 169.

«الحقيقة الضائعة»

لو أردت أن تحصل على كتابٍ واحد صادرٍ عن أيّ دار للكتب في الدول العربيّة كافةً ويتناول موضوع: «المسيحية في الجزيرة العربية بعد مجيء الاسلام»، والمصير المأساوي الذي آلت إليه حالهم، فإنّك لن تجد. . .

وهذا ينطبق أيضاً على مناهج المدارس والجامعات العربية كافةً، فهناك «أسلمة مقصودة للتاريخ» وهذا أمر مفروغ منه. . . ولكن في دولة الكويت الحبيبة، البلد الوحيد إضافة إلى لبنان التي ينصّ دستورها على حرية المعتقد وحقّ المواطن في الانتماء إلى الدين الذي يرتأيه صدر فيها كتاب واحد وحيد وهو بعنوان: «تاريخ اليهود في الخليج» وقد تناول فيه أستاذ التاريخ في جامعة الكويت الدكتور يوسف المطيري(١٢٥) مسألة الوجود اليهودي في شرق الجزيرة العربيّة (منطقة الإحساء) وقطر والكويت وغيرها حتى بداية القرن التاسع عشر. . .

ومن أهم ما أشار إليه هذا المؤرخ في كتابه، ومن ثم ما صرّح به في أحاديثه التلفزيونية العديدة، هو مواجهته لمشكلة شائعة، وهي سياسة «أسلمة التاريخ» وخاصة في الجزيرة العربية.

إنّ ما فَطُن إليه هذا المفكّر الكبير هو الحقيقة الضائعة بعينها، فعن الانتشار المسيحي في الجزيرة العربية بعد مجيء الاسلام، لم يكتب بصورة واقعيّة وموثّقة وصحيحة، سوى الأب لويس شيخو اليسوعي، وإنني لا أخفي على قرّائي الأعزّاء مسألة شديدة الخطورة وهي أنَّ أستاذ التاريخ الكويتي الحيّ الضمير هذا، قد تعرّض لكثير من الانتقادات والتهجّمات سواء على «تويتر» أو عبر بعض وسائل الاعلام، أمّا **الأب لويس شيخو** ورغم أنه **أمضى سُحابة عمره (١٨٥٩**

(١٢٥) أنظر غوغل كتاب "اليهود في الخليج" للدكتور يوسف المطيري أو برنامج الكلام الحر على قناة اليوم – Youtube .

– ١٩٢٧ م) يبحث في المخطوطات النادرة والمراجع الاسلامية والمسيحية القديمة التي توفّرت لديه، ليكتب كتابه الشيّق: «النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة»، لكنه لم يلقَ أيضاً التقدير الواجب حتى من أبناء دينه ومسؤولي وطنه، لا بل إننا نرى أن ناشر كتابه هذا في طبعته الثالثة، قام عوض تقدير هذا العلاّمة المميز والثناء على جهده الرائع وأبحاثه العميقة، فإذا به يتّهمه بمقدّمة الكتاب: «بالمغالاة وبارتكاب الهنّات...»[١٢٦]

فعلاً **أن يقوم أحدهم مهما علا مركزه بتقييم بحث فريد** (إذ لا يوجد غير هذا الكاتب من العرب المسيحيين، مَن تناول مسألة الانتشار المسيحي في الجزيرة العربيّة سابقاً بهذا العمق والشجاعة والتوسع والدقّة)، **لعلاّمة كالأب شيخو وبهذه الطريقة، هو ليس قصر نظر فحسب، بل هو خيانة لتاريخ عربي مسيحي عريق مطموس، وتنكّر لدماء مئات آلاف المسيحيين العرب الذين قتلوا «بسيوف الله المسلولة» بحسب تعبير الغزاة في تلك الفترة...**

لقد كان الأب لويس شيخو كاهناً روحانياً مقاداً من الروح القدس، روح الحق... وباحثاً بارعاً إذ أمضى سني حياته كلّها يبحث عن المخطوطات النادرة والمراجع القديمة ليكتب بعدها كتابه الشيّق السابق ذكره. وإني أعلم أنّه قام خلال حياته برحلة بريّة بحريّة[١٢٧] دامت ثلاث سنوات بحث خلالها عن المخطوطات قاصداً كل من سوريا، العراق، باكستان، الهند، البحرين، سلطنة عمان، اليمن، مصر، ومن ثم عاد إلى لبنان دون أن يجد أكثر ما كان يصبو إليه وهو إيجاد ولو مخطوطة إسلامية واحدة قديمة تشير إلى مصير «المسيحيين العرب في الجزيرة العربية لغاية القرن الثالث عشر»...

(١٢٦) أنظر مقدّمة الناشر – كتاب النصرانية وآدابها – بين عرب الجاهلية – دار المشرق – الطبعة الثالثة – ص ١ – ٢.

(١٢٧) أنظر كتابه: "رحلات علميّة بحثاً عن المخطوطات" – دار المشرق – بيروت.

ويذكر هذا الوكيل الأمين على رسالته المسيحية أنه وجد مرجعاً مسيحياً نسطورياً يشير إلى وجود للمسيحيين النساطرة في نجران (في السعودية حالياً) وفي اليمن حتى القرن الثالث عشر ميلادي، ولكنه لدقة بحثه أشار إلى أنه لم يستطع أن يقابله على غيره (أي على أي مرجع إسلاميّ قديم) ليتأكد من صحّته... إذ يقول:

«جاء في تقويم الكنائس النسطورية الذي طبعه المطران بطرس عزيز الكلداني... عن (حاشية) بعض المخطوطات (القديمة)... أن البطريرك يوحنا الخامس (النسطوري) أرسل كتاباً إلى حَسَن «قسيس اليمن» سنة ٩٠١ م، يجاوب فيه على ٢٧ سؤالاً ألقاها عليه. وقال في الجدول إنّ في سنة ١٢١٠ م كان في صنعاء اليمن خمسة أساقفة للنساطرة. الأول مطرابوليط على صنعاء إسمه إسطيفانوس، وتحت يده ثلاثة أساقفة إيليا وياولاها وشمعون لهم ثلاث كنائس وعدد المؤمنين عندهم ٥٧٠٠ . ثم كان أسقف لمدينة زبيد إسمه عبد يشوع وعدد المؤمنين فيها ٢١٠٠ بيت (عائلة). ثم ذكر نجران وقال أنّ في سنة ١٢٦٠ م، كان لها أسقف يدعى يعقوب وأنّ في أنحائها كان ١٤٠٠ بيت (عائلة) من النساطرة. وقال عن عدن أنها كان فيها سنة ١٢٥٠ م أسقف اسمه ميلو وأن جماعة النساطرة كانت ١٣٠٠ بيت. إلاّ أن أكثرهم قُتلوا بالسيف أو عدَلوا إلى الإسلام. هذا ما نقلناه (يقول الأب شيخو) عن الأثر (التاريخي النادر) الذي لم يمكننا أن نقابله على غيره لنتأكد من صحّته»[١٢٨].

من هذه المخطوطة النسطورية القديمة ندرك أنه حتى أواسط القرن الثالث عشر (تحديداً لغاية سنة ١٢٦٠ م)، ظلّ هناك وجود لجماعات مسيحية نسطورية في الجزيرة العربية، وأنه تمّ القضاء على أكثرهم قتلاً بالسيف، وقد اعتنق بقيّتهم الإسلام كرهاً...

---

(١٢٨) أنظر كتاب النصرانية وآدابها – بين عرب الجاهلية – دار المشرق – ص ٦٧ – ٦٨ – الطبعة الثالثة.

وإن ما يثلج قلب الرب وملائكته وطبعاً خادمه الأمين الأب لويس شيخو، الذي يسبّح الآن الله الثالوث مع أجواق الملائكة والقديسين، هو أنّني توصّلت إلى إيجاد نسخة عن مخطوطة إسلامية ثمينة ونادرة تعود لأواخر القرن الثالث عشر، وهي للرحّالة المسلم «إبن المجاور الشيباني» (١٢٠٤ – ١٢٩١ م) من بلاد الشام. وهذه المخطوطة (أو الكتاب الأثري الثمين) تُدعى «تأريخ المستبصر – صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز»، وقد طبعها المستشرق الهولندي «أوسكار لوفغرين» في مطبعة مدينة ليدن – هولندا، سنة ١٩٥٤ م، وانتشرت في تلك الفترة بين أوساط المثقّفين والنخبة في هولندا وألمانيا وأوروبا الغربية، وإنني سأتنقّل معكم في جولة قراءة بين نصوص هذه المخطوطة النادرة، لنتعرّف من خلال أخبار تجوال هذا الرحّالة إبن المجاور في مدن اليمن وقراه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (أي بعد سنة ١٢٦٠ م)، على ما آلت إليه أحوال المسيحيين والمصير المروّع الذي لاقوه في بلاد اليمن في تلك الفترة. ولندرس سويةً بعض النصوص التي ذكرها:

«رحلته من صنعاء إلى صعدة»

«على الطريق القديم (أي الطريق التجاري بين عدن – صنعاء – صعدة – نجران – مكة – الشام) وكان هذا الطريق يُسلك في أيام الجاهلية فلما ظهر الإسلام بَطُل... **وفي المُصَيرع**[١٢٩] **صرّع** (أي قتل) **علي بن أبي طالب الكفّار**[١٣٠] (أي المسيحيين اليمنيين المؤمنين بالطبيعة الواحدة في المسيح، على مذهب الأحباش والأقباط يومذاك) **وأنشد بعد العرب (المسيحيّين) المصرّعين (المقتولين) يقول:**

---

(١٢٩) سُمّيَ مكان هذه المذبحة الكبيرة بالمصيرع لأن علي بن أبي طالب صرع أي قتل وحز رقاب المسيحيين الذي اعتنقوا الاسلام بدايةً كرهاً ثم بعد أن عادوا إلى المسيحية وأبوا العودة إلى الاسلام أبادهم بسيفه...

(١٣٠) فالقرآن يكفّر أصحاب الطبيعة الواحدة بالمسيح حيث يقول: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح، إبن مريم" (سورة المائدة ١٩).

«كلينا يا سباع (يا أسود) وجرجرينا فوالله يا سباع لتفقدينا
علينا البيض والدرق اليماني وأسياف تُجَرّ وتعذرينا»[١٣١]

إن عبارة يا سباع كلينا وجرجرينا . . . تذكرنا بمسيحيي القرون الأولى للمسيحيّة، الذين كان يرميهم الرومان الوثنيون في الملاعب والمسارح عراة وعزّلاً لتأكلهم الأسود الجائعة. فمسيحيو اليمن الذين قتلوا ذبحاً بسيف علي، كانوا يموتون عزلاً ويقتدون بشهداء المسيحيّة الأولى. . .

إذاً إنّ صفحات مخطوطة إبن المجاور تؤكد أنّ هؤلاء المسيحيين اليمنيين. . .

إستُشهدوا في سبيل إيمانهم المسيحي. . .
مفضّلين حدّ السيف وحز رقابهم. . .
أي قطع رؤوسهم عن أجسادهم،
مع ما في هذا المشهد من فظاعة ولاإنسانية وإرهاب. . .
على اعتناق الاسلام كرهاً وجبراً وظلماً.

والحقائق المطموسة في باطن هذه المخطوطة، تشير إلى أمر آخر، فمسيحيّو منطقة صعدة بأسرها أيضاً نالوا مصيراً مماثلاً لمصير منطقة المصيرع (وكانت منطقة المصيرع تقع إلى الجنوب من صعدة وإلى الشمال من صنعاء) وإن كانت العبارات التي استعملها إبن المجاور في مخطوطه مبهمة ولكنها تدلّ على شبه إبادة، **إذ يقول:**

«**فلما تمّ على أهل صعدة (المسيحيين) ما تم.** . . . من خراب صعدة وأعاليها، ويقال أن صعدة القديمة، كانت في الابتداء (قبل أن تدمّر ويقتل أهلها) عند حصن تملّص»[١٣٢].

(١٣١) تأريخ كتاب المستبصر – إبن المجاور المتوفي سنة ١٢٩٧ م – القسم الثاني (ص ٢٠٣) – تحقيق أوسكر لوفغرين – مطبعة بريل – هولندا.

(١٣٢) كتاب (مخطوطة من القرن ١٣) صفة بلاد اليمن ومكّة وبعض الحجاز المسمّاة تأريخ المستبصر – القسم

ولكن ما يزيد مقلة العين دمعاً، ويحرق قلوبنا حزناً ويثير فينا السخرية والألم الروحي بعد اطلاعنا على كل هذه الحقائق المأساوية والمرعبة المجهولة هو إشارته، إلى أن من هرب من هؤلاء المسيحيين إلى المغاور في الجبال وهم قلة، (حيث بقيت المنطقة مخربة لفترة طويلة جداً من الزمن، بسبب سيف علي بن أبي طالب وجيش المسلمين). **ولكن بعد هذا الزمن الطويل أتى** من يسمّيه إبن المجاور: بـ«**الهادي يحيي بن الحسين فأعاد بناءها وعمّر للباقين (من هؤلاء التعساء) مسجداً**»...[133]

فيا للرحمة والهداية والاحسان...
وهكذا اعتنق هؤلاء البؤساء «ألطويلي ألعمر» طبعاً
مذهب من أحسن إلى أقاربهم وأجدادهم بسيفه...
حفاظاً على أرواحهم ودرءاً لحزّ رقابهم... وحمايةً لنسائهم وأطفالهم...

من المأرب إلى الجوف

ويشير إبن المجاور أيضاً إلى مصير أسود لحق ببني شدّاد وعاد والتتابعة الجبابرة، الذين كانوا يعيشون في قصور وبيوت مبنية بحجر الرخام، وأنّ من تبقى منهم حياً تشتت في أقاصي المسكونة وأداني البحر المعمور فلننتبه إلى مضمون ما رواه:

«**في منطقة مأرب مساكن (بنو) شدّاد وعاد والتبابعة الجبابرة، بناؤهم بالحجر الرخام وشيء منها نُقِر في الجبال... فلما كَفَروا نعمة الله** (أي رفضوا الإسلام، وفضلوا ألكفر أي الإيمان بالمسيحيّة) **خُسِف بهم (قُتلوا) وتفرّق شملهم وشتّتوا في أقاصي الربع المسكوني وأداني البحر المعمور شرقاً (الهند)**

الثاني ص ٢٠٤ – تحقيق أوسكر لوفغرين – مطبعة بريل ١٩٥٤.

(١٣٣) كتاب تأريخ المستبصر – القسم الثاني – ص ٢٠٤.

وغرباً (الحبشة) وشمالاً (القسطنطينية) وجنوباً (جزيرة سقطرى. .)[١٣٤]». . .

وقد أشار إلى مدى ضراوة المعارك التي دارت في تلك المناطق،
التي شنّها جيش الغزاة المسلمين على هؤلاء المسيحيين (الكفّار. . .) الآمنين. . .
وما نتج عن هذا الغزو «الإلهي». . . «المبارك». . . إذ يقول:

«فرجعت الدور قبوراً، والمساكن ارتدمت بعضها على بعض. وتقلّعت النخيل والأشجار، وطلع بدله العشب والاراك، وسكنت البدوان (أي البدو الهمج) ببيوتها الشعر وصارت الإبل ترعى بين عامر الخراب»[١٣٥].

ويكتب إبن المجاور أشعاراً خلّدت ذكراهم، نقلاً عمّا أنشده أمامه بعض العجائز اليمنيين المعمّرين:

«لم يخلف الدهر مثلهم أبداً ... على هيئات لشأنهم عَجَـبُ
لّمـا تيـقّنـت أنّ روحـهـم ... ليس لهـا مـا حـييت مُنقَلَب
أبليتُ صبراً لم يبله أحــد ... وأقســمتني مـأربٌ شُـعَبُ
لما أرابَ الزمان فأقتسموا ... أيدي سبأ في البلاد فانشعبوا»[١٣٦].

ويسمّي إبن المجاور هذه المنطقة المنكوبة،
بإسم إقليم العواهل ويصفه جغرافياً كالتالي:
«وهو بالطول من نجران إلى بيحان،
وبالعرض من روضة نسر إلى حضرموت»[١٣٧].

---

(١٣٤) كتاب تأريخ المستبصر – إبن المجاور – المتوفي سنة ١٢٩٧ م – القسم الثاني ص ٢٠١ – تحقيق المستشرق أوسكر لوفغرين – سنة ١٩٥٤.
(١٣٥) كتاب تأريخ المستبصر – إبن المجاور – المتوفي سنة ١٢٩٧ م – القسم الثاني ص ٢٠١ – تحقيق المستشرق أوسكر لوفغرين – سنة ١٩٥٤.
(١٣٦) المرجع السابق ص ٢٠١.
(١٣٧) المرجع السابق ص ٢٠٢.

قصة من كتاب تأريخ المستبصر

حديث بين إبن المجاور ونصارى من نجران واليمن[١٣٨] (القرن ١٣):

«قال (لي) بعض النصارى (المسيحيين): إن الإسلام (دين) عجيب!

قلت (له): وما رأيت من العجب؟

قال: انّ تنصّر (أي إن كان مسيحياً أو إعتنق المسيحيّة) حلّ قتله، لامتناعه في دخول الدين (الاسلامي) الحنيف، وإن أسلم قُطع، أي خُتِن فجريان الدم في الحالتين حاصل».

إنقراض المسيحيّة في منطقة

«صنعاء إلى حد إقليم العواهل» (سنة ١١٥١ م)

«من كتاب تأريخ المستبصر» إبن المجاور (القرن ١٣)

يورد إبن المجاور الخبر التالي عن كيفية إنقراض المسيحيّة في بلاد اليمن: «**الحبشة** (ويقصد بهذه التسمية اليمنيون المسيحيّون[١٣٩]، الذين تواجدوا في المنطقة الواقعة) **في (بين) صنعاء وإلى حد إقليم العواهل[١٤٠]. . بقوا فيها في الكفر والاسلام. .** (أي أنهم تظاهروا بالإسلام وظلوا في سرّهم يبطنون إيمانهم المسيحي) **إلى أن أفناهم (ألوالي) علي بن مهدي سنة أربع وخمسين وخمسمائة**

---

(١٣٨) تأريخ المستبصر – إبن المجاور – القسم الأول – ص ٣٤ – تحقيق أوسكر لوفغرين – مطبعة بريل – مدينة ليدن – هولندا – سنة ١٩٥١.

(١٣٩) يسمي إبن المجاور المسيحيين اليمنيين في هذه المنطقة بالأحباش ربما للون بشرتهم ولأنهم يؤمنون بالإيمان نفسه كالأحباش دون نسيان أنه كان للحبشة تأثير سابق على اليمن قبل الإسلام. . .

(١٤٠) يقول إبن المجاور بأن إقليم العواهل يمتد (بالطول) من نجران إلى بيحان (وبالعرض) من روضة نسر إلى حضرموت (ص ٢٠١).

(أي سنة ٥٥٤ هجرية الموافقة ١١٥١ م) وفي عهده انقرضوا»[١٤١].

وهكذا ندرك أن المسيحيين انقرضوا في المنطقة الواقعة

بين صنعاء وإقليم العواهل سنة ١١٥١ م.

نعم، إنقرضوا. ولكن كيف؟

إنّ كلمة «أفناهم...»

تشير إلى دور السيوف الباترة...

فيا لفظاعة ما حصل...

وهكذا نعلم أنه ظلّ يوجد مسيحيّون عرب يمنيّون...

في بلاد اليمن لغاية سنة ٥٥٤ للهجرة

إلى أن تمّ القضاء عليهم... في منطقة «العواهل»..

ونتساءل: هل ظلّ هناك مسيحيّون، بعد هذا الإفناء ألمرعب؟..

نعم، ظلّ هناك مسيحيّون في نجران... وجزيرة سقطرى...

ولكن طبعاً، دورهم «الإنقراضي» آتٍ...

وهنا لا بد لي من الإشارة إلى أمر ذو دلالة، وهو أن التعصب الأهوج...

حتى في أيام إبن المجاور أباد بسيفه حتى المسلمين المعتدلين...

ليحرق مساجدهم... أو يقتلهم...

لمجرد الإختلاف في المذهب... أو الميل السياسي...

فسيف التعصّب أباد المسيحيين في الجزيرة العربية،

ولكنّ حدّه القاتل لم يوفّر حتى المسلمين المعتدلين أو المختلفين في المذهب.

---

(١٤١) تأريخ المستبصر – (للمحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح إبن محمد المعروف) بإبن المجاور (القرن ١٣) عني بضبط الكتاب المستشرق أو سكر لوفغرين – مطبعة بريل – ليدن هولندا سنة ١٩٥٤ – جزء ١ – ص ١٠٧.

تكفير الإسماعيليين وإحراق مسجد عدن

يشير «إبن المجاور» في كتابه تأريخ المستبصر، إلى أنّ «آل زريع كانوا وُلاة عدن» (ص ١٢١) كما أشار إلى أن: «(الوالي) علي بن مهدي (الذي أفنى المسيحيين في منطقة حكمه أي في منطقة العواهل) كان يؤدي الخراج (أي ضريبة الأرض ونتاجها) إلى الخلفاء الفاطميين» (ص ١٢٧)

فهل اكتفى هذا الوالي علي بن مهدي بالقضاء على المسيحيين...؟

في الحقيقة يورد إبن المجاور ما فعل هذا الوالي المتعصب، بجامع عدن لمجرد أن ملوك بني زريع (أي ولاة عدن السابقين)، ألذين كانوا على المذهب الإسماعيلي قد خطب أئمتهم على منبره:

«أحرقه (أي أحرق جامع عدن) إبن المهدي سنة أربع وخمسين وخمس مئة (٥٥٤ للهجرة) ويُقال إن الخلق (الناس) سَعَت وشَفَعَت (أي رجته) في إبقائه فقال:

قد إستوجب (ألجامع) النار.

قيل (له): «وَلِمَ؟»

قال: «لأنه قد خطب على منبره الإسماعيليّة (يقصد بذلك ملوك بني زريع وأئمتهم)، فهم أنجاس يُنَجّس الجامع بذكرهم[١٤٢] وكل مَن (وما) هو نجس طُهّر وقد طهّرناه بالنار»[١٤٣].

فإن كان ألوالي «إبن المهدي» أحرق مسجد الإسماعيليين في عدن..

لمجرد ذكر أسماء ولاتهم في المسجد...

(١٤٢) أي أن الجامع تنجس لمجرد أن أسمائهم تليت سابقاً خلال خطب الأئمة وأدعيتهم فيه... فيا للسماحة... والرحمة... والسلام...

(١٤٣) كتاب تأريخ المستبصر – إبن المجاور – ص ١٦٥.

وخلال ماذا؟ الأدعية. . .

فكم بالأحرى علينا أن ندرك

مدى البلاء والفناء والدماء. . .

الذي يتسبّب به الحاكم المتعصّب. .

على المسيحيين والمسلمين المختلفين عنه

في المذهب أو الدين على حدٍ سواء. . . .

صلاة: يا كلمة الله الأزلي، أيها الرب يسوع. . .

في هذا الزمن التعيس،

الذي يتصاعد فيه ألمدّ الأصولي والتكفيري. .

أعطنا شهوداً لإنجيلك المقدّس. . .

إنجيل المحبة الشاملة. . والسلام. .

نوّر عقول المتعصبين، قتلة الإيمان والإنسان. . .

أشعِل الغيرة الروحيّة، في قلوب خدّامك ومؤمنيك. . .

أوصل بروحك القدوس

هذا الكتاب الروحي والتاريخيّ. . .

إلى كل مكان. . .

وخاصّة إلى تلك الأماكن الظلامية. .

حيث تسود الكراهية ويُرفض الآخر. . .

وحيث أُميتت الضمائر. . وتحجّرت القلوب. . .

ومُنعت الإستنارة. . .

وطُمست الحقائق. . . وأُقفل على الأفكار. . . آمين

المسيحية في جزيرة سقطرى اليمنية (حتى القرن ١٦)

١ – وصف الجزيرة:

يقول إبن المجاور[١٤٤] عن جزيرة سقطرى ما يلي: «**سقطرى . . ليس في جميع هذه البحار أكبر منها جزيرة ولا أطيب منها وهي ذات نخل وبساتين وزروع ذرة وحنطة وبها إبل وبقر ألوف مؤلّفة . . ويطلع منه (أي من أرضها) شجر الصبر السُقطري . . ويوجد في سواحلها العنبر الكثير**» . .

٢ – مساحتها: طول هذه الجزيرة نحو ١٣٠ كيلو متراً في عرض ٤٠، وفيها جبال يبلغ أعلاها ١٤٠٠ متر.

٣ – سكانها في القديم: يقول سلمة بن مسلم العوتبي في كتابه أنساب العرب[١٤٥] السابق ذكره عن مهرة وسُقطرى: «وبجزيرة سقطرى قبائل من المهرة . . . وكان أهلها من أولاد الروم فدخلوا في نسب مع المهرة[١٤٦]. وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى، وذلك أنهم يذكرون أنّ قوماً من بلاد الروم طرحهم بها كسرى فعمروا بذلك الموضع حتى عبرت إليهم مهرة».

وعن سكانها يقول أيضاً إبن المجاور (القرن ١٢):

«**وسكانها قوم نصارى سحرة** (لماذا؟ لأن سفن المسلمين فشلت في غزوهم مرّات عديدة، فنجوا إلى فترة من الإنقراض المُلزِم في حال لم يعتنقوا صراط غير المنقرضين . .) **ومن جملة سحرهم أن سيف الإسلام** (أي والي اليمن) سيف الدين سُنقر مولى (أي ألوالي من قبل الملك) إسمعايل بن طغتكين (السلجوقي) **جهّز**

---

(١٤٤) كتاب تأريخ المستبصر – إبن المجاور – الجزء الأول – ص ٢٦٦.

(١٤٥) ص ١٠٦.

(١٤٦) أي صاهروا بعضهم بعض.

إلى الجزيرة خمس شوانٍ (سفن كبيرة) فلما قربوا من الجزيرة انطمست الجزيرة عن أعيُن القوم وصاروا (أي سفنهم) صاعدين منحدرين طالعين ونازلين ليلاً ونهاراً أياماً وليالي فلم يجدوا للجزيرة حِساً ولا وقعوا للجزيرة على خبر فردّوا راجعين. ويقال إن الروم (البيزنطيين) الملاعين[١٤٧] يُكتب في كتبهم عن الجزيرة (أي يعني سقطرى) بأنها: الجزيرة المحروسة بأرض العرب»[١٤٨]. (ص ٢٦٦ – ٢٦٧).

<u>٣ – أصلهم:</u>

دخلت المسيحيّة إلى سقطرى منذ القرون الأولى للميلاد وبقيت فيها لغاية القرن السادس عشر.. والمثير في الأمر أنني وجدت خبراً لدى المؤرخ المسعودي يشير إلى أنهم كانوا مسيحيين منذ السنين الأولى للمسيحية فيقول: «ظهر المسيح فتنصّر من كان فيها (أي اعتنقوا المسيحية) إلى هذا الوقت (أي لغاية سنة ٩٥٧ م)»[١٤٩].. وإنّ أهل هذه الجزيرة هم مزيج من العرب والأفارقة ثم وفد إليها بعض الهنود...

ذكر نسبة المهريّة

ومن المفارقات المثيرة للاهتمام ما ذكره إبن المجاور، هذا المؤرخ المسلم، عن أهل «سقطرى» من «المهرة» إذ يشير إلى أنّهم من العرب المسيحيين الذين وفدوا إلى سقطرى، بعد مجازر جيش المسلمين بحق مسيحيي البحرين...

(١٤٧) يصف إبن المجاور المسيحيين في اليمن بأوصاف إما: "الكفار"، أو "الروم الملاعين"، أو "الحبشة" أو "السحرة"... وإن في كل هذه الأوصاف دليل على جهل وتعصب طبعاً. ولكنه يكتب بحسب ذهنية القرن الثالث عشر، فهذا ما يجب عذره عليه...

(١٤٨) كتاب تأريخ المستبصر (القرن ١٣) – الجزء الأول – ص ٢٦٦.

(١٤٩) كتاب مروج الذهب – المؤرخ المسعودي المتوفي سنة ٩٥٧ م "مطبعة المدني – المؤسسة السعودية – المجلد الثاني صفحة ١١٨.

إذ يقول (أي إبن المجاور) نقلاً بالتواتر عن عبد الله بن راشد وهو سلطان حضرموت يومها التالي: «**إن أصل المهرية من قرية الدبادب** (أي دبّا في البحرين)، **لم تجر فيها صلوة** (صلاة بعد أن دمرت الكنائس. . .) **لأن أبي بكر الصديق. . . بعث بجيش إلى هذه الأعمال (أي البحرين) فعصت أهل هذه القرية عليهم (أي لم يعتنقوا الإسلام) فلما انتصروا على أهل القرية[150] ركّبوا السيف على أهلها، ولا زالوا (أي جيش أبو بكر) يقتلون فيهم إلى أن جمد الدم فيهم قدر قامة فلم يسلم من القوم (من هؤلاء العرب المسيحيين) إلاّ قدر ثلثمائة بنت بِكْرٍ (وهكذا ندرك أن عدد القتلى من أهلهم وأشقائهم بلغ الآلاف) مخلخلات مدملجات ملبّسات (أي أنهم كانوا يعيشون في بحبوحة سابقاً. .). فتعلقوا (اختباؤا) بجبل مقابل (قريتهم المنكوبة)، فلما رأوا أهل الجبل ذلك (أي ما حصل لأهلهم) أمهروهنّ (أي دفعوا مهور الناجيات) وتزوجوهنّ فجاء من نسلهم المهرة (إذ لُقّب نسلهنّ بالمهرة نسبة للمهور المدفوعة). . وبقية من نجا من هؤلاء القوم سكنوا جبال ظفار (وطبعاً أجبروا بعد زمن ليس بطويل على الأسلمة ليسلموا) وجزيرة سقطرى. وهم قوم طوال حسان. . ويسمونهم السحرة (لأنهم مسيحيّون يومها). . يأكلون نعم الله. . ويعبدون غيره (أي المسيح كلمة الله المتجسد)[151]**».

مما تقدّم ندرك أن هذه الجزيرة كان يقطنها مسيحيون روم أصلهم من بلاد اليونان ثم لجأ إليها بعض الهاربين من سيف أبي بكر الصديق من المسيحيين العرب. . . وقد بقي سكانها على دين المسيح لغاية القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفره إلى الهند وكان الرحّالة مركو بولو في أواخر القرن الثالث عشر قد أشار إلى مسيحية أهل سقطرى وأن بطاركة

---

(١٥٠) هاجموهم في بيوتهم وكانوا آمنين هانئين قبل . . .

(١٥١) المرجع السابق ص ٢٧٢.

المسيحيين «النصاطرى»[١٥٢]. كانوا يرسلون لها مطارنة عرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ م وقرياتوس سنة ١٢٨٢ م. ولمّا دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا أهلها نصارى (أي مسيحيين نصاطرى) وكان قد غزا جزيرتهم حديثاً المسلمون سنة ١٤٨٠ فحاربوهم سنة ١٥٠٧ م وضبطوا جزيرتهم مدّة. والقديس فرنسيس كسفاريوس كان قد نزل إلى سقطرى بعد رحلته إلى الهند فألحّ عليه مسيحيوها بأن يسكن عندهم فلم يمكنه ذلك بل أرسل إليهم مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ م أربعة وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. إلاّ أنّ غزوات المسلمين المتكررة وكثرة القتلى جعلتهم يغادرون[١٥٣]. ولما استولى عليها المسلمون وأخذوها من البرتغاليين أكرهوا أهلها المسيحيين على اعتناق الإسلام...

المسيحيّة في قطر

«بيت قطرايي» (قبل سنة ٢٢٥ م)

يظهر أن المسيحيّة إنتشرت أولاً في قطر (بيت قطرايي بالسريانية) إذ أصبحت مركز أسقفية منذ سنة ٢٢٥ م، وهناك تقليد نسطوري يؤكد التبشير في شرق بلاد العرب. وتوجد شواهد تاريخية ثابتة ومؤكدة تطلعنا على نشاط الكنيسة المسيحية (والتي صارت فيما بعد نسطورية المذهب) ونجاحها في تركيز أسقفيات على طول الساحل الشرقي العربي من مصب الفرات إلى عمان.

ودليلنا على ذلك إنتماء العلاّمة الكتابي والروحاني الكبير القديس إسحق إلى قطر - بيت قطرايي بالسريانية -. فمنطقة قطر العربيّة الأصيلة كانت منطقة مسيحية بامتياز في القرنين الرابع والخامس ميلاديين، وكان نطاقها الجغرافي

(١٥٢) إنهم مَن يسمّيهم القرآن النصارى، وإليهم انتمى القس ورقة بن نوفل والراهب بحيراء كما أكّد ذلك الأمير عبد المسيح الكندي في رسالته من القرن التاسع ميلادي والموجودة في المكتبة الوطنية - باريس.

(١٥٣) راجع كتاب (A. Brou. St. Francois Xavier – Tome 1، p. 120).

يمتد من الكويت وصولاً إلى (سلطنة) عمان وإلى الأحساء. وإن كنيسة ألجبيل[١٥٤] والتي هي في شرق السعودية حالياً، دليل أثري مهمّ يؤكّد ذلك. وقد حدّد علماء الآثار بأن تاريخ تأسيسها يعود إلى بداية القرن الرابع ميلادي، وفيها عدّة صلبان صخرية عند المدخل وعلى أعمدتها الداخلية، وإن كان ينقصها السقف فقط، وإن منطقة الإحساء حيث توجد الكنيسة كانت تقع قديماً ضمن المنطقة الجغرافية التي كانت تشملها بيت قطرايي (قطر) يومذاك، مع العلم أن السلطات السعودية تمنع المواطنين السعوديين وغيرهم، من زيارة هذه الكنيسة أو الاقتراب منها، إلاّ أنها في الحقيقة شاهد تاريخي لا يُدحض على مدى وجود المسيحية في جزيرة العرب، وتغلغلها في كل أنحائها وعشائرها ومناطقها، ويمكننا القول بكل ثقة بعد قراءتنا لأبحاث المستشرقين[١٥٥]، وبعودتنا إلى مضمون سير معارك حروب الردّة، التأكّد من أنّ الكويت والبحرين وقطر ونجران ومنطقة نجد كانت بغالبيتها الساحقة مسيحية، أما في اليمن فقد وجدت جالية يهودية كبيرة، ولكن غالبية السكّان كانوا من المسيحيين، وهذا ما تؤكده المراجع التاريخية المسيحية البيزنطية[١٥٦] والحبشية والعربية النسطورية (أي تاريخ سعرت) واليعقوبية[١٥٧].

كما لا بد لي من الإشارة إلى أنه في القرن الثالث ميلادي ضُمّت نجران واليمامة المسيحيتان يومها، إلى الأبرشيّة الأسقفية (أي المركز الأسقفي) التي كانت قد أنشئت في قطر، وفي القرن الرابع ميلادي أسّس الناسك عبد يشوع السرياني دير في جنوبي قطر بإسم مار توما، وقد زاره نحو سنة ٣٩٠ م الناسك

---

(١٥٤) أنظر عرب بالتفصيل : Google Christianity (today) in Saudi Arabia Saudi Arabia’s Christian Legacy – Historical Jubail

(١٥٥) أنظر كتاب العرب على حدود بيزنطة وإيران – للمستشرقة نينافيكتورفنا بيغوليفسكايا.

(١٥٦) التاريخ الكنسي لأوسابيوس القيصري – ٥/ ١٠.

(١٥٧) كتاب الشهداء الحميريين – البطريرك افرام الأول برصوم – ص ٢ و٢٣ – ٣٢، ورسالة مار شمعون الأرشمي – الأولى والثانية.

مار يونان أحد تلاميذ مار أوجين، فوجده آهلاً بمئتي راهب. وقد أقام مع رهبانه مدة وكانوا يتلون الصلوات بالسريانية»(١٥٨).

قدّيس عظيم من قطر

من أبرز كتّاب القرن السابع ميلادي، وأعظمهم تأثيراً وشهرةً وروحانيّة في الكنائس الشرقية والغربية على الاطلاق، هو راهب من منطقة «بيت قطرايي» أي «القطر البحري»، أو قطر العربيّة، وقد عُرف بالقديس «اسحق السرياني»(١٥٩) ذلك أن الكنيسة البيزنطية لقّبته بالسريانيّ لأنّ كتاباته كانت بالسريانية. وإن كتابات هذا القديس الروحاني الشهير انتشرت منذ القرن السابع ميلادي إلى خارج بلاد بيت قطرايي والعراق، وإن مادة كتاباته هي موضوع دراسة حتى اليوم في أعرق جامعات أوروبا والولايات المتحدة الأميركية كما أشرت إلى ذلك في نهاية هذه المقالة.

وُلد القديس اسحق في قطر، وكان ينتمي إلى والدين عربيين مسيحيين من هذه الأرض الحبيبة. وقد سافر إلى بلاد ما بين النهرين، ودرس في دير بيت عابي. وقد انتقل إلى العراق في زمن كان قد حاول فيه الخليفة عمر بن الخطّاب إجلاء غالبية المسيحيين (من ملكيين ويعاقبة) إلى خارج الجزيرة العربيّة، إستناداً إلى الحديث المنسوب إلى رسول المسلمين، بأنه:

«لا يكوننّ في جزيرة العرب دينان».

وبالعودة إلى سيرة حياة قديسنا القطري المحبوب والمشهور: «مار إسحق»

---

(١٥٨) كتاب الدرر النفسية في تاريخ الكنيسة – البطريرك افرام الأول برصوم – مج ١ ص ٣٩٠. وكتاب أخبار الشهداء والقديسين طبعة بيغان ١/ ٤٨٦.

(١٥٩) أنظر كتاب القديس إسحاق النينوي (السرياني) - الأب بولس بيجان - باريس سنة ١٩٠٩.

لا بد من الإشارة **إلى أنه بعد أن أقيم أسقفاً على نينوى (بمطالبة من الشعب) سنة ٦٦٣ م، وفي ظل الأوضاع السياسية المتقلقلة ووجود ولاةٍ قساةٍ ومتعصبين، ترك مركزه الأسقفي وهرب إلى الجبال**، وإنّ تقلب الحكّام وسعيهم إلى أسلمة البشر والحجر (أي الكنائس) في تلك الفترة التاريخية المشؤومة، أمر معروف، وقد تمّ ذلك بطريقة ممنهجة ومقصودة، مع اعترافنا بوجود بعض الحقبات التاريخية التي حكم فيها حكام عادلون ومستنيرون كالمأمون وغيره...

يبقى أنّ القديس إسحق «القطري» شاهد حي وتاريخي لا يُدحض ولا يُرد، حول رسوخ الوجود المسيحي في قطر قبل مجيء الإسلام. كما لا بدّ لي من الإشارة إلى وجود كاتب مسيحيّ آخر من منطقة قطر وهو الراهب «داد يشوع القطري[١٦٠] الذي عاش في نهاية القرن السابع ميلادي، ووضع كتاباً في السيرة الصالحة، كما كتب شرحاً لكتاب فردوس المغاربة الذي وضعه بلاديوس. وفي سياق كتاباته يشير هذا الكاتب المسيحي القطري إلى عبارة معبّرة، تصف مدى نبوغ مواطنه القطري «إسحق»، (أي القديس إسحق) فيقول: «بما أنه (أي إسحق) كان من بيت قطرايي (أي عربي قطري)، أظن أن الحسد أثار عليه باقي الرهبان».

«صِدفٌ... أم رِفقة من الروح القدس؟!..»

«النار لا توقد بالحطب الأخضر،
والحرارة الالهية لا تلتهب في القلب الذي يحب الراحة».

(من أقوال القديس اسحق «القطري»)

من أروع الكتابات الروحية المسيحيّة، هي الأقوال والحِكم العائدة للقديس المعروف في الكنيسة المارونية والكنائس السريانية والقبطية والكنائس

---

(١٦٠) ص ٨٢.

البيزنطية وفي الغرب عامةً بتسمية «إسحق السرياني»... والحقيقة أنه كان معروفاً في بلاد العراق بإسم القديس إسحق النينوي نسبة لنينوى **وإنّ البيزنطيين والغربيين هم الذين أطلقوا عليه تسمية «إسحق السرياني» لأنه كتب مؤلفاته باللغة السريانية فأطلقوا عليه تسمية السرياني، وبعدهم اعتمدت الكنائس الأخرى التسمية نفسها نقلاً عنهم دون أي تمحيص، في حين أنه عربيّ مسيحيّ من قطر في الجزيرة العربية**، وهذا ما سنكتشفه خلال هذا البحث مع إشارتي إلى الظروف والمفارقات العجيبة التي صادفتني خاصة في وقت كتابتي عن انتشار المسيحية في قطر **وتجدر الإشارة إلى أنه لا تُعرف الظروف التي أدّت إلى اعتباره قديساً في كل الكنائس الشرقية والغربية، الكاثوليكية والأورثوذكسية، مع العلم أنّه كان ينتمي للكنيسة النسطورية وهذا أمر مثير للغاية. لأن الباحثين والمؤرخين واللاهوتيين لم يتمكنوا من إعطاء الإجابة على هذه المفارقة، فيا لجمال عمل الروح وطرقه...**

وإنني أتذكر أول مرّة تأثرت بكتاباته وشعرت يومها كما لو أن هذا القديس الروحاني والقاطن في سماء البرارة والقداسة، قريب مني ويساندني روحياً، إذ قرأت وبطريق الصدفة نص روحيّ له حثّني على النهوض من فتوري الروحيّ بعد أن كنت في سنة ٢٠٠٣ وبسبب الانشغالات اليومية العديدة وكثرة ضغوط الحياة، وحمأة الخدمة الكهنوتية وكثرة الاتصالات الواردة لي وزحمة زيارات المؤمنين والخدمات المطلوبة مني، فإذا بي وخلال بضعة أشهر أعيش شبه إنقطاع يومي عن المواعيد السريّة السابقة التي كنت مواظباً على عيشها مع أبي السماوي، عبر الصلاة إليه والتأمل في كلمته وكتابة المواضيع والعظات الكتابية. فكان أن استخدم الروح القدس وبطريق الصدفة «مقطعاً» «أي فقرة روحية» لهذا المعلّم الروحاني الكبير «للقديس إسحق»، لكي أنتبه إلى بُعدي عن العلاقة اليوميّة مع الكتاب المقدس والصلاة... وأعود إلى سابق حرارتي الروحية... ولكني لم

أكن أدرك يومها بأن هذا القديس العظيم هو عربيّ مثلي، ومن أقحاح العرب ومن أبناء الجزيرة العربية نفسها.

فكيف عرّفني الروح القدس بعروبة هذا القديس، ومتى أوصل إلى يديّ نسخاً عن مخطوطاته الموجودة في المكتبات الوطنية الفرنسية والبريطانية، فهذا أمر لا يمكنني إلاّ أن أخبركم عنها، ومتى ارتأى الروح القدس أن يوصلها إليّ وإني لم أكن أتخيّل بحال من الأحوال أن أُصدم كما قرّائي بحقيقة جديدة خافية عني وعن شعبنا العربي المسيحي والمسلم...

فإليكم ما حصل معي، **وعلّكم ستجدون** فيما سأروي عليكم، من صدف روحية حصلت معي **مقدار المحبة الخاصّة التي يكنّها الروح القدس إلى منطقة الجزيرة العربية، (وسكانها) وأن تعلموا أنها تحوي في طيّات تاريخها العربي المسيحي المطموس قصصاً وآثاراً روحيّة لقديسين عشقوا ترابها وشربوا ماءها وتربّوا في ربوعها، حتى أن أحدهم وهو القديس اسحق القطري مشهور جداً وتُدرّس أفكاره وكتاباته في أهمّ مراكز الفكر في الغرب وهو مصدر دراسة من أكابر علماء اللاهوت واللغات في جامعات أوكسفورد وهارفرد وغريغوريان... وإنّ مخطوطاته الثمينة موجودة في المكتبة الوطنية البريطانية والفرنسية وغيرها...**

"القديس إسحق ألقطري"

"من أعظم المؤلفين المسيحيين على الاطلاق".. (المستشرق ألفييف)

خلال كتابتي لهذا الكتاب التاريخي والروحي، واجهت صعاباً جمّة، ومصادر نادرة، وأبحاثاً شاقة لمصادر جامعية وتاريخية فأمضيت أياماً وأشهراً بكاملها أبحث فيها عن خيوط متناثرة قديمة أو مندثرة بين مئات الكتب القديمة. ما أريد

أن أشير إليه هو أنّني جزّأت العمل إذ كنت أقسّم المعلومات التاريخية والروحية التي لديّ والمتعلّقة بكل بلدٍ أو منطقة من الجزيرة العربية وأضعها على حدة. فبعد انتهائي من كتابة الفصول التي تحدّثت فيها عن انتشار المسيحيّة في البحرين والحجاز، جمعت الكتب الروحية والمصادر التي تتضمّن معلومات عن قطر واليمن ونجران، وكنت أنوي البدء في الكتابة عن المسيحيّة في قطر، فقصدت مكتبة لأصوّر فيها بعض النصوص التي أستند عليها للكتابة عنها، وهدفي من ذلك تقليل عدد الكتب والمراجع المتراكمة على الطاولة التي أكتب عليها مقالاتي، لأنه حين تكون الأوراق قليلة أمام ناظري، أركّز أكثر في مواضيعي التاريخية والروحية. لذلك وفيما كنت أصوّر هذه الصفحات المحدّدة والتي أجد فيها المراجع والأخبار التاريخية عن الوجود المسيحي في قطر... وطّدت العزم أن أزور بعد ذلك خادماً للرب طلب مني زيارته بقصد نشر الكتب الروحية والتاريخية التي طبعتها في رعيّته.

ولألقي عدداً من العظات عن دور كلمة الله في حياة المؤمنين، إضافةً إلى محاضرة عن انتشار المسيحيّة في الجزيرة العربية. ولعلمي بأنّ ما أقوم به من نشرٍ لكلمة الله، وللحقائق التاريخية المفقودة أمرٌ يُفرح قلب الرب ويشكّل عملاً من خلاله يبَشّر باسمه القدّوس، ولكني لم أكن أتوقّع بحال من الأحوال أن يرشدني عبر زيارة بسيطة إلى حقائق جديدة تتناول حياة قدّيس عربيّ من قطر...

وهكذا بعد انتظاري مدة ساعتين تقريباً، أي إلى أن أكملت الموظفة تصوير الصفحات المطلوبة. كان عليّ الصعود إلى دير مار ادنا – النمورة في كسروان تلبيةً لدعوةٍ من راهب صديق لي، دون أن أدري أن هذه الزيارة، ستثري (من ثراء) معلوماتي (ومعلومات قرائي) عن قديس عربي قطري، لا يعرف حقيقة إنتمائه العربي (بأنه مسيحي قطري) سوى نُدرة (من نادر) من اللاهوتيين في هذا الشرق.

وكي لا أطيل الحديث عليكم فإنني وخلال الغداء، **إلتقيت** أيضاً **براهب** آخر **يُدعى الأب بيو والذي لم أكن أعرفه سابقاً، إلاّ أنني وخلال تبادلنا الحديث الروحي على مائدة المحبّة، أخبرته بأنني وخلال أبحاثي عن المسيحيّة في قطر، تفاجأت بوجود راهب عربي مسيحي من قطر يدعى «داد يشوع القطري»...**

فقال لي: «لديّ لك خبر أهم من هذا بكثير، فقد سمعت من أستاذي الإيطالي (وذكر لي إسمه) والذي كان يعلمني مادة آباء الكنيسة في جامعة الغريغوريان في روما – إيطاليا، بأن القديس اسحق السرياني نفسه، والشهير في كنيستنا هو من قطر (بيت قطرايي)، وأننا كمسيحيين شرقيين لا نعرف في الحقيقة أنه عربيّ»...

لقد كنت مندهشاً طبعاً، فقلت له:

«هل أنت متأكد من هذه المعلومة التاريخية الثمينة والمجهولة؟»

فأجابني: «سأجري اتصالاً تلفونياً بمرجعية لاهوتية وتاريخية تعرف الشيء الكثير عن هذا الموضوع، وسأتصل بك في المساء لأخبرك بالمعلومات المفصّلة التي أكون قد حصلت عليها.

طبعاً تناولنا طعام الغداء بفرح وأخوّة، وغادرتهم شاكراً لهم طيب الملقى، وقاصداً طبعاً بعد هذه الصدفة الغريبة أن أوقف في تلك الليلة قلمي عن الكتابة بانتظار ما سأعرفه عن هذا القديس القطري والذي كان مجهولاً منّي في السابق...

في المساء إتصل بي الأب بيو، وأعلمني بأن إحدى الرئيسات العامات كانت قد تحدثت في رياضة روحيّة عن هذا القديس ولكنها ليست المرجع المتخصص في حياة ومؤلفات القديس اسحق. ولكنها دلّته على راهب درس حياة هذا القديس وتعمّق في أبحاثه حول إنتاجه الفكري وهو الآباتي الياس خليفه (الهاشم) والذي زوّد

موقع ويكيبيديا – الموسوعة الحرة بالمعلومات المفصّلة عن هذا القديس (أطلب: القديس إسحاق السرياني...)، فكان أن قام الأب بيو الغيور على البشارة والمعرفة الروحية بتزويدي بالمعلومات اللازمة من حضرة الأباتي العلاّمة الياس خليفة، **ومما زوّدني به أكتب التالي:**

««أسحق النينوي» أو «السرياني» هو من بيت قطرايي بحسب قاموس payne Smith **الشهير، وهو قاموس سرياني – عربي، وقد اعتمد كاتب هذا القاموس على العلاّمة الماروني الشهير سمعان السمعاني من حصرون، والذي كان أحد المراجع اللاهوتية والتاريخية المشهورة في لبنان والفاتيكان والغرب في العصور الوسطى، وهو أحد الشخصيات المسيحيّة الشرقية المرموقة والمشهورة يومذاك في أوروبا الغربية، وإنه مع أقرانه من طلاّب المدرسة المارونية في روما من جعل الغربيين يومها يطلقون هذا المثل: «عالِم كماروني»، ليعبّروا عن مدى اندهاشهم من ذكاء الطلاب الموارنة وكثرة تعمّقهم في العلم، وتعدّد اللغات التي يُتقنونها، إضافةً إلى معرفتهم وبراعتهم في أصناف المعرفة اللاهوتية والتاريخية والفلسفية وغيرها...**

ثم أردف قائلاً لي بأن المستشرق الروسي الشهير ألفييف Alfieve **ألّف أيضاً كتاباً عن هذا القديس العربي القطري، وهو يعتبر مع غيره من الباحثين الثقة، المتعمّقين في تاريخ الشرق المسيحي العربي القديم، بأن القديس اسحق هو:**

«من أعظم المؤلفين المسيحيين على الاطلاق..»

ثم طلب مني أن أدخل إلى موقع ويكيبيديا – الموسوعة الحرة، www.ar.wikipedia.org

لأقرأ ما زوّد به حضرة الآباتي المحترم هذا الموقع من معلومات حول هذا القديس، فوجدت التالي:

«**إسحق السرياني** أو إسحق النينوي **هو أحد أساقفة ولاهوتيي القرن السابع ميلادي ويعتبر من أكبر المعلمين الروحيين في الشرق المسيحي (العربي)**.

ولد في شرق الجزيرة العربية في المنطقة التي كانت تعرف قديماً بالسريانية «بيت قطرايي» (أي القطر البحري) أو «قطر» بالعربية، وهي منطقة (كانت) تمتد مساحتها الجغرافية (يومها) من الكويت شرقاً وصولاً إلى الإحساء شمالاً وحتى أقصى (سلطنة) عُمان غرباً. إنخرط إسحق في السلك الرهباني مع شقيقه وهو لا يزال شاباً يافعاً وذاع صيته في المنطقة (أي في الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين والشام). فاختير من قبل أهل نينوى ليرتسم (ليكون) أسقفاً عليهم، وكانت المسيحيّة النسطورية (نسبةً لنسطوريوس) حينها هي السائدة في تلك المدينة. نال رسامته من الجاثليق[١٦١] النسطوري جرجس بين عامي ٦٦٠ و٦٨٠ م، وبعد ذلك بخمسة أشهر فرّ إلى الجبال...»

ثم قال لي الأب بيو،
عليك أن تدرك بذكائك الفطري،
ممن هرب هذا الأسقف القطري المسيحي العربي...
ومن هم جنود الغزو الذين أرادوا قتله،
وما كان هدفهم من الامساك بهذا العلاّمة العربي المسيحيّ والقطري..

ثم أضاف نقلاً عمّا أخبره به الآباتي الهاشم، بأن القديس اسحق «إستقرّ» بعد سنين عديدة (أي بعد حياة هروب من ملاحقيه وتخفيه)، «في دير رابان شابور حيث توفي ودفن هناك. وأنه أصيب بالعمى في أواخر أيامه فكان يملي مؤلفاته على تلاميذه».

وأنه كان ذا موهبة فريدة في الكتابة عن المواضيع الروحية المسيحيّة...

---

(١٦١) رتبة توازي البطريرك...

وأن أعماله لم تلقَ إستحساناً كبيراً بين أقرانه من النساطرة، لأنها كانت بعيدة عقائدياً عن الفكر النسطوري (الذي يقول بأنّ يسوع مثله مثل آدم أي أنه خُلق إنساناً عادياً وفي عمر الثلاثين سنة حلّ على يسوع الانسان الكلمة الأزلي (نطق الله)، وقبل أن يموت يسوع الانسان غادر الكلمة الأزلي (الأقنوم الالهي) جسد المسيح الانسان لذلك شُبّه لليهود أنهم قتلوا الكلمة الأزلي ولكنهم لم يقتلوه حقيقة).

إذاً كان اعتقاد هذا القديس يوافق ما تقول به الكنيسة العالمية (أي الكاثوليكية) وما تؤمن به الكنائس الأورثوذكسية والانجيلية كافة، بأن في المسيح طبيعتين: طبيعة إلهية من حيث أن يسوع هو كلمة الله الأزلي (أي نطق الله) وطبيعة بشرية من حيث الجسد الذي حلّ فيه الكلمة الأزلي، في حين أن النساطرة كانوا يؤمنون بوجود أقنومين في المسيح أي شخصين مختلفين ويربط بينهما ارتباط سطحي. . .

وأن هذا القديس العربي القطري ترجمت كتبه الروحية في وقت مبكر أي منذ القرن الثامن إلى اللغات العربية والحبشية واليونانية وأنه قديس في الكنائس الأورثوذكسية في الشرق وروسيا وبلاد اليونان وبلغاريا ورومانيا وغيرها . . .

وأيضاً في الكنائس السريانية كالموارنة والسريان الأورثوذكس والكاثوليك وغيرها . . .

طبعاً كنت متفاجئاً من هذا الكمّ من «المفاجآت - المعلومات»، التي علمتها في ذلك اليوم، عن قديس عربي مجهول من أهل الجزيرة العربية موطنه الأصلي، ومنّا نحن مسيحيي هذا الشرق العربي.

فأنا لم أكن أتوقع بحالٍ من الأحوال أن يزودني الروح القدس بمعلومات روحية حول هذا القديس بطرقه الأغرب من الخيال... ولكي يجعلني أشعر

أكثر فأكثر بأنه يحدّثني من خلال اخوتي في الكهنوت جرى معي في النهار التالي أي يوم السبت ٣٠ تشرين الثاني، صدفةٌ أخرى قد لا يتحمّل قوّة صدمتها مَن لا يؤمن بأنّ مسيحنا حيّ وعجائبيّ بامتياز... لقد كنّا كعادتنا في أبرشية جبيل المارونية نجتمع في السبت الأخير من الشهر مع راعي أبرشيتنا الفاضل والمحبوب المطران ميشال عون السامي الاحترام، وحيث أن يومي هذا، كان ممتلئاً أيضاً بالمواعيد، إذ كان لدي واجب تعزية الساعة ٣٠، ٢ بعد الظهر في جبيل. وفي الساعة ٠٠، ٥ والساعة ٠٠، ٦ من بعد الظهر، كان لدي قداديس وعظات في منطقة كسروان، في حين أنه كان عليّ في الساعة ٨،٣٠ مساءً، إلقاء محاضرة في بلدة بكفيا، وطبعاً بعد القداديس والمحاضرات كان المؤمنون يلهفون للحصول على كتبي الروحية والتاريخية، التي ترافقني حيثما حللت...

في صباح ذلك اليوم ولكي لا يظل أولادي لوحدهم في المنزل طوال النهار بسبب تغيّب والدتهم (أي زوجتي) لاضطرارها إلى زيارة والدتها في البقاع، فإني قررت إيصالهم إلى منزل والدتي مرتا في قرية بشلي وهكذا وصلت متأخراً إلى اجتماع الكهنة بحوالي الساعة، (وكانت الساعة العاشرة صباحاً) وما إن دخلت القاعة فإذا بي أرى النائب العام على الأبرشيّة المونسنيور جورج أبي سعد يعطي حديثاً روحياً، ولكن يا للمفاجأة الصادمة لي لقد كان يتحدث عن مؤلفات القديس إسحاق السرياني، طبعاً وقفت مدهوشاً ومتعجباً وفرحاً من كَمّ (أي كميّة) هذه الصدف الغريبة – العجيبة والمتعلقة كلها بهذا القديس العربي القطري.

وبعد أن أنهى حضرة النائب العام الأسقفي حديثه سألته بالسماح لي بالحصول على الأقوال الروحية التي إستقاها من كتاب مطبوع بالفرنسية يتضمن أقوالاً عائدة لهذا القديس. ثم شكرته على حديثه الروحيّ عن هذا القديس وسائلاً إياه:

– هل تعلم إلى أي بلدٍ ينتمي هذا القديس ؟ وما هو موطنه الأصلي؟

– فقال لي: من «بيت قطرايي» كما أظنّ . . .

وهكذا شرحت على مسمع من أسقف الأبرشية والكهنة والرهبان ما سمعته في الأمس عن حقيقة الانتماء العربي لهذا القديس وأن «بيت قطرايي» هي مملكة قطر في الجزيرة العربية حالياً، والتي كانت تشمل الكويت وعمان وقسماً من شرق السعودية قديماً. وطبعاً تفاجأ المونسنيور وكل الحضور:

«بحقيقة أنّ هذا القديس هو مسيحي عربي من قطر . . . وكيف أنه أمضى آخر سني حياته هارباً من سيوف القتل حفاظاً على إيمانه بالمسيح» . .

ثم طلبت من المونسنيور جورج أبي سعد
أن يرسل لي ما لديه من أسماء لمراجع أكاديمية،
وجامعية دَرَسَت سيرة حياة هذا القديس.

فإليكم بعض ما وردني من حضرة المونسنيور والتي تشير إلى اهتمام كل الجامعات الغربية العريقة والشهيرة بمؤلفات هذا القديس القطري الأصل والعربي الانتماء، وسأورد أسماء تلك الجامعات وتاريخ المخطوطات الموجودة لديها والعائدة لمؤلفات هذا القديس . . .

١ – جامعة أوكسفورد: مخطوطة سريانية من القرن العاشر م. ،Oxford
(th ١١ /th ١٠) Boldeian Library، ms syr

٢ – جامعة هارفرد: مخطوطة سريانية من القرن ١٣.
(Harvard University Cambridge Mass (Hounghton Library), Syr. 57 (13 / 14 th

٣ – المكتبة الوطنية البريطانية، مخطوطتين من القرن العاشر م
Britich Library. Add. 14632 / 14633 (10 th cent.)

٤ – المكتبة الوطنية الفرنسية في باريس، مخطوطة سريانية من القرن الحادي عشر.
Bibliothèque Nationale de Paris – France Syr. 298 (11 th / 12h cent.)

– طبعاً تجدر بنا الإشارة إلى أن أي من هذه المخطوطات القديمة الثمينة والعائدة للقديس اسحق القطري، ليس فقط لم تشترِها أو تقتنها أي من دول الشرق العربي النفطية، بل إننا كعرب مسيحيين ومسلمين، لا نعرف حتى بوجودها، كما لا نعرف شيئاً عن:

مضمون تعاليم... هذا العلاّمة العربي الانتماء..
والمسيحي الديانة.. والقطري المَوطن..
فيا للصدف الروحيّة التي أطلعتني وأطلعتكم
على مؤلفات قديس مسيحي وعالم لاهوتي شهير...
من أرض الجزيرة العربية...
وهو من أعظم القديسين المسيحيّين على الاطلاق...

«من كتابات القديس إسحق»
«إبن بيت قطرايي – قطر»

«للقديس مار إسحق كتب عديدة، وقد إتسمت كتاباته بالتشبيهات الإستعارية. وقد ترجمت مؤلفاته إلى العربية واليونانية واللاتينية والايطالية والإسبانية والفرنسية والروسية.

ومن مؤلفاته: ١ – أربعة كتب في التعليم الكتابي والرهباني
٢ – سبعة مجلدات في التدبير الروحي والأسرار الإلهية
٣ – عدة كتب عن سير (حياة) النساك.
٤ – كتب شعر وحوار ديني[١٦٢].

(١٦٢) أنظر موقع غوغل: القديس مار إسحق السرياني – كتاب مدخل في علم الآباء (آباء الكنيسة) – Patrol gie.

من أقواله الروحية في الكتاب المقدّس:

١ – الكتاب المقدس قوة للذهن:

«قراءة الكتاب المقدّس تقوّي الذهن، تروي الصلاة،
وتقيّد الذهن من الشرود والذهاب ليرعى بين الأباطيل،
فالكتاب المقدّس يعين السهر والساهر، ويقتني للذهن الحكمة والتمييز».

٢ – الكتاب المقدس سبب اندهاش دائم:

«المثابرة على تفحص الكتاب المقدّس، تملأ النفس من الاندهاش الدائم
الذي لا يدرك وبالفرح الذي في الله».

٣ – الكتاب المقدس ينبوع للصلاة:

«قراءة الكتاب المقدّس هي بدون شك الينبوع الذي يلد الصلاة،
ومنها (أي من قراءة الكتاب المقدس والصلاة)
ننقاد إلى حب الله الذي مثل شهد العسل،
يفيض في قلوبنا حلاوة المحبة لأخينا الانسان باستمرار».

الحقيقة في الكتاب المقدّس

– «لا تقترب من كلمات الكتاب المقدّس،
بدون صلاة وطلب العون من الله قائلاً:
«هبني أن أختبر القوة التي في كتابك».

وإن الصلاة هي المفتاح لمعرفة الحقيقة (الالهية) التي في الكتاب المقدّس».

الصـــلاة

هـــي:

1 – أبوة: «الصلاة هي أن تتكلّم مع الله كما يتكلّم الابن مع أبيه».

٢ – بنوة: «كما أن الطفل عندما يخاف يلتجئ بأذيال أبويه،
هكذا نفس المؤمن، عليها كلما تضايقت أن تلتجئ إلى أبيها السماوي بالصلاة».

٣ – عفّة: «أحبّ العفّة (وليس تعدد النساء) كي لا تخذل أمام الله عند الصلاة».

«الشهواني (أي الذي يحبّ النساء) الذي يدّعي هداية الآخرين،
هو أعمى يريد أن يدلّ ولكن إلى أي طريق».

٤ – غفران: «إن الحقود يستثمر من صلاته
ما يستثمره الزارع في البحر من الحصاد».

– «إن صلاة الحقود (المتعصب) كالبذار الساقط على الصخرة».

٥ – معرفة روحية: «إن الذين يعرفون الكتاب المقدّس،
يسهل عليهم التضرع إلى الله، في صلاة حقيقيّة»

٦ – رحمة: «المؤمن بلا رحمة كالشجرة بلا ثمر».

٧ – ردع: «لا شيء يمكنه أن يردع الذكريات الماضية القبيحة سوى
الصلاة الخاشعة»

٨ – روحانيّة حقّة: «الذي يريد (سواء إدّعى أنه رسول أو كان مؤمناً)
أن يحظى بالإلهيات، عليه أن يتغرّب أولاً
عن شهوات العالم[١٦٣] (شهوة العين وشهوة الجسد وحب السلطة)،
كالطفل عن ثديي أمّه.
لأن من يكرم الجسد (بالنهم الجنسي والمغانم..)
يكرم الشياطين الذين خدعوه».

---

(١٦٣) الانجيل المقدّس – ١ يوحنا ٢/ ١٦.

٩ – محبّة لكل البشر: «المحبّة هي ثمرة الصلاة،

إعطش إلى يسوع فيسكرك بحبّه».

«يجب أن نصلي من أجل كل البشر بألمٍ، كما لو كنّا نصلّي لأنفسنا،

لأنه بهذه الطريقة يستريح الله فينا، وتسكن إرادته فينا». (٢/ ٥)

«ما هو القلب الممتلئ محبّة؟ هو القلب الذي يلتهب حباً للخليقة كلّها:

البشر، والطيور، والحيوانات، وكل ما هو مخلوق.

عندما يتذكرّهم، تذرف عينا الانسان الرحيم دموعاً غزيرة.

بسبب الرحمة القوية التي تجتاح قلبه وبسبب محبته الغامرة.

ويتواضع قلبه ولا يعد يحتمل أن يسمع أو يرى ألماً صغيراً أو جرحاً في الخليقة.

لذلك يقرّب دون انقطاع الصلوات والدموع حتى من أجل الحيوانات

ومن أجل أعداء الحق ومن أجل من سبّبوا له الأذية

لكي ينالوا الحماية والرحمة.

كذلك يصلّي من أجل الأفاعي

(القتلة، الثرثارين، المتعصبين المتحجري القلوب..)

بسبب المحبة الكبيرة التي تملأ قلبه على مثال الله».

١٠ – موهبة روحيّة:

«إن الروح (القدس) عندما يسكن في إنسان مؤمن لا يدعه يتوقف عن الصلاة،

بل الروح نفسه هو الذي يصلّي فيه».

وهذه هي موهبة اللغات...

والتي نالتها العذراء مريم والرسل في العنصرة (أعمال الرسل ١/ ١٤، ٢/ ٤)

والتي نالها المؤمنون في الكنائس الأولى (١ كورنتوس ١٤/ ١ – ٤٠)

فالروح عندما يحلّ على المؤمن الحقيقي العميق روحياً

بما يطلق عليه في أعمال الرسل فيض الروح:

«قال الله: في الأيام الأخيرة أفيض من روحي على جميع البشر..

يرى شبابكم رؤىً ويحلم شيوخكم أحلاماً..
وأعمل عجائب... ومعجزات تحت في الأرض:
ويكون دم (حروب وثورات) ونار ودخان كثيف.
فمن دعا باسم الرب يخلص». (أعمال ٢/ ١٧ – ٢٠)
أي **يصير** الروح القدس يصلي فيه بأنات مسموعة،
«فنحن لا نعرف كيف نصلي كما يجب،
ولكن **الروح يشفع** لنا عند الله **بأنّات لا توصف**». (روما ٨/ ٢٦)
وهذا ما يشير إليه كلام هذا القديس القطري:
«الروح القدس نفسه هو الذي يصلّي (فيّ) فيه».
وهذا ما قاله الرسول بولس لأهل كورنتوس:
«أحمد الله على أني أتكلّم بلغات أكثر مما تتكلّمون كلّكم»
(١ كورنتوس ١٤/ ١٨)
وهذا ما طالب به القديس يهوذا في الانجيل المقدّس،
(وهو شقيق يعقوب رئيس كنيسة أورشليم)
حين ناشد مؤمني كنيسة أورشليم أن:
«**صلّوا في الروح**» (رسالة يهوذا ٢٠)
وليس إلى الروح...
وبين أن تصلي «في الروح».. (أي أن يكون لديك هبة اللغات)
و«إلى الروح»..
فرق شاسع...
«**أما أنتم أيها الأحباء**، فابنوا أنفسكم على إيمانكم المقدّس،
وصلّوا في الروح القدس». (الانجيل المقدس، رسالة يهوذا آية ٢٠)
فيا لروعة الروح القدس
ويا لجمال قداسة هذا القديس القطري «المواهبي» ألـ «Carismatique“

بامتياز . . .

وهكذا بِتّ أدرك الآن تماماً ،

لماذا عرّفني الروح القدس ،

إليه وبعمق ، لأن ما يجمعني بهذا القديس:

هو حبّ المسيح . . والعروبة . . .

ومواهب الروح القدس . . . آمين

المسيحيّة في عُمان (القرن الثالث م)

تقع عُمان شمالي حضرموت حيث تواجد ملوك كندة المسيحيين ، وكانت حاضرتها صحّار قد دخلت إليها المسيحية بواسطة مبشّرين مسيحيين من العراق . لذلك كما نشط المسيحيّون النساطرة في قطر (بيت قطرايي) ، فإنهم نشطوا أيضاً في بلاد عُمان ، وهم يسمونها في كتبهم ولغتهم «مُزون» ، وهذا ما نبّه إليه ياقوت في كتابه معجم البلدان إذ يقول: «والمُزون (هو) ألبُعد . ويجوز أن يروى بفتح الميم ، إذا نُظر إلى الموضع لا إلى الفعل وهو من أسماء (سلطنة) عُمان[١٦٤] . . .» .

ويرد في المجامع النسطورية القديمة ذكر لأسماء أساقفة كانوا في عُمان Mazon منذ الربع الأوّل من القرن الخامس . فممّن ذكروا: الأسقف يوحنّان Yohannon الحاضر في مجمع داد يشوع المنعقد سنة ٤٢٤ م ، وداود سنة ٥٤٤ م ، وشموئيل Samuel سنة ٥٧٦ م . وكان في عُمان أديرة للمسيحيين يشير إليها صاحب الأغاني . وجاء في تاريخ إبن الأثير (١/ ٢٣٤): «أن قيس بن زهير لما تنصّر (صار مسيحياً) ساح في الأرض حتى انتهى إلى عُمان فترهّب بها» .

---

(١٦٤) كتاب معجم البلدان – ياقوت الحموي ، جزء ٥ ، ص ١٢٢ .

وهذا ما يؤكّد انتشار المسيحيّة النسطوريّة بين أهل عُمان من الأزد[١٦٥] ومن خالطهم من بني ناجية بن جَرْم من قضاعة وبني راسب بن الخزرج بن جّجة بن جرم وبني قُدامة بن جَرْم، وبني مَلْكان بن جَرْم. وكل هؤلاء كانوا يسمّون «أتلاد عمان». ويضيف البكريّ عن بني ناجية أنّ أسامة بن لؤيّ بن غالب القرشيّ تزوّج امرأة جرميّة وهي ناجية بنت جرم، بعُمان، فصار بنوه حياً حريداً شديداً ولهم منعة وثروة، يقال لهم بنو ناجية[١٦٦].

ولنا على مسيحيّة بني ناجية قبل الإسلام شاهد في ما رواه الطبريّ بإسناد أبي الطُفيل ما حرفه، قال: «كنت في الجيش الذين بعثهم علي بن أبي طالب إلى بني ناجية، فقال: فانتهينا إليهم، فوجدناهم على ثلاث فرق، فقال أميرنا لفرقة منهم: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم نصارى، لم نرَ ديناً أفضل من ديننا، فثبتنا عليه، فقال لهم: اعتزلوا. وقال للفرقة الأخرى، ما أنتم؟ قالوا: نحن كنّا قومٌ نصارى فأسلمنا، فثبتنا على إسلامنا، فقال لهم: اعتزلوا. ثمّ قال للفرقة الأخرى الثالثة ما أنتم؟ **قالوا: نحن قوم كنّا نصارى، فأسلمنا، فلم نرَ ديناً هو أفضل من ديننا الأول، فقال لهم أسلموا، فأبوا فحُزّت رقابهم بالسيف»**[١٦٧].

كما يذكر المؤرخ ألمسلم المسعودي في كتابه مروج الذهب[١٦٨] قتل عَلي بن أبي طالب وجيشه أيضاً لثلاثمئة آخرين من مسيحيي عُمان، بسبب إرتدادهم إلى دينهم المسيحيّ السابق بعد موت رسول المسلمين: «ومضى الحارث (والصواب الخِريت) بن راشد الناجي في ثلثمائة من الناس فارتدوا إلى دين النصرانية وهم من ولد سامة بن لؤي بن غالب».

---

(١٦٥) وهم من القحطانيّين من نسل كهلان، وقد عُرفوا بأزد عمان، تمييزاً لهم عن أزد شنوءة وأزد السراة وأزد غسّان.

(١٦٦) البكريّ، المصدر السابق، ص ٤٦ – ٤٧.

(١٦٧) البكري، تاريخ، جزء ٥، ص ١٢٥ – ١٢٦.

(١٦٨) جزء ٤، ص ٤١٨.

ولا حاجة للتذكير بأن علي وخالد وعمر حزّوا رقبة كل مرتد،
أصرّ العودة إلى دين المسيحيّة،
دين المحبة والسلام واللاعنف،
ففي قوله إرتدوا إلى المسيحيّة دليل على أنه تمّ فيهم ما تمّ...

المسيحية في البحرين

ومقتل الملك المنذر بن النعمان بن قابوس اللخمي المسيحي سنة ٦٣٣ م.

انتقل الدين المسيحي إلى شواطئ الخليج العربي منذ زمن بعيد وإن آخر ملك من المناذرة العرب كان يدعى المنذر بن النعمان وكان مسيحياً، وقد قتل مع عدد كبير من مسيحيي البحرين فيما كان يصد جيش الغزاة المسلمين.

وكانت قد دخلت المسيحيّة إلى بلاد البحرين في القرن الرابع ميلادي من خلال الراهب عبد يشوع من بلاد ميسان بأقصى جنوب العراق حيث بنى ديراً في جزيرة البحرين ثمّ بشّر وعمّد أهلها.

وكانت بلاد البحرين «ولايةً تابعة» لحكم ملك الحيرة المسيحي، وكان فيها جماعتان مسيحيتان عربيتان كبيرتان في مدينة هجر وفي مدينة الخط وعليهما أسقف يرأس عدداً من رجال الدين المسيحيين، وكان أهل البحرين من بني عبد القيس وبكر بن وائل وبني دارم التميميين يدينون بالمذهب النسطوري. وكان لمدينة هجر أسقف يدعى إسحق ذكر في مجمع الكنيسة النسطورية سنة ٥٧٦ م ثم ورد ذكر أسقف آخر يدعى موسي سنة ٦٧٦ م. أما جزائر البحرين دارين ويقال دَيرين فذكر لها في تواريخ النساطرة ثلاثة أساقفة وهم بولس سنة ٤١٠ م ويعقوب سنة ٥٨٥ م ويشوعياب سنة ٦٨٦ م الذي يبدو أنه رعّى البقية الباقية من مجازر الغزو...

أما جزيرة سماهيج (وفي السريانية مشمهيج) الواقعة في وسط البحر بين عُمان والبحرين فكان فيها أيضاً جماعة مسيحيّة وفي المجامع النسطورية ذِكر لأسماء ثلاثة أساقفة تولّوا تدبيرها وهم باطاي والياس (٤١٠ م) وسركيس (٥٧٦ م).

وفي مجمع الأساقفة النساطرة الذي دعي إليه سنة ٥٨٥ م الجاثليق يشوعياب، أَمَرَت السلطة الكنسية أهل البحرين المسيحيين بالكفّ عن الشغل يوم الأحد إن أمكنهم الأمر وإلاّ أعفوا من ذلك لأجل الضرورة»[١٦٩].

وقد ثبت هؤلاء المسيحيّون البحرينيون العرب على دينهم، وفي حروب الردّة الجائرة قُتل الغالبية العظمى منهم. ويشير العلامة الأب لويس شيخو في كتابه النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية[١٧٠] إلى أنّ: «لأهل البحرين عادات مسيحيّة تناقلوها أباً عن جدّ حتى اليوم... كصورة الصليب يرسمونها على جباههم أو يطبعونها بالوشم على أعضائهم (أيديهم) وكإكرامهم للخبز وهذا ما يذكر بالقربان الأقدس الذي عرفه أجدادهم القدماء».

وقد أشار البلاذري إلى وجود مسيحيين في البحرين عند ظهور الاسلام وان الجزيرة كانت كثيفة السكان وغنية: « وكان في أرض البحرين... خلق كثير من العرب من عبد القيس، وبكر بن وائل، وتميم مقيمين في باديتها»[١٧١].

وكان يحكمها والٍ يدعى المنذر بن ساري: «وكان على العرب بها من قبل الفرس على عهد رسول الله... المنذر بن ساري... فأرسل (محمد) العلاء الحضرمي وكتب معه إلى المنذر... يدعوهما إلى الإسلام، فأسلم وأسلم جميع العرب. فأما أهل الأرض من ... النصارى فإنهم صالحوا العلاء وكتب بينه

(١٦٩) كتاب المجامع النسطورية – ج. شابو بالفرنسية ص ١٨٩. وأيضاً كتاب النصرانية وآدابها ص ٧١.
(١٧٠) دار المشرق – ص ٧٠.
(١٧١) كتاب فتوح البلدان – البلاذري ص ١٠٦ – دار النشر للجامعيين – بيروت.

وبينهم كتاباً. . . وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم دينار. . . **وبعث العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله مالاً من البحرين، يكون ٨٠ ألفاً، ما أتاه أكثر منه قبله، ولا بعده».**

أريد أن أشير بدايةً إلى أن معلومات البلاذري حول البحرين،
تشير إلى وجود عدد كبير من العرب والعجم فيها.
فإذا ما نظرنا إلى مقدار الجزية على رأس الحالم:
«وأما جزية الرؤوس فإنه أخذ لها من كل حالم ديناراً» (ص ١٠٧)
ومن قيمة المال الذي أرسله علاء الحضرمي إلى رسول المسلمين
بعد أن فَرَضَه على السكان:

«بعث العلاء بن الحضرمي إلى رسول المسلمين مالاً من البحرين، يكون ثمانين ألفاً (من الدنانير)، ما أتاه (أي لمحمد) أكثر منه قبله ولا بعده». (ص ١١١).

ندرك أن البحرين كان قد سكنها عدد كبير من السكان يومها،
أي في بداية القرن السابع ميلادي. . . وأنها كانت غنية جداً وفي بحبوحة. .
وأنّ غالبية سكانها كانوا من المسيحيين، سيما وأن الجزية كانت طائلة،
وتشير إلى أن عددهم كان يفوق الثمانين ألفاً بكثير. . .

فنتساءل بالتالي ما كان مصير سكانها المسيحيين الآمنين،
بعد وفاة رسول المسلمين؟
هل أسلموا طوعاً؟ هل قُتلوا؟
ومن كان حاكمهم السابق؟ وهل كان مسيحياً عربياً؟

بطبيعة الحال لا يمكننا الأخذ بكل ما كتبه الرواة المسلمون
لأنهم لا يكتبون وجهة نظر السكان الأصليين
وما عانوه من فاقةٍ بسبب الجزية أو الخراج،

أو دروس السيوف الرحمانية!!..
ولكن يمكننا من خلال بعض الوقائع والأحداث
التي جرت على أرض البحرين الحبيبة،
أن نستشِف أو نستنتج ما لحق بالمسيحيين العرب في البحرين
من ويلات وما حل بهم من قتل...
وبنسائهم من سبيٍ... وبذرياتهم من مصيرٍ أسود...
على يد «رجالات الله ورسوله...»
بعد أن كانوا (أي مسيحيّو البحرين) وغيرهم (من المواطنين)
مقيمين مع عائلاتهم في بيوتهم وبلادهم آمنين مطمئنين...

فلمعرفة مصير هؤلاء ما علينا سوى أن نترك البلاذري يكمل روايته فيقول:

«**بعد وفاة رسول المسلمين** بقليل.. **ارتدّ سائر من في البحرين من قبيلة ربيعة (المسيحيّة) وأمّوا عليهم (أي جعلوا ملكاً عليهم) إبناً (للملك) للنعمان بن المنذر (ملك الحيرة المسيحي)، يقال له (الملك) المنذر، فسار... حتى لحق (بقبيلة) ربيعة فانضم إليها بمن معه**، وبلغ العلاء بن الحضرمي (قائد جيش الغزاة المسلمين) ألخبر، فسار بالمسلمين حتى نزل جُوَاثَا وهو حصن البحرين... فبيّت ربيعة (أي ترك من رحمته أهل ربيعة يبيتون ليلةً بَعدُ أحياء...) **فقاتلوا (أي المسيحيّون) قتالاً شديداً وقُتل الحطم**[١٧٢]... **وهو بجواثا (أي فيما كان يدافع عن الحصن) و(كان) قد كفر أهلها جميعاً (أي أن جميع الساكنين في جواثا حصن البحرين عادوا إلى المسيحيّة)، وأمرّوا عليهم (الملك) المنذر بن النعمان**، فأقام معهم فحصرهم العلاء (قائد المسلمين) حتى فتح جُواثا»[١٧٣].

أما عن مصير هذا الملك المسيحي العربي ومصير فلول قبيلة ربيعة المسيحيّة فيبدو أنهم وبعد أن فتك بهم المسلمون الغزاة في حصن البحرين «جواثا».

---

(١٧٢) إنه أحد أبطال المسيحيين العرب في البحرين...

(١٧٣) كتاب فتوح البلدان – للبلاذري – ص ١١٤ – ١١٥.

أي بعد أن قُتل من المسيحيين العرب من قُتل، فأن الملك المنذر هرب مع من فَلّ (من فلول) من قبيلة ربيعة إلى مدينة الخط (في البحرين) حيث لوحِقوا وقتلوا على يد الغزاة المسلمين:

« أما (الملك) المنذر بن النعمان - فلما ظهر (أي غلب) المسلمون... لحق هو وفلّ (فلول قبيلة) ربيعة بالخط فأتاها العلاء ففتحها وقتل (الملك) المنذر ومن معه»...[١٧٤].

من سياق النص ندرك:

«لقد قتل ألملك المنذر «ومن معه»... بالجملة...

أي أي القتل كان شاملاً...

«فسيوف الله لا تُوفر أحداً...».

من كل ما تقدّم ندرك أنه:

١ - لم يكن الملك المنذر بن النعمان ليترك عاصمة مُلكه الحيرة ويأتي إلى البحرين للدفاع عنها، وهي طبعاً إحدى مناطق مملكته لو لم تجمعه مع سكان البحرين وحدةِ الدين والمصير، ولو لم يكن يوجد له فيها عدد كبير من الأتباع والجنود...

٢ - إن كِبر قيمة الجزية التي قبضها في السابق رسول المسلمين (من خلال رسوله علاء الحضرمي) من أهل البحرين تشير إلى كثرة عدد المسيحيين وغيرهم من القاطنين في تلك الجزيرة وإلى غناها، وإن حبّ السيطرة على مقدراتها المالية كان ربما أحد أسباب غزوها...

٣ - يشير العلامة إبن الأعثم في كتابه الفتوح[١٧٥] إلى كثرة عدد مقاتلي

(١٧٤) كتاب فتوح البلدان - للبلاذري - دار النشر للجامعيين - ص ١١٥ - ١١٦.

(١٧٥) كتاب الفتوح - للعلاّمة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي - المتوفي سنة ٩٢٦ م - المجلّد الأول - ص

بنو ربيعة (المسيحيين) مما اضطر المسلمين إلى غزوها بجيش كثيف فيقول: «ودنت منهم (أي من المسلمين الذين غزوا الجزيرة) بنو بكر بن وائل (في اثنا عشر ألف مقاتل) فاقتتل القوم قتالاً شديداً. . . ودام الحرب بينهم أياماً كثيرة حتى قتل منهم مقتلة عظيمة. . . ثم سار العلاء بن الحضرمي (أي أتى الإمداد للمسلمين) **بجيش كثيف** (ص ٤٢) **وقال: والله! أريد (حز رقاب) بني بكر بن وائل فإنهم قد أتوا (بالملك) المنذر بن النعمان. . . وقد ارتدوا عن دين الإسلام (إلى ديانتهم المسيحيّة) فركب (أي قائد المسلمين) حتى إذا عاين عسكرهم** أكبّ عليهم الخيل. . . **وأخذتهم السيوف. . . وقُتل من الكفّار (أي من المسيحيين) بشر كثير. . . وانهزم الكفّار إلى موضع يقال له الردم، واحتوى المسلمون على ما قدروا عليه من غنائمهم». (ص ٤٥)**

«ثم سار العلاء بن الحضرمي (بعد هذه المذابح والمغانم). . إلى الجزيرة (دارين)، فما تركوا فيها ذكراً إلا قتلوه إلاّ من كان من صغار الذرية، واحتوى (الرجال) المسلمون على جميع ما كان في جزيرة دارين من النساء والذرية والأموال. . .»[١٧٦].

إذاً من خلال نصوص المراجع الإسلامية نفسها. . .

ندرك كيفية دخول الإسلام إلى البحرين

وطريقة موت **الملك النعمان بن المنذر آخر ملوك مملكة المناذرة العرب. . .**

لقد ماتَ. . كما مات الكثير من مسيحيّي بني بنو بكر بن وائل. . .

وهم يدافعون عن دينٍ صحيح عرفوه. . . وأرضٍ طيبة أحبوها. . .

---

٤٤ – ٤٥ – دار الكتب العلمية.

(١٧٦) كتاب الفتوح – للعلاّمة أبي محمد بن أغنم الكوفي – المتوفي سنة ٩٢٦ م – المجلد الأول – ص ٤٤ – ٤٥ – دار الكتب العلمية.

وذريةٍ ونساءٍ عَشِقوهنّ . . .
لقد ماتوا كرجالٍ شجعانٍ شرفاء . . .
وربما من حُسن حظّهم . . .
أن أعينهم لم تر ما حلَّ بأطفالهم وأولادهم وبناتهم ونسائهم . . .
بعد أن صاروا من «مَلكات يَمين» غزاتهم «الأتقياء المؤمنين . . .»
ذلك أن هذه الحقيقة المرّة ليست وحيدة،
وهناك كثيرات غيرها، قد أوردها إبن الأعثم إذ يقول:
«ما تركوا . . ذكراً إلاّ قتلوه إلاّ من كان من صغار الذريّة،
واحتوى المسلمون على جميع ما كان . . .
من النساء والذرية والأموال»(١٧٧).
طبعاً أذكر هذه الحقائق المرّة،
ليعرف بها القارئ المسيحي العربي وكل إنسان حقاني . . .
ونتساءل هل هذا هو حُكم الله؟ أم ماذا؟؟ . . .
وطبعاً إننا بسماحتنا المسيحي العربي نغفر . . .
ولكننا نعلم بأنه علينا أن نشهد للرب
وأن نكتب لا أن نُجبن (أي أن نكون جبناء)
بل لكي نستذكر تاريخنا الأليم . .
وليحترق قلبنا غيرةً على نشر ديانة المسيح ألسلاميّة والخلاصيّة . . .
ولعلّ المسيحيين وغيرهم من المعتدلين
يدركون سبب البلاء . .
فنهتدي جميعاً إلى إله اللاعنف والسلام
ونُدرك عِظَم الحقائق المرّة التي طُمرت في غياهب النسيان . . .

---

(١٧٧) كتاب الفتوح – للعلامة إبن الأعثم الكوفي – جزء ١ – ص ٤٥ – دار الكتب العلمية.

أسباب نجاح الغزو الإسلامي

للبحرين

١ - إثارة العداء بين القبائل:

يشير إبن الأعثم[١٧٨] إلى معارك جرت في البحرين بين قبيلة بني بكر بن وائل المسيحية وبني عبد القيس وقد دامت الحرب بينهم أياماً كثيرة حتى قتل منهم مقتلة عظيمة. وكانت الغلبة لبني بكر بن وائل، إلى أن قَدِمَ العلاء بن الحضرمي بجيشه إلى البحرين وقد ذَكرتُ أنه كان قد جمع «المال الكثير» لرسول المسلمين في السابق من جزية الرؤوس في البحرين كما كان محرّضاً لبني عبد القيس على بني بكر بن وائل سيما وأن هؤلاء كانوا يريدون الملك النعمان بن المنذر ملكاً عليهم لذا قالوا فيه: «هو لنا رضىً ولا نريد بدلاً» (ص ٤١).

٢ - صِغر سن الملك النعمان بن المنذر:

يشير إبن الأعثم إلى معلومة أخرى مهمة: «فقالوا (أي بنو بكر بن وائل): هو (أي النعمان) لنا رضىً وما نريد بدلاً... **وكان المنذر بن النعمان.. يومئذ حديث السن... غلام حدث لا معرفة له بالأمور (العسكرية)...»** (ص ٤١)

٣ - الطمع بالمغانم:

بعد الذي قرأناه عن مقدار المال الذي جناه رسول المسلمين من الجزية (٨٠،٠٠٠ دينار بسنة واحدة) والتي كان قد فرضها عامله العلاء بن الحضرمي على أهل البحرين، ندرك مقدار الغنى والبحبوحة، التي كان ينعم بها سكان

---

(١٧٨) كتاب الفتوح - لابن الأعثم - الجزء الأول - ص ٤١ - دار الكتب العلمية - بيروت.

تلك البلاد، من خلال صيد اللؤلؤ والتجارة البحرية مع فارس وباقي الممالك المجاورة، وطبعاً شكّل هذا طمعاً «حلالاً»: «مالاً وسبياً وذريةً»...

٤ – التفوق العددي لجيش المسلمين:

يشير «إبن الأعثم» إلى أن ثمامة بن أثال الحنفي حين سلّم على العلاء بن الحضرمي في أرض اليمامة سأله: «أين تريد (الذهاب) يا علاء؟ فإني أرى معك جيشاً كثيفاً...» فكان جوابه: «أريد بني بكر بن وائل» (ص ٤٦) (أي أريد أن أقتل بني بكر بن وائل المسيحيين).

ولماذا؟

فالجواب ورد في قوله أيضاً:

«قد أتوا (بالملك) بالمنذر بن النعمان... وقد إرتدوا عن دين الإسلام..» (ص ٤٢)

٥ – حب النكاح والربح:

لا نبالغ إن قلنا أن من أسباب الغزوات العسكرية الاسلامية، كانت معرفة القادة والجنود ما ينتظرهم من مكافآت دنيوية وجسدية حين إنتصارهم على الشعوب المغلوبة، وهذا ما رواه إبن الأعثم بكل صدقٍ ودون أي طمسٍ للحقائق كما هي عادة غيره من الرواة والمؤرّخين، إذ قال: «واحتوى المسلمون على جميع ما كان... من النساء والذرية والأموال» (ص ٤٦)

٦ – ألمقتلة العظيمة:

إن سيوف المهاجمين لم توفر أحداً... فهي كانت:

تبيد الرجال... وتجعل النساء المتزوجات والعذارى» من ملِكات» اليمين...

وتسبي الأطفال... وتصادر البيوت والممتلكات... وتأخذ الأموال...

فيا لبئس المصير... ويا للمصائب المتكرّرة...

ويا لِظُلم الجزية المفروضة التي لا مفرّ منها . . .

سوى بالاهتداء إلى دين الحق والعدل والسلام . . .

«فسار العلاء بن الحضرمي (في جيشه) فلم يشعر العرب (بنو بكر بن وائل) إلا وحواضر الخيل تطأهم . . فأخذتهم السيوف . . فقتلوا عن آخرهم . . ودخلت الخيل إلى الجزيرة ، فما تركوا فيها ذكراً (رجلاً أو شاباً أو مراهقاً) إلا قتلوه إلا من كان من صغار الذرية ، **واحتوى المسلمون على جميع ما كان في جزيرة دارين من النساء والذرية والأطفال ، وانصرفوا إلى عسكرهم . . .»**(١٧٩)

بعد القيام بهذا العمل الإلهي . . . والفتح المبارك . . .

وبعد القضاء على الكافرين الذين كانوا قبل مجيء جيش المسلمين آمنين

يشير إبن الأعثم: إلى عدل القائد العلاء بن الحضرمي . . .

فقد أعطى ألخمس من الغنائم . . .

لأبي بكر أمير الإيمان . . . والمؤمنين . . .

«وجمع العلاء بن الحضرمي ما كان عنده من الغنائم فأخرج منه الخمس ووجّه به إلى أبي بكر رضي الله عنه (وعن المقاتلين المجاهدين في سبيل الله ورسوله) **وكتب إليه يخبره بما فتح الله عزّ وجلّ عليه من البحرين . . .»**(١٨٠)،

هكذا «انهزم الكفّار بين يدي المسلمين وأخذتهم السيوف»(١٨١)

وتشتّت «بنو بكر بن وائل فلحقوا بالبراري والفلوات

هائمين من سيوف المسلمين والمهاجرين والأنصار»(١٨٢)

وكانت النهاية لكنيسة المسيح والقديسين في تلك البلاد . . .

---

(١٧٩) كتاب الفتوح – إبن الأعثم – ص ٤٦ – دار الكتب العلمية – بيروت .

(١٨٠) كتاب الفتوح – لإبن الأعثم – الجزء الأول – ص ٤٧ – دار الكتب العلمية – بيروت .

(١٨١) المرجع السابق ص ٤٦.

(١٨٢) المرجع السابق ص ٤٦ .

إلاّ أن دماء كل هؤلاء المسيحيّين العرب...
وكمّ المعاناة والأهوال التي مرّوا بها...
ستزهر إهتداءات
لأن المسيح وَعد بأن البشارة ستصل إلى أقصى الأرض...
ولعلمنا أيضاً بأنه حيث يكثر التعصب الديني...
فاضت النعم... والاهتداءات... والعجائب...
فالفتن والثورات والتكفير
والارهاب والدماء... والمحن...
ليست أموراً سيئة وظلامية فقط...
بل إنها ستعمل كلها لخير أولئك
الذين يبحثون عن الحقيقة الدينية
والمدعوون من الله بحسب قصده تعالى... آمين

صلاة:

أبي السماوي،
أعطنا نحن خدّامك ومؤمنيك...
ألغيرة على بيتك... وعلى نشر إنجيلك المقدّس...
بإسم يسوع،
إجعل هذا الكتاب النادر...
أداة نعمةٍ وخلاص وإهتداء...
وأوصل كلمات الحقيقة هذه..
إلى عقرِ دار سلطان الظلمة.. وإلى أقصى الأرض...
شكراً يا رب لأنك تستجيب صلاتنا... آمين.

الجزيرة العربيّة والبدع قبل الإسلام

يقول المؤرخ والقديس أبيفانيوس الذي عاش في القرن الرابع ميلادي بأن «الجزيرة العربية» موطن البدع، وعندما ندرس القرآن الكريم دراسة معمّقة وتاريخية، ندرك بأنه يكفّر البدع التي تواجدت في الجزيرة العربية أيام رسول المسلمين محمّد. فالكنيسة النسطورية تواجدت في الجزيرة العربية، البعيدة عن سلطة مملكة الروم وفي المناطق الخاضعة لنفوذ فارس، والتي كان لها مصلحة سياسية، في نصرة البدعة النسطورية على حساب الكنيسة الرسمية أو العالمية الكاثوليكية صاحبة الإيمان القويم. أما المذهب المونوفيزي القائل بالطبيعة الواحدة الالهية في المسيح، أي أن «الله هو المسيح إبن مريم» فقد دان بهذه العقيدة الأقباط والأرمن وبعض السريان يومها، وربما كان للأسباب السياسية دور في اتخاذ هذه الشعوب تلك المقولة الدينية، بسبب كراهيتهم لملكة الروم الحاكمة لتلك الشعوب.

يبقى أن التاريخ أصدق دليل على صحّة نبوءة المسيح عن كنيسة المسيح الحقّة التي لن تقوى عليها قوات الجحيم، والتي تحرّرت عبر القرون من تأثير سلطان الممالك عليها، وإن الكنيسة العالمية (الكاثوليكية) والتي تقول بتجسد الكلمة الأزلي وبأن في المسيح طبيعتين:

«فيسوع رب من حيث هو كلمة الله الناطقة الأزلية، وهو إنسان من حيث الجسد الذي حلّ فيه نطق الله الأزلي. والكلمة الأزلي حلّ في جسد آدمي ليخلصنا من خطيئة آدم التي حكمت على الإنسان بالموت».

وإن الكنائس الأرمنية والقبطية والسريانية الأورثوذكسية والآشورية[١٨٣] حالياً، لا يُفرق بينها وبين الكنائس الكاثوليكية والأورثوذكسية والانجيلية أي خلاف حول جوهر الإيمان الحقيقي فالخلاف هو خلاف في التعبير، لا في العقيدة أو التفكير.

فجميعهم يعتقدون بأن في جوهر الله الواحد الأحد صفات ثلاث:

الله (الوجود) والكلمة (النطق أو العقل) والروح (أي النفس الإلهية)

وأن في الأقنوم الثاني، أو الصفة الثانية من صفات الله.

أي الكلمة الأزلي،

طبيعتين: إلهية وبشرية

فهو رب من حيث هو نطق الله، لأن الله وكلامه واحد.

وأما الجسد الذي سكن فيه النطق الإلهي خلال مجيئه إلى هذه الأرض،

فهو ما نسمّيه بالطبيعة البشريّة.

البدع المنشقة في القرن الخامس ميلادي

١ - النسطورية[١٨٤]: نسبةً إلى نسطوريوس الذي انتخب بطريركاً لكرسي القسطنطينية عام ٤٢١ م، **قال بوجود فصل كامل بين الطبيعتين الموجودتين في شخص الكلمة المتجسد، فيسوع بنظر نسطوريوس وُلد إنساناً بشرياً وبعدها بفترة زمنيّة حلّ الكلمة الأزلي في هذا الجسد وقد ربط بين الطبيعتين**

---

(١٨٣) "الكنيسة الأشورية هي الإسم الجديد للكنيسة النسطورية"، وقد استقاموا في عقيدتهم الدينية وهم قلّة ضئيلة جداً، لا يتعدّى عددهم بضع مئات الآلاف من المؤمنين ومتواجدين بشكل خاص في العراق والولايات المتحدة الأميركية (خاصة شيكاغو)، إضافة إلى أقليات متناثرة من حول العالم...

(١٨٤) أنظر بالتفصيل – Google – النسطورية وأيضاً على سبيل المثال النسطورية في البحرين وغيرها...

إتحاد أدبي بسيط. ولذا فالمسيح لم يكن إلهاً أو إبناً لله. بل إنساناً أضحى في الثلاثين من عمره هيكلاً لكلمة الله الذي انفصل عنه في أثناء صلبه. وبما أن المسيح كان هيكلاً فقط للكلمة، لم يكن هناك أي إتحاد بين المسيح والكلمة الأزلي، بل كانت ذات كل منهما مستقلة عن الأخرى. وكنتيجة لهذا الاستقلال، فقد كان للمسيح أقنومان وطبيعتان تفعل كل منهما ما يخصها بمعزل عن الأخرى.

وهذا هو الفكر الذي كان يدعو إليه الراهب بحيراء والقس ورقة بن نوفل (إبن عم خديجة زوجة محمّد) بين العرب. وإن حلقة محمد الأولى والضيقة في مكّة كانت ذات فكر نسطوري. فالمسيح عيسى بن مريم، هو عبد يأكل ويشرب على مثال آدم وهو «كلمة الله» ألقيت إلى مريم «وروح منه». والكنيسة الجامعة (الكاثوليكية والأورثوذكسية) اعتبرت نسطوريوس هرطوقياً وعزلته من رتبته البطريركية. فلجأ إلى المملكة الفارسية التي ساعدته، وقد قوي نفوذ النساطرة وانتشر مذهبهم في العراق وفي شبه جزيرة العرب وبلاد الهند وتركستان وباكستان، والصين، وقد وصل عدد أتباع الكنيسة النسطورية إلى أكثر من ٢٠ مليون تابع في القرن الرابع عشر.

وفي القرن الثامن عشر عاد الغالبية العظمى (مِمَن بقي) من أتباع هذه الكنيسة، إلى الكنيسة العالمية (الكاثوليكية) وهم موجودون في العراق وإيران والسويد والولايات المتحدة الأميركية وفي كل أنحاء المعمورة وتسمّوا باسم الكنيسة الكلدانية وهي تضم أكثر من مليوني مؤمن. أما من تواجد منهم في الهند وباكستان فقد انضموا[١٨٥] بغالبيتهم إلى الكنيسة الكاثوليكية وقد تسمّوا بإسم الكنيسة الملنكارية والمالابارية وعددهم يزيد عن العشرة ملايين. أما البقية الباقية

(١٨٥) وهناك قسم منهم إنضم إلى الكنائس الانجيلية من خلال التواجد الهولندي والانكليزي في بلاد الهند ما بين القرن السابع عشر ولغاية أواخر القرن التاسع عشر...

من الكنيسة النسطورية وعددهم ضئيل. فيعرفون الآن باسم الكنيسة الآشورية، وقد إستقاموا في عقيدتهم الدينية وهم يؤمنون الآن كما تؤمن كل الكنائس في العالم بأن في الكلمة المتجسد طبيعتين. وبأن الكلمة الأزلي مساوٍ للآب في الجوهر وبأنه نزل من السماء وتجسد ومات بالجسد وقام من أجل خلاص البشر.

٢ – المونوفيزية: أسس هذه البدعة المطران يعقوب البرادعي الذي قال بوجود طبيعة واحدة في المسيح بدون اختلاط أو امتزاج. وبأن الطبيعة البشريّة انصهرت في الطبيعة الالهية، وقد رفضت الكنيسة الجامعة هذه البدعة لأن في المسيح طبيعتين: طبيعة إلهية من حيث هو الكلمة الأزلي، وطبيعة بشرية من حيث الجسد الذي حلّ فيه الكلمة الأزلي.

إنتشرت بدعة الطبيعة الواحد خاصة لدى الأقباط في مصر والأحباش في إثيوبيا والأرمن في أرمينيا وفي الكنائس السريانية في سوريا والعراق واليمن ونجران وبلاد فارس. وكانت الكنائس النسطورية والمونوفيزية على عداء دائم مع بعضها البعض ومع الكنيسة العالمية الكاثوليكية لأسباب لاهوتية وقومية، ولكن نبوءة المسيح لبطرس بأنه سيكون الصخرة التي تبنى عليها الكنيسة التي لن تقوى عليها قوات الجحيم قد تمّت.

فالكنيسة الكاثوليكية والأورثوذكسية التي لا فرق في غالبية العقائد بينها، تؤمن بالطبيعتين في الكلمة المتجسد. كما أن الكنائس الانجيلية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن الخامس عشر والسادس عشر يجمعها أيضاً بالكنيسة الكاثوليكية الإيمان الواحد بالله الواحد، المثلث الصفات، الله والكلمة والروح. وبأن الرب يسوع هو إله، من حيث أنه الكلمة الأزلي الصادر من الآب، وأنه إنسان من حيث الجسد الذي قدّمه كفارة من أجل خطايا البشر.

وقد تمّ توقيع إتفاقية لاهوتية بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة القبطية

الأورثوذكسية في سنة ١٩٧٣، تعترف فيها الكنيسة القبطية بوجود طبيعتين في السيد المسيح.

إذاً لا وجود لخلافات عقائدية حالياً بين الكنائس المسيحيّة حول جوهر الله المثلث الصفات وأن في الكلمة المتجسد طبيعتين إلهية وبشريّة بعد أن استقامت العقيدة الدينية لدى المونوفيزيين والنساطرة فجميع المسيحيين على تعدد كنائسهم يؤمنون بالله الثالوث: الله (الوجود) الكلمة (النطق) والروح (أي النفس الإلهية).

وإن مسيحيي اليوم تجمع بينهم المحبة الروحيّة لاخوتهم من باقي الكنائس، كما أنهم منفتحون ويحترمون كل الأديان، وفي الوقت نفسه لا يساومون على الحقيقة، إذ لا خلاص إلاّ بالمسيح...

٣ - بدعة المثلّثة[١٨٦]: «الآلهة ثلاثة»:

«لقد كفر الذين قالوا: أن الله ثالث ثلاثة! وما من إله إلا إله واحد».
(سورة المائدة ٧٦)

ظهرت «بدعة المثلثة» القائلة «بالآلهة الثلاثة» في أيام الامبراطور يوستنيانوس (٥٢٧ - ٥٦٥ م) أي قبيل الإسلام بوقت قليل. وطلع بهذه البدعة الكافرة يوحنا الأسكوناجي في القسطنطينية، ورعاها اثناسيوس إبن أخت الامبراطورة ثيودورة، ولكن كفّرتها الكنيسة الجامعة وحاربتها وقد سمّتها «بدعة المثلّثة» وعن طريق الحيرة عاصمة الثقافة لدى السريان والعرب يومها، توغلت البدعة بين العرب حتى وصلت إلى الحجاز، ملجأ الهاربين من دين الامبراطورية الرومانية (بشقّها الشرقي). ولما نزل القرآن كفّرها، كما كفرتها المسيحيّة كلّها من قبله.

(١٨٦) أنظر بالتفصيل ما كتبه حول هاتين البدعتين الارشمندريت يوسف درة الحداد في كتابه "مدخل إلى الحوار الاسلامي المسيحي". المطبعة البولسية ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

٤ – بدعة الفطائريين(١٨٧): «عبــادة الله والمسيــح ومـريــم»

«إتخذوني أنا وأمي إلهين من دون الله» (المائدة ١١٩)

يقول المؤرخ القديس ابيفانيوس من فلسطين في القرن الرابع بأن الجزيرة العربية، كانت موطن البدع الهاربة من سلطة الامبراطورية البيزنطية، التي كانت تدين بإيمان الكنيسة العالمية(١٨٨).

ويذكر وجود بدعة سمّيت بالفطائريين لأنهم كانوا يقدّمون للسيدة العذراء أم المسيح قرابين، هي فطائر مصنوعة من عجين فتسمّوا باسم قرابينهم. وهم نشأوا قبل القرن الخامس ميلادي، لأن القديس ابيفانيوس كتب عنهم في كتابه «الشامل في الهرطقات» حين كان أسقفاً لقبرص من سنة ٣٦٧ م حتى سنة ٤٠٧ ميلادية، ويشير إلى أنهم كانوا يقولون «بأن المسيح وأمه إلهان من دون الله» ويقول بأنها بدعة عربية، وقد أطلق عليها تسمية بدعة الكليريين (المشتقّة من كلمة كُليرس: أي قرص الخبز المصنوع من طحين الشعير) وكانت متواجدة في الجزيرة العربية حصراً، ولم تتخطاها إلى ديار المسيحية. وأتباع هذه البدعة العربية ألمُشرِكة، كانوا يقدّمون من تلك الأقراص قرابين عبادة لأم المسيح، على مثال ما كانت تلتّه نساء العرب الجاهليات للآلهة اللات. وهذا ما جعل بعض نصارى العرب في تلك البيئة البدائية الصحراوية يظن بعبادة مريم والمسيح إلهين مع الله. فبدّلوا التثليث المسيحي الصحيح، بهذا التثليث المشبوه. لكنه لم يتخطّ الجزيرة إلى ديار المسيحيّة. وهم هربوا إلى الجزيرة العربيّة هرباً من ملاحقة جنود الامبراطورية البيزنطية، التي تدين بالإيمان المسيحي القويم، الله والكلمة والروح الإله الواحد، وما يهمني

(١٨٧) أنظر بالتفصيل كتاب القرآن والكتاب للأرشمندريت للأستاذ يوسف درة الحداد المكتبة البولسية – ص ٩٨٨. وأيضاً كتابه مدخل إلى الحوار الاسلامي – المسيحي ص ٣٠٢ – ٣٠٣.

(١٨٨) كلمة كاثوليكية تعني العالمية، وإن إيمان الكنيسة الكاثوليكية والاورثوذكسية إيمان ومعتقد واحد، ما عدا الرئاسة لا غير، فالبابا يرأس في روما، والبطريرك المسكوني يرأس في القسطنطينية.

الإشارة إليه هو أنه من الظلم تطبيق هذا الثالوث الخاطئ:

«الله والمسيح ومريم»
على الكنيسة المسيحية
والتي هي براء منه تماماً...
إذ ليس من مسيحي كاثوليكي أو أورثوذكسي في العالم
يعبد الله ومريم... أو الله والمسيح الانسان...
أو الله والمسيح ومريم...
فهذا يناقض الانجيل المقدس...
ويناقض ما نادت به المجامع المسكونية العالمية...
وما يعبده المسيحيون حقيقةً.

دروس وعبر:

"إنه منافٍ للدين إضفاءُ طابعٍ دينيّ على عادات وحشيّة.

فالتعصّب الدينيّ يجعل شعباً ما،

لا يعرف طريق السلام،

كما أنّ التعصّب والتطرّف يعمي القلب والفكر

ويحجب الحقيقة عن العيون،

ويصير الشعب رغم عماه راضٍ عن نفسه

واثق بتقواه وبكميّة سلاحه وبكثرة عدده،

ويَقتُل باسم الله والدين..."

(من كتابي مملكة الضياع – ص ١٢٠)

العبادة الحقّة للّه

من المعروف أن السيّد المسيح أمر تلاميذه: «إذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالانجيل للخليقة كلها». (مرقس ١٦/ ١٥).

لذلك خرج تلاميذ المسيح من فلسطين وانتشروا في المسكونة كلّها مبشرين بالتوحيد في البيئات الوثنية، قبل التبشير بصفات الله (الآب: الوجود، والعقل: الكلمة، والنفس: أي الروح)، وهذا ما نراه جلياً في تبشير الرسول بولس في الأريوباغوس في أثينا، حين: «وقف بولس في وسط المجلس وقال: يا أهل أثينا . . . وأنا أطوف في مدينتكم وأنظر إلى معابدكم وجدت مذبحاً مكتوباً عليه: إلى الإله المجهول. فهذا الذي تعبدونه ولا تعرفونه هو الذي أبشركم به. إنه الله خالق الكون وكل ما فيه». (أعمال ١٧/ ٢٢ - ٢٤).

كما أن الرب يسوع كلمة الله المتجسّد يقول لأحد الوجهاء من اليهود:
«لا صالح إلا الله وحده». (لوقا ١٨/ ١٩)
وبولس الرسول يقول أيضاً:
«لا إله إلاّ الله الأحد». (١ كورنتوس ٨/ ٤)
ولكن توحيد الله لا يكفي
لكي يكون الانسان منتمياً إلى الدين الصحيح والعقيدة الحقة،
فالقديس يعقوب رئيس كنيسة أورشليم يقول لأحدهم:
«أنت تؤمن أن الله واحد؟ حسناً تفعل.
وكذلك الشياطين تؤمن به (إلهاً واحداً) وترتعد». (يعقوب ٢/ ١٩)
فالشيطان إذاً يؤمن بوحدانية الله، ولكنه يرتعد منه. . .
ولكي يُضل الناس، لم يشكّك في وحدانية الله، بل شكّك في صفات الله الحقيقيّة،
جاعلاً الله عزّ وجلّ بلا نطق أي أخرس وبلا روح.

وبتشكيك الشيطان في «أن لله نطقاً أو كلمة أزليّة»
وفي أنه له الروح الإلهي. . . أي الروح القدس. . .
فهذا يُفسر لماذا كل الأديان تحارب الثالوث الأقدس، وتنكره. . .
وإنّ العبادة الحقّة لله،
هي عبادة الله الآب بالروح والحقّ. .

قال يسوع: «ستجيء ساعة، بل جاءت الآن، يعبد فيها العابدون الصادقون الآب بالروح والحق، هؤلاء هم العابدون الذين يريدهم الآب. الله روح، وبالروح والحقّ يجب على العابدين أن يعبدوه». (يوحنا ٤/ ٢١ – ٢٤).

«والحقّ هو كلمة الله المتجسّد» (الرب يسوع)

إذ قال يسوع: «أنا هو الحق». . . (يوحنا ١٤/ ٦)

«أما الروح» المطلق فهو الروح القدس المنبثق من الله الآب،

أي الذي يصدر من ذات الله

وهو غير مخلوق أي ليس بملاك مخلوق بل هو أزلي:

«**قال يسوع: سأطلب من الآب أن يعطيكم** معزياً آخر يبقى معكم إلى الأبد. .

المعزّي الذي أرسله **روح الحق المنبثق (أي الذي يصدر) من (ذات) الآب**».

(الانجيل بحسب يوحنا ١٤/ ١٦، ١٥/ ٢٦)

فالروح القدس في الانجيل المقدس
هو «الروح» المطلق في القرآن. .
والامام إبن حنبل[١٨٩] وهو من أئمة السنة الأربعة،

---

(١٨٩) عن الأستاذ محمد كامل شعيب، في مجلة المسرة ص ١٨١ عدد آذار سنة ١٩٦٦. وأنظر أيضاً ما قاله

إنتبه إلى هذه الإشكالية، فقال:

«من قال ان الروح القدس مخلوق (أي ملاك) بدعة أي ضلالة».

إذاً فالمعرفة «بالروح» المطلق في القرآن ضئيلة:

«يسألونك عن الروح» قل: الروح من أمر ربي!

وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً» (الإسراء ٨٥)

وهذا يشرح لماذا العلم «بالروح» قليل في الإسلام...

لأنه من المتشابه...

ولكن نتساءل هل الفطنة السليمة لدينا كبشر،

بغض النظر عن عقائدنا الدينية...

تقبل بأن الله عندما نفخ من روحه في آدم الانسان الأول،

قد نفخ في داخل آدم ملاكاً

أم إن سبحانه وتعالى نفخ في آدم من «روحه المطلق»،

أي من «نفسه الأزلي»

تلك «النفس الإلهية الخالدة» والأزلية

التي هي الروح القدس «الأقنوم الثالث»

كما صرّح به المسيح له المجد

وكما آمنت وعلّمت به كنيسته المقدّسة..

«فالروح» المطلق غير المعبود في الإسلام

وغير المعترف به كصفة إلهية،

من صفات الله المثلّث الأقانيم،

هو إذاً الروح القدس الإله من إله...

الصادر من الآب السماوي والمنبثق من ذاته الإلهية العظمى.

الأستاذ الحدّاد في كتابه مدخل إلى الحوار الاسلامي المسيحي – المكتبة البولسية.

صفـات اللـــه

الوجود والكلمة والروح

بحسب أئمة المفسّرين المسلمين

إن التثليث المسيحي الصحيح، موجود لدى الكنائس الكاثوليكية والأورثوذكسية والانجيلية، وإن خلاف اليعقوبية مع المسيحيّة كلّها كان شكلياً لفظياً، أكثر منه موضوعياً، بعد أن تحدّدت التعابير اللاهوتية لدى اليعاقبة عبر القرون وإتضح معناها.

وإن الأركان الثلاثة: الله والكلمة والروح قائمة أيضاً في القرآن، ولكن الخلاف، كل الخلاف في تأويلها وتطبيق تثليث بدعة المثلثة والكليريين على التثليث الإلهي الصحيح، الله والكلمة والروح.

وإن المفسّرين المسلمين
يقرّون بالتثليث المسيحي الصحيح، في التوحيد الخالص على مضض،
وتراهم في حيرة من أمرهم،
إذا ما قابلوا بين صفات الله أي التثليث الصحيح
الذي يشير إليه القرآن في تعابيره المطلقة الله والكلمة والروح،
بالتثليث المنحرف الذي يكفره القرآن،
أي القول "بالثلاثة" أو بدعة المثلثة
وأيضاً بدعة إتخاذ المسيح ومريم إلهين إلى جانب الله،
وهذا طبعاً شِركٌ واضح وكافرٍ...
وأحبّ أن أشير إلى قارئي العزيزالباحث عن الحقيقة الإيمانية
إلى تعليقات بعض أئمة المفسّرين المسلمين
على التثليث الصحيح،
"الله والكلمة والروح".

الإمام الغزالي والتثليث المسيحي

يقول: "هذا إعتقادهم في الأقانيم: وإذا صحّت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ، ولا في إصطلاح المتكلمين".

قال حجة الاسلام الإمام الغزالي في كتابه الرد الجميل مُحلّلاً التثليث المسيحي ما يلي:

"يعتقدون (أي المسيحيّون) أن ذات الباري واحدة. ولها اعتبارات:

١ - "فإن اعتُبرت مقيدة بصفة لا يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها كالوجود، فذلك المسمى عندهم بأقنوم الآب. وان اعتُبرت موصوفة بصفة يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها، كالعلم - فإن الذات يتوقف اتصافها بالعلم على اتصافها بالوجود - فذلك المسمى عندهم بأقنوم الابن أو الكلمة. وان اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها، فذلك المسمى عندهم بأقنوم روح القدس.

"فيقوم اذن من الآب معنى الوجود، ومن الكلمة او الابن معنى العلم، ومن روح القدس كون ذات الباري معقولة له. هذا حاصل هذا الاصطلاح، فتكون ذات الاله واحدة في الموضوع، موصوفة بكل أقنوم من هذه الأقانيم.

٢ - "ومنهم من يقول: ان الذات، إن اعتُبرت من حيث هي ذات، لا باعتبار صفة البتة، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن العقل المجرد؛ وهو المسمى عندهم بأقنوم الآب. وان اعتُبرت من حيث هي عاقلة لذاتها، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى العاقل، وهو المسمى بأقنوم الابن أو الكلمة. وان اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى المعقول، وهو المسمى بأقنوم روح القدس.

"فعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط، والآب مرادفاً له؛ والعاقل عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها، والابن او الكلمة مرادف له؛ والمعقول عن الاله عبارة عن الاله الذي ذاته معقولة له، وروح القدس مرادف له.

هذا اعتقادهم في الأقانيم: واذا صحت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ، ولا في اصطلاح المتكلمين"[١٩٠].

ألمثير في أقوال الإمام الغزالي،
وهو العالم في الشريعة والفيلسوف الذي تُدرّس بعض من أفكاره
لطلابنا العرب في مرحلتهم الثانوية،
هو أنه يشهد للمسيحيّة بصحة إعتقادها بأن لله سبحانه وتعالى
صفات ذاتية وهي ما نسمّيه بكلمة الأقانيم،
والأقانيم كلمة سريانية تعني تمييزات.
ففي الله الواحد الأحد تمييزات في الذات الالهية الواحدة،
وهذه التمييزات الموجودة في جوهر الله الأحد
هي الوجود (الآب) العقل أو النطق (أي الكلمة الأزلي) والنفس الإلهية
(أي الروح القدس).

أبو فخر الرازي والتفسير الخاطئ
"صفات ثلاث – فهذا لا يمكن إنكاره"

أبو فخر الرازي كالإمام الغزالي من كبار المفسّرين المسلمين، وقد تناول أيضاً مسألة التثليث المسيحي ولكنه طبّق على صفات الله: "الوجود والكلمة والروح"

(١٩٠) الغزالي في كتابه "الرد الجميل" ص ٤٣.

تكفير القرآن لبدعة "المثلثة" التي تقول "بالآلهة الثلاثة"، أي بالذوات الالهية الثلاثة القائمة بأنفسها، وهذا ما تكفّره المسيحيّة.

لأن الديانة المسيحية تقول بأن الأقانيم الثلاثة في الله،
هي ذوات قائمة في جوهر الله الفرد، وليس ذوات قائمة بأنفسها.

إذاً إن الله الآب والكلمة والروح
هي صفات كيانية في جوهر الله الأحد
ومن أنكرها لزمه رد العقل،
لأنه حاشا
أن يكون الله سبحانه وتعالى أخرساً بدون نطق،
وذاتاً إلهية بدون روح.
فالله له النطق (أي الكلمة، فيسوع هو كلام الله...)
وله الروح (الصادرة من ذاته الصمدانية المطلقة)
وإنما هذا التثليث المسيحي الصحيح
الذي لمحه الامام ابو فخر الرازي
قد ابتعد عنه لتفسير منه خاطئ ولعقدةٍ في نفسه.
فهو يقول في تفسيره:
"ولا تقولوا: ثلاثة". (النساء ١٧٠) ما يلي:

"قوله (ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف. ثم اختلفوا في تعيين ذلك المبتدأ على وجوه:

"الأول: ما ذكرناه، أي ولا تقولوا (الأقانيم ثلاثة). المعنى لا تقولوا: إن الله سبحانه واحد بالجوهر، ثلاثة بالاقانيم. واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة. إلاّ أنهم سموها صفات، وهي في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها. فلهذا المعنى قال: (ولا تقولوا: ثلاثة. انتهوا): فأما ان حملنا (الثلاثة) على أنهم يثبتون صفات ثلاث فهذا لا يمكن انكاره. وكيف لا نقول ذلك، ونحن نقول: (هو الله الملك

القدوس السلام العالم الحي القادر المريد). ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر. ولا معنى لتعدد الصفات الاّ ذلك.

فلو كان القول بتعدد الصفات كُفر، لزم ردّ جميع القرآن، ولزم ردّ العقل، من حيث نعلم بالضرورة ان المفهوم من كونه تعالى عالماً، غير المفهوم من كونه حياً.

"الثاني: الهتنا ثلاثة، كما قال الزجاج مستشهداً بآية المائدة (١١٩).

"الثالث: قال الفرّاء: (هم ثلاثة) كقوله (سيقولون: ثلاثة). وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين".

إذاً الإمام ابو فخر الرازي يقول بأنه:

إن كان المسيحيّون يقولون بأن في الله الواحد الأحد

"صفات ثلاث فهذا لا يمكن إنكاره

" لأنه "لو كان القول بتعدد الصفات في الله كفر، لزم رد جميع القرآن،

ولزم ردّ العقل".

ولكن فاته ما فات غيره من المفسّرين

بأن القرآن الكريم،

يُكفر القول "بالثلاثة آلهة"

وهذا ما نادت به "بدعة المثلثة"،

وأيضاً القول

"بالمسيح ومريم إلهين من دون الله".

وهذا ما كفّرته المسيحيّة منذ القرون المسيحيّة الأولى

وإن كانت هذه البدع قد إنقرضت

ولم يعد يوجد أحد يعتقد بما نادت به،

إلا أن تكفير القرآن لها يؤكد ما ذكرته المراجع الكنسية القديمة،

من أنها تواجدت وهربت إلى الجزيرة العربية موطن البدع
كما يشير إلى ذلك المؤرخ والقديس أبيفانيوس
في كتابه "الردّ على الهرطقات".

التبشير المسيحي في الخليج العربي

من أواخر القرن التاسع عشر حتى القرن الواحد والعشرين

الاهتداءات من الإسلام إلى المسيحية

يقول الدكتور ناصر بن سليمان العمر، مؤسس موقع ألمسلم(١٩١) عن ظاهرة (جبل) الاهتداءات إلى المسيحيّة في الجزيرة العربية (والتي لا يَرى منها سوى القمة) ما يلي:

- أوائل المبشّرين وبدء الحملات التنصيرية (التبشيريّة) في الخليج:

أول كنيسة بنيت في البحرين كانت في القرن التاسع عشر ورعاها منصّرون (مرسلون إنجيليون)، ثم إمتدّ بناء الكنائس للكويت والإمارات وسلطنة عمان وقطر، وواكب هذا بدء ظهور ظاهرة المسيحيين الخليجيين.

وإنّ أول إرسالية موجهة إلى منطقة الخليج حملت إسم «الإرسالية الأميركية العربية». ومن أشهر هؤلاء «المنصّرين»(١٩٢) (المرسلين) الأوائل وأكثر الدعاة لانشاء كنائس في المنطقة هو القسيس صموئيل زويمر الذي كان يعاونه بعض المنصّرين (العلمانيين) وقد انتقل القسيس زويمر من البصرة إلى البحرين عام ١٨٩٢ م وأقام بها فتمكن من إنشاء مكتبة (لنشر) الانجيل

---

(١٩١) هذه التسمية يطلقها الدعاة المسلمون على المبشّرين المسيحيين، وتعني أنهم يحوّلون المسلمون إلى الديانة النصرانية أي المسيحيّة...

(١٩٢) المرجع www.almoslim.net/mode/96909 فقرة تاريخ الكنائس في الخليج مرتبط بالتنصير.

(المقدس) في البحرين ومحطة تبشيرية وكان فيها أول مستشفى تنصيري (أي أن الطبابة كانت تستعمل غطاء لايصال بشارة الانجيل) في الخليج سنة ١٩٠٢. ومن البحرين بدأ المنصّرون (المرسلون) ينتقلون لدول الخليج الواحدة تلو الأخرى، حيث ذهبوا إلى مسقط في عمان عام ١٨٩٢ م... ومنحهم سلطان مسقط قطعة أرض... ولكن بناءً على نصيحة من القنصل البريطاني في سلطنة عمان إشتروها (أي لقطعة الأرض) إذ قال لهم: «من الأفضل تسجيل الأرض بإسمكم حتى لا يكون هناك في المستقبل مجال لسحب الأرض منكم، فاحرصوا على التملك في (كل) أرض (دولة خليجية) تنزلون بها». وتمدّد (ووصل) المنصّرون (المرسلون المسيحيّون) إلى الكويت عام ١٩٠٠ م حيث فتحوا فيها مكتبة للانجيل المقدّس... ومع استخراج النفط ووجود الشركات الأجنبية... زاد الوجود الإرسالي فيها... وفي عام ١٩١٤ حاول «المبشّرون الإنجيليون» دخول السعودية عبر وسيلة الطب والتطبيب أيضاً، عندما بعث أمير الكويت مبارك آل الصبّاح طبيب (وهو مُرسل) يدعى ميلر إلى الملك عبد العزيز ليعالج بعض أفراد الحاشية، ومن خلال تطبيبه (لحاشية الملك) سعى لطلب إنشاء مستشفى (تكون غطاء للإرسالية الانجيلية). ولكن الملك عبد العزيز رفض وقال بوضوح أن المستشفى سوف يجلب المنصرين (المرسلين) وكتبهم (أي الكتاب المقدس) والمملكة كلّها مسلمون سُنّة (وهابيون)... ويرفضون هذا... ولم يسمح لهم بالإقامة في الرياض (سنة ١٩١٤)... ولكنهم دخلوا مدن سعودية أخرى في أعوام لاحقة بدعوى التطبيب أيضاً، حيث قام (المرسل) الدكتور هاريسون برحلتين (تبشيريتين) عام ١٩٤٢ م في الجزيرة العربية وخاصة إلى نجد (أرض الملوك الكنديين المسيحيين قديماً) وغيرها. وقبلها في عام ١٩٣٧ م قام (المرسل) الدكتور ويلز برحلة إلى الرياض وقدّم الخدمة الطبية إلى أفراد الأسر الغنية بشكل خاص، وقام

بمعالجة القليل من أفراد الشعب (وإن طريقة التبشير تعتمد على عمل نعمة الروح القدس في الناس، فهو من يحضّر التربة والظروف المناسبة لاهتداء النفوس، ففي السعودية وبلاد الخليج هناك الكثير من التدخلات الالهية إذ تحصل شفاءات ومعجزات وأحلام ورؤى إلهيّة وهذا ما عرفت بوجوده خلال عملي في مركز مريم للمراسلة..).

وفي عام ١٩٤١ م قام (القسيس) كارثون وزوجته بزيارة (أي بإرسالية) إلى الإحساء (شرق السعودية) وقال: «إننا نضع الأسس الصلبة (أي كانوا يعملون على إيجاد نواة من السعوديين المهتدين إلى المسيحية) للحصول على موضع قدم لنا في الصحراء الداخلية، وفي واحدة من هذه الرحلات مستقبلاً سنحصل على الإذن الذي نريده لبناء أول صرح (كنيسة) تنصيري (مسيحيّة) في معقل الإسلام»[١٩٣].

المهتدون إلى المسيحية في السعودية ودول الخليج العربي يفضّلون «التبشير الالكتروني»

نقلاً عن الموقع الاسلامي: www.almoslim.net

«في حوار مع المنصر (المبشّر) المصري الشهير القمص زكريا بطرس من قناة الحياة المسيحية التلفزيونية، مع موقع محاور التنصيري (المسيحي) سأله المذيع (المحاور): «ما رأيك في وسائل الإعلام المسيحيّة وكيفية تدعيمها من وجهة

(١٩٣) أنظر موقع غوغل - "المنصّرون" (المبشّرون المسيحيون) يفضلون التنصير (التبشير) الالكتروني في الخليج" - وفي زاوية هذه الصفحة الالكترونية إقرأ للكاتب بحثه: "تاريخ الكنائس في الخليج مرتبط بالتنصير".

نظرك (فيما يخص التبشير)؟

فرد عليه القمص زكريا بطرس: «ألله عامل حاجات (أي تدخّل واستخدم أشياء) ما كانت تخطر على البال، فأنا في يوم من الأيام تمنيت أن أروح (أذهب) إلى السعودية وأخدم (أي أبشّر بالرب فيها) فجهّزت جواز سفر من دون العمّة[١٩٤] (أي بدون صورة شمسيّة تظهر أنّ صاحبها كاهن) ولم أكتب إسمي فيه (أي لم يكتب كلمة القمص على جواز السفر) بل كتبت زكريا بطرس بدون ألقاب وحاولت مراراً أن أروح (أذهب) إلى السعودية عشان (لكي) أبشّر (بالمسيح) المكان ولكن لم أتمكن! ويضيف: «فلما جاءت التكنولوجيا وعملوا البال توك (أي المحادثة الالكترونية) دخلنا (أي هو والمبشّرين المسيحيين) السعودية ودخلنا قلب مكّة.. ودخلنا المدينة غير المنوّرة... لينا (لنا) ناس مؤمنين (مهتدين إلى المسيحيّة) في مكّة... إلخ».

وقال: «كَون البال توك يخِش (يدخل) جوه (داخل) السعودية وجوه (داخل) مكة وجنب (إلى جوار) الكعبة وناس (أي سعوديون) تآمن (بالرب يسوع)، من هنا ده (هذا) عمل إلهي عجيب (أي عمل الروح القدس العجائبي)، فإذن الله بيفتح (يفتح) مجالات (للبشارة) لا بد أن نستغلها في البال توك، وغيره من وسائل الاعلام».

التبشير عبر الانترنت

خبرٌ مهم آخر على الموقع الاسلامي نفسه بعنوان:

١ - "إتحاد التنصير عبر الانترنت»

«مع ظهور شبكة الانترنت، أصبحت هي الفرخة التي تبيض لهم (أي للمبشّرين المسيحيين) ذهباً، فلم تعد هناك عوائق أمام وصولهم للشباب العربي في أي

(١٩٤) العمّة هي غطاء الرأس لدى إخوتنا الكهنة الأقباط...

مكان، خصوصاً في الخليج العربي، الذي توضع به عقبات شديدة لوصولهم، وبدأت منظمات التنصير (الإرساليات الانجيلية..) التفكير في إستغلال هذه الشبكة لتنصير (لتبشير) العالم حتى أنهم قاموا بإنشاء (إتحاد التبشير المسيحي عبر الانترنت) والذي يعقد مؤتمراً سنوياً عاماً يحضره ممثلو الإرساليات المسيحيّة (الانجيلية).

وقد أثمر هذا النشاط التنصيري (المسيحي) من خلال هذه الشبكة العنكبوتية آلاف المواقع التنصيرية (المسيحية) التي تفوق عدد المواقع الإسلامية بعشرات المرات، فالاحصائيات تؤكد أن عدد المواقع التنصيرية (التبشيرية) تزيد على المواقع الإسلامية بمعدل ١٢٠٠٪، كما أن من أخطر وسائلهم على شبكة الانترنت إستغلالهم لغرف البالتوك، فقد أنشأوا لهم غرفاً يتحادثون فيها ويطعنون علانية بالنبي محمد. ص (أي بمحمد رسول المسلمين). وقد اعترف العديد ممن تنصّروا (أي اهتدوا إلى المسيحية)... أنّ غُرف ألبال توك التي يُشرف عليها كبار الكهنة (الخدّام) مثل زكريا بطرس وغيره (من القسس..)[١٩٥]. والمواقع والملتقيات المسيحيّة الأخرى الخاصة بالخليج لعبت دوراً في زعزعة إيمانهم أولاً والتشكيك في إيمانهم وأن المنصّرين (المبشّرين المسيحيين) كانوا يطرحون تساؤلات تدعوهم للتشكيك في دينهم (الاسلامي)، ومع جهلهم (بحسب صاحب الموقع الاسلامي) كانوا إما يخرجون من دينهم أو يتنصرون (أي يعتنقون المسيحيّة).

وخطورة هذه الوسيلة أنها تقتحم على أبناء الخليج (وبناتها). ممن يقبلون بشدة على الانترنت - منازلهم وترسل لهم مطبوعات وأفكار (مسيحيّة) ورسائل...».

---

(١٩٥) في الحقيقة ومن خبرتي خلال عملي في مركز العذراء مريم للمراسلة في تسعينيات القرن الماضي، أعلم علم اليقين أن غالبية الاخوة الانجيليين الملتزمين في كنائسهم لهم غيرة دينية رائعة على البشارة وإنهم يشاركون مع خدّام كنائسهم في التبشير سواء بجذب الآخرين إلى اجتماعات العبادة أو من خلال مراكز المراسلة وغرف المحادثة ووسائل الاعلام، ومهما وصفت فإن "من يرى غير الذي سيقرأ"... فالشكر للرب يسوع في كل الأحوال...

٢ - "المجموعات البريدية»

«ومن الوسائل الخطيرة التي يستغلها المنصرون (المبشّرون المسيحيون الإنجيليون) المجموعات البريدية، التي ينشئونها على مواقع البريد - خصوصاً ياهو - وهي عديدة تسعى للتنصير (أي لهداية المسلمين إلى المسيحية) ففي الخليج مثلاً: «مجموعة مسيحيو الخليج البريدية» GCH1، التي يقول مُدشنوها: «أنه تمّ إنشاؤها، للتواصل مع مسيحيي الخليج بشكل عام ومسيحيي السعودية بشكل خاص (لتخطي المراقبة الوهّابيّة الشديدة) والهدف منها بناء كنيسة تتناسب مع خصوصية الطابع الثقافي الخليجي. كما أنها تهدف إلى تزويد الأعضاء بمحتويات المواقع المحجوبة لديهم على الانترنت (فالسعودية مثلاً تمنع بث المواقع المسيحية..) وتزويدهم بالكتب (الروحية) والمعرفة (الدينية) التي يحتاجونها وتعزيز التواصل فيما بينهم لبناء أعضاء كنيسة إلكترونية تتغلّب على كل الحواجز والعراقيل التي تحول بينهم وبين نموّهم في المحبة (المسيحية) والمعرفة».

بحيث يُرسل من يرغب الانضمام لهذه المجموعات رسالة فارغة يتلقى بعدها سيل من رسائل (دروس) التنصير (التلمذة المسيحية)... وللتغطية على نشاطهم الخفي هذا، توفر المجموعة خاصية إخفاء هوية وإيملات الأعضاء المشتركين!.

وهناك أيضاً موقع و»ملتقى مسيحيي الخليج» الذي نشأ بسبب إعتناق عدد متزايد من «الأخوة الخليجيين للمسيحية»، وأنّ عدداً منهم أسس الملتقى الأول وهو منتدى «المسيحيون الخليجيون» http/gchl.net/vb/index.php

وهذه المجموعات (المسيحية) الخليجية البريدية... تبدأ بجذب الشباب عبر موضوعات اجتماعية... وتبادل الأفكار والمناقشات وقد تتطور إلى غرف البال توك أو رسائل الميل "Mail" المباشرة... وقد بدأت الكنائس التي افتتحت في العديد من دول الخليج في تقديم خدماتها أيضاً عبر الانترنت وإصدار البيانات

والترويج لانتشار المسيحية في (دول) الخليج (العربي) واستغلال حالات سفر الشباب للخارج، وتوزيع مطبوعات ونشرات تنصيرية (مسيحية) عبر مواقع الكنيسة أو عبر بريدها».

٣ - «كنيسة بمكة على الانترنت»!

«ولأنهم يحلمون (بحسب كاتب المدوّنة المسلم) ببناء (بوجود) كنائس (سرية) في مكّة المكرمة.. فقد أطلقوا أحد المواقع على الانترنت تحت إسم «كنيسة مكّة»، حيث يوجد بالموقع «كنيسة يسوع المسيح بالسعودية»... ويقولون: «بما أننا ممنوعون من بناء الكنائس ودخول بعض المدن فإننا نفتح هذه الكنيسة على الانترنت!! مؤكدين: «نصلي ونأمل أن تصل بشارة الانجيل (المقدس) إلى السعودية ويضيء نور السيد المسيح على العديد من المسلمين هناك، ليعرفوا أنه بدون السيد المسيح ليس هناك خلاص أبديّ. ويقولون (في كنيستهم عبر الانترنت): «نعلم أن هناك كنيسة حيّة للسيد المسيح في السعودية (وهذا حقيقة وواقع موجود)، ويتعرض أعضاؤها من (المسيحيين) السعوديين والأجانب إلى العديد من أنواع القهر والتعقب والسجن (والتعذيب وقطع الرأس)، ونود أن تكون هذه الكنيسة على صفحات الانترنت واجهة ومنبر للمسيحيين في السعودية، ونعلم أن شبه الجزيرة العربية، والسعودية على وجه الخصوص، كانت موطناً للعديد من المسيحيين قبل وفي أثناء وبعد ظهور الإسلام (وهذا كلام حق، فبحسب إبن المجاور- المؤرخ المسلم ظلّ هناك نصارى في نجران، وفي جزيرة سوقطرة اليمنية لغاية القرن ١٣)، ونحن نؤمن ونثق أن هذه الأرض (السعودية) لا بد وأن تأوي وتؤمن برب المجد يسوع المسيح، الذي مات من أجل كل البشر، بما في ذلك العرب السعوديين؟!»

ويقولون أنه: «في أيام ماضية كانت المسيحية هي الدين الغالب في أرض السعودية الحالية ولكننا سوف ننظر إلى الأمام، ونثق في أن أهل السعودية

سيؤمنون برب المجد يسوع الذي افتداهم من لعنة الموت الأبدي وينجّيهم من جنّة الحورعين والوصيفات والغلمان المخلّدون».

وكي لا يثيروا العداء ضدّهم يقولون: «لسنا ضد السلطة السعودية وليست لنا صبغة سياسية، بل على العكس نحن نصلّي من أجل الملك ومن أجل السلطات السعودية ومن أجل الشعب السعودي كما يوصينا الكتاب المقدّس. ورغم أن من يمارس الشعائر المسيحية مصيره الترحيل أو السجن (والتعذيب أو القتل إن كان مهتدياً..) إلاّ أنّ الخطر لا يثنينا عن ممارسة الشعائر الدينية في دور عبادة سرية أو ما يعرف بـ «كنائس سرية»... وهناك توسع متنام في هذا الصدد[١٩٦]».

من كل ما تقدّم نتأكد من تحقّق نبوءة كلمة الله المتجسد،
الرب يسوع المسيح بأن البشارة بالانجيل المقدس،
ستعلن في العالم كلّه
شهادةً بأنه هو المخلص الوحيد لكل البشر.
وإنّ تعاظم المدّ الأصوليّ
وتفاقم التعصّب الديني والارهاب والتهجير،
هو زمن نعمة واهتداءات بالجملة
إلى الرب يسوع رئيس السلام.
وإنّ اعلان بشارة الانجيل هو أمرٌ إلهيّ،
من ربنا وقائدنا الروحيّ يسوع المسيح،
إذ قال لنا: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم،
وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم..
وها أنا معكم طوال الأيام إلى انقضاء الدهر». (متى ٢٨/ ١٩ – ٢٠)

(١٩٦) موقع غوغل "المنصّرين في السعودية" Google، وإنّ كلمة المنصرين تعني المهتدين إلى المسيحية.

الشهيدة فاطمة المطيري[197]

من مدينة بريدة السعودية

من قصائدها المسيحيّة باللغة العاميّة السعوديّة

قبل قتلها على يد شقيقها

ربي يسوع يهديكم يا مسلـــمين ... وينوّر قلوبكم وتحبّون الآخريــن . .
هذه الحقيقة الي انتم عنها غايبين ... وما نقوله هو من كلام سيد المرسلين
واحنا ما نعبد الصليب ولا بمجانين ... إحنا نعبد الرب يسوع نـور العـالمين
محمد تركناه وبدربه محنا سالكين ... واتبعنا يسوع المســيح الحــق المبين
وبصراحة حنا نحِب ديرتنا ومحنا خاينين ... ونفتخـر إن نِحنـا مواطنـين سـعوديين
كيف نخون وطنّا وأهلنا الغالين؟؟ ... كيف واحنا للموت للسعودية مستعدين؟؟
ديرة أجدادي وأمجادي للقصيد لها كاتبين ... ونقول فخر فخر فخر احنـا سـعوديين
احنا اخترنا طريقنا طريق المهتدين ... وكــل إنـســـان حــر يختــار أي ديــن
تكفون أتركونا بحالنا وبيسوع مؤمنين ... خلونا نتهنَّ في حياتنا قبل ساعتنا تحين
دمعتي فوق خدي آآآه والقلب حزين ... على حال المتنصّرين[198] يا كِيف إنتم قاسيين
والمسيح يقول طوبى لكم المضطهدين ... وحنا عشان المسيح لكل شي متحملين

---

(١٩٧) قصيدة فاطمة المطيري – غوغل – موقع مسيحي دوت كوم.

(١٩٨) أي المهتدين إلى النصرانية أي المسيحية. . .

وِش لك وش عليكم إحنا كافرين مَنتم بداخلين قبورنا ومعنا مدفونين

خلاص ما تهمني سيوفكم ولا شين ولا يهمني تهديدكم وما حنا خايفين

والله أنا للموت «مسيحية» ويا عين أبكي على ما فات من عمـر حزيـن

كنت بعيدة عن الرب يسوع عدة سنين وسَجّل يا تاريخ واشهدوا يا شاهدين

إحنا مسيحيين بدرب المسيح ماشيين وخِذها مني معلومة واحفظها زيـن

ترى يسوع ربي هو أحفظ الحافظين أنصحك ترثي حالك وتصفق بكفين

وتشوف شكلك من الحقد كيف هو يشين الإنسان أخو الانسـان يـا متعلمين

وين الانسانية والمحبة وأنتـــم وين وآخر كلامـي أصلي لرب العـالمين

يسوع المسيـــح نور الهداية المـبين يغيّر المفـاهيم ويعـدّل الموازيـن

وينشر المحبة بينكم يا مسلمين

<u>للمعرفة الروحية :</u> «يقوم الله بعمل يفاجئنا ، بالرغم من خطايانا»

ما أريد قوله من خبرتي المتواضعة في مجال العمل التبشيري بين المسلمين في دول الخليج خلال عملي في مركز العذراء مريم للمراسلة في تسعينيات القرن الماضي، وما عرفته من بعض العاملين في مراكز المراسلة التابعة للكنائس الانجيلية التي كنّا نتشارك وإياها الخبرات التبشيريّة وأخبار الكرازة والتدخلات الإلهية، أشير إلى ما يلي:

١ – لقد وضع المرسلون الإنجيليون الأميركيون والبريطانيون موضع قدم لهم لنشر المسيحية في دول الخليج العربي منذ بداية القرن العشرين، وما يقوله هذا البحاثة المسلم هو صحيح، ولكنه لم يرَ سوى قمة الجبل، فقاعدة الاهتداءات

حالياً هي كبيرة جداً وقد وصلت ليس فقط إلى كل أنحاء المملكة السعودية بل هناك وجود للكنيسة الانجيلية في مكة نفسها وهذا أمر مؤكد منذ بضعة سنوات (فالسلطات السعودية مثلاً اعتقلت قس مكّة، حمّود الصالح عدّة مرات، كما اعتقلوا قسساً سعوديين ومؤمنين وسجنوهم ومن ثمّ أفلتوهم...)[١٩٩]... وفي جدّة منذ الثمانينيات.. وتوجد الآن كنائس إنجيلية سرية في بريدة - جيزان - عرير - القصيم - المدينة - وغيرها..

٢ - منذ خمسينيات القرن الماضي إعتمد المرسلون الانجيليون على البث الاذاعي الموجه من «إذاعة صوت الانجيل» الناطقة بالعربية، والتي كانت تبث من إثيوبيا، وحيث أن وسائل الإعلام يومها كانت قليلة في السعودية وفي بلاد الخليج، فإن البرامج الاذاعية المسيحيّة كان لها صداها بين السكان وقد لمس الروح القدس من خلال البرامج الإذاعية التي أساسها كلمة الحياة قلوب عددٍ من السامعين والسامعات وكان هناك عدد من المهتدين. أما الآن فإن عدد الاهتداءات كبير جداً، وإنّ العبارة التي وجّهها البابا فرنسيس من الفاتيكان في إحدى مقابلاته طالباً فيها من المسيحيين في السعودية «أن يقيموا اجتماعاتهم بهدوء»، تشير إلى أنّ الفاتيكان على علم بكل ما يحصل... وإن كان الفضل في كمّ (أي كميّة) الاهتداءات يعود وبكل صدق وتقدير إلى نشاط إخوتنا المسيحيين من قسس وعلمانيين المنتمين إلى الكنائس الانجيلية.

٣ - من سبعينيات وحتى تسعينيات القرن العشرين، توسّع العمل التبشيري الإذاعي والتلفزيوني (إذاعة مونت كارلو وSat٧..) وتعدّدت مراكز المراسلة. إلى أنه منذ بداية القرن الواحد والعشرين إزداد عدد المحطات التلفزيونية المسيحيّة (الحياة، الفادي، الطريق...) الموجهة نحو بلاد الخليج العربي ومع التطور

---

(١٩٩) أنظر غوغل مقابلات حمود الصالح عبر Skype وتلفزيون الحياة، وأيضاً غوغل المنصّرين في السعوديّة.

التكنولوجي: «الانترنت، والبالتوك، والسكايب، والوجود الغربي الكثيف في السعودية وبلاد الخليج، إضافة إلى سفر الخليجيين إلى الخارج فهذا ما كثّف (وسهّل) تبشير الكنائس الانجيلية للمواطنين في دول الخليج. وهكذا انفتح المجال لعمل الروح القدس وإن أعداد الاهتداءات السريّة على تزايد، وتوجد حالياً جماعات سرية مسيحية سعودية في كل مدينة أو منطقة من المملكة العربية السعودية تقريباً...»

٤ – أشار الشيخ احمد القطعاني وهو مدير منارة الصحابة للعلوم الشرعية في ليبيا، وهو معهد متخصص في تخريج الأئمة والدعاة كما أنه إمام متخصص في متابعة النشاط التبشيري المسيحي، إلى معلومة سريّة حصل عليها، (فمخابرات بعض الدول تراقب تحركات المبشّرين ونشاطهم ومؤتمراتهم...) وفيها أنّ مسؤولي مراكز المراسلة (والمتابعة) الانجيلية، أشاروا خلال المؤتمر السنوي الذي يعقده اتحاد الكنائس الانجيلية حول التبشير وجود ٥٠،٠٠٠ منصّر أي مهتدٍ إلى المسيحية في السعودية (أنظر موقع Google، المسيحية في السعودية، فقرة برنامج في الصميم وهناك موقع إلكتروني لإحدى الكنائس الانجيلية وعنوانه World Christian database يشير إلى وجود ١٣ ألف مهتدٍ سعودي إلى المسيحية يتابعون تلمذتهم على موقع تلك الكنيسة...).

«ألتبشير الجديد»

لكي نُبشّر علينا أن نركّز نظرنا على يسوع، أول المبشّرين وأعظمهم، لنتعلم منه كيفيّة نقل بشرى الخلاص. ويختصر القديس متى على نحو رائع نشاط يسوع، هذا فيقول:

«وكان يسوع يسير في أنحاء الجليل (كلّه)، يعلّم في المجامع، ويعلن إنجيل الملكوت». (متى ٤/ ٢٣)

يعتقد البعض أن ممارسة حرف الطقوس. . . أو شهادة الحياة تكفي. . .

وأنه ليس من الضروري إعلان الكلمة. . . ونشرها. . .

ولكن الانجيل المقدس واضح:

كان يسوع يسير في «الجليل» بمدنه وقراه كلّها. . .

«**ليعلّم**» كلمة الله (التعليم الديني). . .

«**ويعلن** إنجيل الملكوت» (رسالة الخلاص)

وتؤكد البراءة البابَوية: «من أجل إعلان الانجيل» (في المقطع ٢٢)

أهمية نشر كلمة الله، فتقول:

«ألمثال الصالح (أي شهادة الحياة). . .

لا يكفي وحده ويجب أن ترافقه كلمة الحياة»

أي وجوب إعلان كلمة الله. . .

نعم،

لا يوجد نمو روحي. . . بدون كلمة الحياة. . .

فالانسان يولد للحياة الجديدة، من خلال زرع الكلمة،

«فأنتم وُلدتم ولادةً ثانيةً. . من زرع لا يفنى، وهو كلمة الله الحيّة»
(١ بطرس ١/ ٢٣)

وهي التي تولّد الإيمان، لأنّ:

«الإيمان من السماع، والسماع هو من التبشير بالمسيح»

(روما ١٠/ ١٧)

ومن ثمّ فإن الإيمان والنمو الروحي

يقود إلى الخلاص. . .

وأعتقد أن يسوع لم يغيّر سياسته الراعوية. . .

فنحن ورعايانا لسنا بحاجة إلى مؤتمرات راعوية

أو تدريب إضافي للكهنة لجذب الشبيبة

بقدر ما نحن بحاجة إلى الغوص في بحر الكتاب المقدس
وإنتشال اللآلئ الموجودة في كل نصٍ وحرف وقصةٍ منه...
وبعد أن نسهر على البحث عنها ونمتلئ منها ومن شروحها ونتجدّد بها...
يمكننا أن نضيء من حولنا وأن نملأ الآخرين...
فبالعودة إلى جواهر الانجيل المقدّس...
نعود ونتعلم ونستعمل الأساليب القديمة - الناجحة للكرازة بالانجيل...
ومن ثمّ نخرج إلى الناس...
لأن يسوع قال لنا: «إذهبوا وبشّروا»..
ولم يقل لنا: «إنتظروا أن يأتي الآخرون إليكم».
وهكذا تمتلئ من جديد شباك خدمتنا ومقاعد كنائسنا
بتلاميذ حقيقيين اختبروا الربّ في حياتهم ويجذبون آخرين إليه.

«رسـالة الـخـلاص»

«شاء الله أن يُخلّص المؤمنين به بحماقة البشارة (كريغما)» (١ كور ١/ ٢١)
لا شيء في العالم أعظم من إعلان رسالة الخلاص - الكريغما.
يقول كيكو أرغويو مؤسس جماعة الموعوظين الجدد الكاثوليكية:
«ما هو الكريغما؟
إنه إعلان خبر يتحقّق في كلّ مرّة يُعلن فيها.
وما الذي يتحقّق؟
الخلاص.

إذا أعلنت لكم رسالة الخلاص (الكريغما) هذا اليوم، يعود الخلاص ليتحقّق أمامكم.. فكلمة إنجيل تعني الخبر السار. والانجيل والكريغما هما الشيء نفسه... في إعلان الكريغما (تعني في العربية: رسالة الخلاص)، كلمة

مهمة جداً، إنها تقول: «ها هو الآن وقت رضى الله، وها هو الآن يوم الخلاص»... هذا «الآن» مهم جداً، لأنه يريد أن يقول إنه ما أن يُعلن الانجيل، (في حال قبول يسوع رباً على الإرادة (الأنا) وسيادته على الحياة) في تلك اللحظة نفسها يتحقّق الخلاص...»[٢٠٠].

ويُكمل هذا المبشّر كلامه فيقول: «لقد أعطانا الله طريقة غير متوقعة لكي نقوم من خلالها بالتبشير الجديد في طريق الموعوظين، وهي ال «ميسيو أو جنتس» أل «رسالة إلى الأمم» ويشير هذا التعبير إلى الرسالة في الأماكن التي لا وجود فيها للانجيل، وحيث يجب القيام «بالتبشير الأول»... أمام فكرة التبشير (أي إعلان رسالة الخلاص أو الكريغما).. تذكرنا أنّ **(البابا) يوحنا بولس الثاني كان قد أشار** خلال منتدى الأساقفة الأوروبيين عام ١٩٨٥ **إلى الطريق الذي يجب أن نسلكه عندما قال إنه «علينا العودة إلى النموذج الرسولي الأول»**.

ولكن ماذا يعني هذا؟ لكي نفهمه، يجب أن نعود إلى السنين الأول للمسيحيّة، ونتذكّر كيف بدأت بالانتشار... عندما اضطرّ المسيحيّون الأولون إلى الخروج من المجامع، وصاروا يجتمعون في البيوت لكي يتلقّوا تعليم الرسل، ولكسر الخبز وللصلوات، كما نقرأ ذلك في أعمال الرسل. هكذا تجتمع «الرسالات إلى الأمم» في البيوت، في وسط غير المعمّدين[٢٠١]، وذلك اقتداءً بهذا النموذج الأول. وتتشكّل كل منها من كاهن وثلاث أو أربع عائلات مع أولاد كثيرين، وهم يشكّلون معاً حضوراً للجماعة المسيحيّة، التي عليها أن تعطي، في وسط الوثنيين، تلك العلامات التي توصل إلى الإيمان... وتعزّينا رؤية (غير

---

(٢٠٠) كتاب الكريغما في الأكواخ مع الفقراء – كيكو أرغويّو – إختبار تبشير جديد: "الرسالة إلى الأمم" – تقديم الكاردينال أنطونيو كاينتزاس – منشورات المكتبة البولسية – ص ٩٢ – ٩٣.

(٢٠١) وإني على أتمّ الاستعداد لاعطاء خبرتي في هذا المجال، ولمساعدة كل كاهن أو علماني غيور على نشر كلمة الرب ويريد مساعدة من أجل تأسيس جماعات تلمذة وصلاة، وإن رقم هاتفي موجود في أول هذا الكتاب.

المسيحيين) كيف أنهم في استماعهم إلى «الكريغما»، إلى إعلان الخلاص يدخل فيهم الروح القدس، وينوّر داخلهم، ويقيم نفسهم (ونفسيتهم وحياتهم) من الموت ويتحوّلون إلى إنسان جديد. من ثم تظهر خليقة جديدة، إبن لله جديد، يكون صغيراً في البداية، ومحتاجاً إلى المساعدة لأنه ضعيف جداً. (أي يعود ويسقط في الخطايا التي كان يقع فيها، ولكن بوجود جماعة الصلاة والمواظبة على التعليم والصلاة الشخصية وكسر الخبز (القداس) والحياة المشتركة، يتغيّر المهتدي وينمو في الروح). وبعد ذلك، تبهجنا رؤية عرفان الجميل الذي يكنّونه لنا»[٢٠٢].

وأما المبشّر الأب إيميليانو تارديف المتعدّد المواهب الروحية (١ كورنتوس فصل ١٢ و١٤)، والذي كان قد نال من الروح القدس موهبة الشفاء وطرد الشياطين وموهبة اللغات وترجمتها، فإنه يقول عن الكريغما «رسالة الخلاص أو التبشير» ما يلي: «يتحدث الأب الأقدس (البابا يوحنا بولس الثاني يومها) بلا ملل عن «التبشير الجديد» فانطلاقاً من زيارته هايتي في العام ١٩٨٣ (حيث ينتشر السحر ويكثر محضّرو الأرواح)، حيث استخدم للمرّة الأولى هذه العبارة، ولم ينقطع عن الإلماع (التلميح) إلى هذا الموضوع. ولا تمرّ مناسبة تقريباً إلا ويرجع إليه...

إذ لا توجد بشارة أو خبر سار غير يسوع نفسه:

«فيسوع هو المخلّص الوحيد ولا وسيط سواه بين الله والناس[٢٠٣]».

والخبر السار هي شخص يسوع المسيح نفسه:

«هكذا أحبّ الله العالم حتى وهب ابنه الأوحد (الكلمة الذي تجسّد)، فلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. والله أرسل إبنه.. لا.. ليدين..

---

(٢٠٢) المرجع السابق – كتاب الكريغما – ص ١٣٠ – ١٣٣.

(٢٠٣) كتاب يسوع هو المسيح المنتظر – الأب إميليانو تارديف – طبعه فريدي متى – ص ١٣٧.

بل ليخلّص به. . . فمن يؤمن بالابن لا يُدان. ومَن لا يؤمن به دينَ، لأنه ما آمن بابن الله الأوحد (الرب والمخلّص)». (الانجيل بحسب يوحنا ٣/ ١٦ – ١٩)

<u>للمعرفة الروحية:</u>

«الموعوظيّة» أو «شريعة التدرّج الروحي. . .»

«هي فترة من الزمن، كان يخضع لها من يريد أن يعتمد (من معمودية) وينضم إلى الكنيسة في القرون الأولى للمسيحية. . . ويقول في ذلك المؤرخ الأب جان كمبي(٢٠٤): «في تلك الحقبة (أي القرون المسيحيّة)، كان إعداد الموعوظين قد يستغرق ثلاث سنوات. . وكان الإعداد للعماد يتضمن التعليم الديني (catechese)، وكان يهدف إلى مساعدة الموعوظين، الذين تيّقظوا «بإعلان رسالة الخلاص» (الكرازة Kerygme) (أي قبلوا الرب يسوع سيداً على حياتهم)».

«بحار التاريخ الهائجة وأعالي الصليب»

«التاريخ الثابت للإنسانية أن بحار التاريخ هائجة باستمرار، تحرّكها أمواج الثأر الدائمة والمتواصلة، تتعاقب الأجيال يظهر جيل ثم يختفي والناس يمجّدون باستمرار إله الانتقام والقتل. فالانسان لم يرتفع أبداً فوق شريعة الثأر "حياة بحياة وعيناً بعين وسنّاً بسن" ولكنّ يسوع من أعالي الصليب أعلن وبأبّهةٍ شريعة أرقى، وهي أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، صلّوا من أجل مضطهديكم، لأنّ فلسفة العين بالعين القديمة تترك كلّ إنسان أعمى وغير مبصر لطريقه، يسوع لم يسع إلى قهر الشر بالشر، بل غلب الشر بالخير، لقد صُلب بالبغض والجهل فردّ بالمحبّة، يا لروعة هذه الأمثولة. وحدها الرأفة باستطاعتها تدمير الشر، وحدها المحبّة باستطاعتها قهر البغض.

---

(٢٠٤) من كتابه "دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة" – دار المشرق – ص ٧١.

رسالة الخلاص (Kerygme)

والتعليم الديني (Catechese)

كما يقول الأب إميليانو تارديف (وهو مُبشّر قدير، وكاهن استخدمه الرب يسوع لشفاء عشرات آلاف المرضى والممسوسين)، عن التبشير ما يلي[٢٠٥]:

«للبشارة نسق منظم مع مراحل محدّدة وواضحة جيّداً. ففي المسيرة الكاملة للتبشير ينبغي لنا أن نميّز بوضوح بين مرحلتين متتاليتين، هما مختلفتان مع أنهما مترابطتان:

١ - «إعلان الخلاص» Kerygme: أي الإعلان عن شخص المسيح وتقديمه للمبشّرين.

٢ - «التعليم الشفهي للدين» Catechese : أي نقل وديعة الإيمان.

يتركز الكريغما أو التقديم الأول لشخص المسيح (لقشوريو التقوى، الوثنيين...) على المناداة بيسوع كرب ومخلّص... فالمقصود إذاً ليس عقيدة يجب تعلمها أو يتعيّن فهمها عقلياً، بل شخص (يسوع) يجب قبوله في حرية كسيّد على إرادتنا وقلبنا وأطباعنا وأن نؤمن به رباً ومخلصاً في حياتنا. في الكريغما (التبشير أو إعلان الخلاص) لا يجري الحديث عن شيء ما (تعليم أو خطبة..) بل عن شخص ما (أي عن يسوع). ومن دون هذا الأساس سيكون كل ما يبنى من فوق (أكان تعليم ديني أم مواظبة على طقوس أم لاهوت) كأنه مبني على الرمال. فأول التحديدات المعطاة للمسيحية (أي أول تسمية أعطيت للديانة المسيحية) لم يقل إنها فلسفة أو عقيدة (لاهوتية) أو تعليم

---

(٢٠٥) كتاب يسوع هو المسيح المنتظر - الأب إميليانو تارديف - ص ١٤٣ - ١٤٥.

(ديني)، بل قال إنها: «بشّروا بـ . . . «**الحياة الجديدة**» (أعمال الرسل ٥/ ٢٠).

يقودنا الكريغما إلى لقاء شخصي مع المسيح. . . وإلى اختبار خلاصه الذي يجعل منا خلائق جديدة بالإيمان والهداية (والاهتداء). إن خطأنا الكبير (والفظيع) في النهج الرعائي (أي في الخدمة الراعوية) للتبشير هو التشديد على تأمين التعليم الديني لأشخاص لم يولدوا بعد من جديد (أي لم يختبروا التوبة والتحوّل (Conversion) **من مواليد جسد إلى مواليد روح)(٢٠٦) كما أنهم ليسوا بتلاميذ. . .**

من أجل ذلك نرى أن يسوع عندما وصل إلى بيت يائير، الذي توفيت منذ قليل ابنته البالغة إثني عشر ربيعاً، أول ما فعله هو إقامتها من الموت، وبعد ذلك طلب أن يقدّم إليها الطعام. البعض يعتقدون أن تقديم الطعام (التعليم الديني بدون التبشير بالولادة الروحية والتوبة وتسليم الحياة للمسيح) هو الذي يبعث الموتى (روحياً)، ولكن هذا ليس صحيحاً. . .

كنا نعالج هذا الموضوع مع فريق من مرسلي اليابان. فعلّق واحدٌ منهم: «هذا هو النقطة المركزية لتبشير هؤلاء البلدان (اليابان، الصين، كوريا. . .). فإذا لم نعرّفهم قبل كل شيء إلى شخص المسيح (الكريغما) نكون قد حكمنا على أنفسنا بالعمل لقاء ثمر قليل».

ولكي يؤتي التعليم الديني ثماره يجب أن يكون مكانه دائماً بعد الاعلان عن يسوع وتقديمه إلى الناس. فلا بد من ولادة قبل النمو. والانسان يولد للحياة الجديدة بجواب الإيمان والاهتداء إلى «رسالة الخلاص».

---

(٢٠٦) راجع يوحنا ٣/ ٣ و٦، غلاطية ٥/ ١٩ – ٢١.

قصة روحية[٢٠٧]: «كان يوجد كاهن كثير النشاط والحيوية، ويحب تنظيم الليتورجيا بعناية بالغة (ويهتم بحرفية الطقوس). ولكن بما أنه كان يريد أن يفعل كل شيء بنفسه، كان ينسى دائماً أحد الترتيبات الطقسية. ذات يوم نظّم زياحاً للقربان المقدّس، وكان قد ركّز انتباهه على كل التفاصيل: الجوقة، صبيان المذبح، الأناشيد، الشموع، البخور، المذياع، النظام، إلخ.

بدأ الزياح في الموعد المحدّد. وبدأ الأرغن يعطي ألحانه الشجيّة والناس يرتّلون والجميع يمشون في نظام، فيما رائحة البخور الزكية تضفي جواً من الاحتفالية والخشوع.. (وبعد أن) أوشك الزياح على الانتهاء اقترب القندلفت من الكاهن ليكلّمه فأسكته لأن في الكلام خروجاً على مخططه وتنظيمه. غير أنه أمام إلحاح القندلفت سأل ما الأمر.

فقال له القندلفت: «لقد نسيت أن تضع القربانة في الشعاع...»

حينئذ فحص الكاهن بيت القربان للتأكد وعرف أنه فعلاً نسي وضع القربان في الشعاع.

ولم يستطع ضبط نفسه فهتف بصوت عالٍ: «إني أنسى دائماً التفصيل الصغير».

إن البعض تصوراتهم الرعائية هائلة، وخططهم لا غبار عليها،

ولكنهم ينسون «التفصيل الصغير»...

أي أنهم لا يعلنون «رسالة الخلاص»

ولا يقدّمون يسوع للمعمّدين أو للباحثين...

«لا ينطوي التعليم الديني على تقديم يسوع[٢٠٨] (الكريغما)..

---

(٢٠٧) كتاب يسوع هو المسيح المنتظر – الأب إميليانو تارديف – ص ١٤٣ – ١٤٥.

(٢٠٨) من أقوال الأب إميليانو تارديف – كتاب يسوع هو المسيح المنتظر ص ١٤٥ – ١٤٦.

وإنّ تعليم الناس دينهم (أو الديانة المسيحيّة) قبل تعريفهم إلى يسوع، موضوع دينهم، إنما هو نسيان «التفصيل الصغير». . .

عندنا في الكنيسة الكاثوليكية غنى التراث الإيماني وتعليم الرسل وحياة الأسرار. . إلخ.

لكن كل هذا إنما أساسه شخص يسوع . . .
فهو حجر الزاوية الذي يقوم عليه كل البنيان.
فإذا لم نبنِ فوق هذه الصخرة غير المتزعزعة
فإن أصغر عاصفة أو ريح هوجاء
تهدم البنيان فيكون سقوطه عظيماً».
«توبوا وليتعمّد كل واحدٍ منكم باسم يسوع المسيح،
فتُغفر خطاياكم ويُنعم عليكم بالروح القدس. . .
وكانوا يداومون على الاستماع إلى تعليم الرسل
وعلى الحياة المشتركة وكسر الخبز والصلاة. . .» (أعمال الرسل ٢/ ٣٨ و٤٢).

«ما أجمل أقدام المبشّرين، الحاملين بشارة الخلاص»

(اشعيا النبي ٥٢/ ٧)

إن الروح القدس ريح إلهي. . يهب حيث يشاء. . . ومهما حاولنا كخدّام وعلمانيين أن نضع له الأطر والسِكك التي من المفروض بحسب تفكيرنا البشري أن يسير بموجبها، فإنه يخالف توقعاتنا ويصحّح معلوماتنا ويرشدنا في الطريق التي يريدها لنا. . .

وطالما هناك نُقص خطير في عدد الخدّام والعلمانيين العاملين في مجال البشارة بين المسلمين. . فإنه سيستخدم القنوات التي تفتح المجال لعمله

وحتى ولو كانت صدئة وخاطئة[٢٠٩]، لكي يوصل «ماء إنجيله الطاهر» إلى كل النفوس العطشى إلى معرفة الإله الواحد الحقيقي، الثالوثي الصفات، الله والكلمة والروح... وسأكتفي في هذه الفقرة بثلاث شهادات حصلت معي بعد أحاديث روحيّة أدليت بها عن صحّة الكتاب المقدس وألوهيّة الثالوث الأقدس:

القصة الأولى: **«أنا مسيحي بالسرّ...»**

من المفارقات العجيبة - الغريبة أيضاً، أنني بعد مشاركتي في وسيلة إعلامية غير مسيحيّة[٢١٠]، تلقيت إتصالاً من رجل أعمالٍ ناجح ومعروف جداً، أعطاني عنوانه «وقد ارتحت إلى صوته»...، فقد زرت كُثراً ولكني تحاشيت لقاء آخرين.. لأنني من نبرة الصوت.. وبإطالة الحديث الهاتفي، كانت تظهر لي الخفايا، ويبين المستور..

ذهبت إلى منطقة سكنه، والتي كانت شوارعها مليئة بالصور الحزبية والاعلام الدينية وغيرها... وبناءً للمواصفات والشروح التي أعطاني إياها، حول شكل حيّه وطول البناية التي يملكها، ورغم أني قصدت منطقة لم أزرها بحياتي، إلا أنني قدت سيارتي متمهلاً سائلاً عن مكان الحي المقصود إلى أن وصلت إلى بنايته، فركنت سيارتي، وصعدت البناية الشاهقة، وقرعت باب شقته في الطابق الثالث، ليستقبلني رجل أبيض البشرة، كبير في السنّ، وصاحب وجه مستنير، مما دلّني على إيمانه بإلهٍ حيّ يعمل في وجدانه، وحياته...

وبعد أن أغلق الباب (كي لا يسمعه الجيران)، وصرنا في صالون شقته الشاسعة، بادرني بهذا القول الفجائي:

---

(٢٠٩) فنحن كبشر قنوات صدئة وخاطئة وناقصة. ولكننا مدعوون إلى تقديس ذواتنا ومن حولنا.

(٢١٠) بعد إحدى المقابلات تلقّيت أكثر من ١٥٠ إتصال هاتفيّ، وقد استلزمني وقت طويل لمهاتفة كل المتصلين، كما زرت قسماً منهم... على دفعات.. وخلال فترات زمنية متتابعة...

«إني مسلم بحسب الناس ولكني مسيحي بحسب الله. . .»

الغريب في الأمر، هو أنه كان يعرف (كل شيء) بأنه كان يوجد «سبعة أحرف» للقرآن. وهناك حديث نبوي مشهور يذكر ذلك وقد نقله السيوطي في كتابه الاتقان ١/ ٤٦ فيقول: «ورد حديث (نزول القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة. . . وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان (بن عفان) قال على المنبر: أذكر أن رجلاً سمع النبي ص قال:

«إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كافٍ».

وقد شرح معنى هذا الحديث النبي قائلاً:

«إن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة،

نحو أقبل وتعالى وهلمّ وعجّل وأسرع. .»

ويختم السيوطي بحثه بإظهار جهل العامّة من المسلمين لهذه الحقيقة الضائعة:

«وقد ظنّ كثير من العوام أن المراد بها (الأحرف السبعة)

القراءات السبع لمصحف عثمان وهو جهل قبيح» (١/ ٥١).

وقد تعرّض الإمام الطبري للسؤال المنطقي والبديهي، عن مصير الأحرف الستة الغير الموجودة والتي أقرّها رسول المسلمين فيقول:

«إن سبب اتلاف عثمان بن عفان للحروف الستة الأخرى للقرآن،

يعود إلى اختلاف المسلمين وإقتتالهم على أفضلية حرفهم،

من مكّة في محضر الخليفة إلى الثغور في معارك الفتح والقتال»(٢١١)

ويذكر الإمام الطبري في حاشية كتابه والتي تمّ اسقاطها في الطبعات الجديدة منه، ما فعله عثمان بن عفان

في الأحرف الستة الأخرى من القرآن الكريم فيقول:

«بعث عثمان في كل أفق بمصحف من تلك المصاحف وأمر بما سوى ذلك

---

(٢١١) كتاب جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير "أبي جعفر محمد بن جرير الطبري – المجلد الأول – ص ٦٢ – دار الحديث – القاهرة.

من القرآن أن يحرق أو يخرق»[٢١٢]

كما حدّثني عن فكر نسطوريوس:

«الذي قال بأن العذراء لم تلد كلمة الله، بل إنساناً بحتاً هو المسيح. وأنّ المسيح لم يكن إلهاً ولا إبناً لله، بل إنساناً أضحى في الثلاثين من عمره هيكلاً لكلمة الله، الذي انفصل عنه في أثناء صلبه. وبما أنّ المسيح كان هيكلاً فقط للكلمة الأزلي. لذا لم يكن هناك أيّ اتحاد بين المسيح والكلمة، بل كانت ذات كل منهما مستقلة عن الأخرى وكنتيجة لهذا الاستقلال، فقد كان للمسيح أقنومان وطبيعتان تفعل كل منهما ما يخصّها بمعزل عن الأخرى».

كما تحدّث عن تأثير «النسطورية» من خلال ورقة بن نوفل

على الفترة المكيّة..

إذ ورد في حديث نبوي لصحيح البخاري - جزء ١ ص ٢:

«ولم يلبث أن توفي ورقة ففتر الوحي..»

فبعد وفاة القس ورقة انقطع الوحي لمدة سنتين عن محمد...

ثمّ أخبرني بأنّ قسماً من القرآن نزل

على لسان عمر بن الخطاب:

«وهذا ما أشار إليه السيوطي[٢١٣] حين قال:

«إن رسول الله صلعم قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه..

وما نزل بالناس أمر قط، فقالوا وقال إلاّ نزل القرآن على نحو ما قال عمر».

كما يقول الشيخ السيوطي أيضاً:

«بأنّ يهودياً لقي عمر فقال له: «إنّ جبريل الذي يذكر صاحبكم عدوّ لنا».

فقال عمر (تلقائياً): «مَن كان عدوّاً لله وملائكته،

---

(٢١٢) كتاب جامع البيان في تفسير القرآن - المجلّد الأول - حاشية ص ٢٤.

(٢١٣) كتاب الاتقان في علوم القرآن - للشيخ الإمام العلاّمة أبي الفضل جلال الدين السيوطي - الباب العاشر - ص ٧٥ - ٧٦.

ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوّ للكافرين».

قال فنزلت على لسان عمر».

في الحقيقة كنت أصغي إلى حديثه الروحي الشيّق وليس العكس..

ثم طلب مني سلسلة كتبي الروحية..

وبعد زيارتي هذه تهاتفنا عدّة مرّات...

وإني أشهد بهذه الشهادة فرحاً

بعمل الروح القدس «الكتوم»

ولكن العجائبي والعظيم والأكبر من المتوقّع...

القصة الثانية: «سيدتان من البسطة تُحبّان مار شربل»

القديس شربل، الناسك في صومعته في حياته...

أعظم مبشّر بين المسلمين بعد مماته...

لقد هاتفتني سيّدة مسلمة طالبة مني معرفة الأكثر عن المسيحيّة سيما وأنها سمعت حديثاً تلفزيونياً لي عن توحيدنا لله، وألوهية الروح القدس وأنه ليس بملاك، وصحة الثالوث أي وجود صفات لله، ثم إتفقنا على اللقاء في باحة أوتيل الحبتور - سن الفيل وقد أتت مصطحبةً معها صديقة أخرى، وعلمت منهما أنهما يزوران سراً دير مار مارون - عنايا، حيث ضريح القديس شربل، ولكنهما لم يقرآ الانجيل يوماً، ولا يعرفان شيئاً عن المسيحيّة..

لقد كانتا متضايقتان من أجواء التعصب الديني والمذهبي، ومن أجواء الكراهية والتكفير، التي يعيشان في ظلالها. وأنا إلتقيت بهما عدّة مرّات، فهما جائعتان لكلمة الحياة، وأشهد بأنهما قبلتا «رسالة الخلاص» ألـ «Kerygme“. وإنهما يقرآن الآن يومياً كلمة الرب، وتشاهدان البرامج المسيحية...

وقد صارحتاني بأنه من الخطورة بمكان، لا بل من المستحيل أن أزورهما مع

بضعة تلاميذ آخرين في منزلهما الكائن في حيّ حيث التعصّب يملك خناجر باترة والعادات الدينية لها قمصان من حديد وأنا أهاتفهما. . .

ولكني تركتهما بين يديّ الرب يسوع، ليهتم بهما حيث يقيمان(٢١٤). .
كما اهتمّ منذ ٢٠٠٠ سنة تقريباً بالمرأة الكنعانية وابنتها، اللتين آمنتا به،
دون أن يكون (يسوع) إلى جانبهما مع جماعة التلاميذ. . .
لأن قريتهما الكنعانية «عابدة البعل». . . «الإله المزيف. . .»
كانت ستقتلهما وتقتل حتى المسيح نفسه فيما لو زارهما علناً. . .
لذا كان عمله فيهما ومعهما سرياً. . .
وإن قصص الاهتداءات التي قرأناها في الانجيل المقدس. . .
هي أكثر من واقعية. . وتكرّر نفسها. . آمين

القصة الثالثة: «معلمنا الإلهي يسوع

يهودي ببشريته، دقيق في حساباته»

بعد طباعتي للكتابين اللذين يتضمّنان مواضيع مسيحيّة وتاريخيّة عن نشوء الاسلام ومصير المسيحيّين في الجزيرة العربية خلال حروب الردّة، وعدت الرب في صلاتي بأنني مستعد[٢١٥] أن أرسل إلى بلاد اليمن والحجاز ٣٥٠ كتاب كتقدمة مني للجماعات المسيحية السريّة هناك، ولكني تابعت قائلاً له بشيء من الطرافة: «يا ربّ، أعلم أنّك يهوديّ ببشريّتك وذكيّ جداً، وأنّك ستدبّر بطرقك كيفيّة إيصالهم، لأنّي لا أعرف أحداً ممّن يعمل هناك حالياً على نشر كلمتك».

---

(٢١٤) (سيّما وأنّه جعل من قلبيهما "كنيسة لسكناه"، وأنهما يؤمنان به مخلصاً ورباً)

(٢١٥) ولا أقولها افتخاراً، وإنما شهادةً لقدرة الربّ يسوع على إيصال كلمته، رغم كل العوائق والاستحالات البشريّة. . .

طبعاً، أنا كنت أعلم قديماً بوجود بعض الجماعات المسيحية في تلك البلاد، من خلال مركز مريم للمراسلة (الذي عملت به ١٩٩٠ - ١٩٩٥) وكان لدي عدداً ممن تلمذتهم على العناوين البريدية التي راسلتها، ولكن ليس لي صلة مع أي من القسس أو العلمانيين الانجيليين العاملين في مجال البشارة في هذه البلاد حالياً.

الغريب في الأمر هو أنه بعد مرور ٤ أشهر على صلاتي هذه، وإثر حديث أجريته من خلال شاشة تلفزيون كاثوليكي ورغم أنّ مدير تلك المؤسسة لم يسمح حتى لمعد البرنامج بأن يضع رقم هاتفي على الشاشة، ولكن تشاء العناية الإلهية أن يشاهد تلك الحلقة عددٌ من المهتدين سراً في بلاد اليمن إلى المسيحية، فحادثوا القسس المسؤولين عنهم، طالبين منهم الحصول على كتبي، فبادر أحد القسس المقيمين في اليمن، إلى ركوب الطائرة والمجيء إلى لبنان، وقد حصل على رقم هاتفي من خلال أحد موزعي جمعية الكتاب المقدس، ليهاتفني هذا الأخير قائلاً لي: «أبونا جوزيف، لديّ مفاجأة لك، لقد أتى من اليمن قس يعمل بين المسلمين، وهو قد هدى أكثر من ٨٠ عائلة يمنية إلى المسيح. وقد سمع من أولاده الروحيين بمضمون كتبك وقد أعطوه إسمك. إنه معي الآن فهل يمكنك إستقبالنا في منزلك بعد حوالي الساعة؟ لقد وصل اليوم (وكان نهار الجمعة) ويريد المغادرة الاثنين صباحاً، لقد أتى خصّيصاً ليحصل على كتبك الروحيّة والتاريخيّة...

طبعاً فرحت بهذه المفاجأة الكبيرة (أو التفجر الجديد) التي قرأت فيها تدخلاً للروح القدس المؤتمن على البشارة المسيحيّة...

لقد وصلا بعد حوالي الساعة، وكنت أنا إكراماً لرسول المسيح الجريء الذي يخدم في اليمن رغم أجواء التعصّب والروح العشائريّة وصنوف الاضطهاد ضد المسيحيين بحيث أنّ المبشّر (أو المهتدي) هو شهيدً حي حتى ولو لم يقتل... لذا

سارعت وزوجتي وأعددنا طعاماً لنأكل سوية «لقمة محبة معهما» وقد أخبرني هذا القسيس على المائدة بطرق عملهم المبتكرة، ثم ودّعني مصطحباً معه «الكتب الروحية - النذر»، كما طلب مني أن أصوّر له الكتب على «الأقراص الإلكترونية »، لكي يتم إدخال هذه الأقراص بكل أمان إلى السعودية، لتصوّر هناك وتوزع أيضاً على الجماعات السريّة الأخرى...

في المساء أخبرت جماعة التلاميذ (الذين يتتلمذون معي) بما حصل فمجّدوا الله، وقام أحدهم وهو إختصاصي يعمل في مجال آلات التصوير الطباعي والفوتوغرافي بإتمام المطلوب خلال يومي العطلة الأسبوعية، ثم أوصلت للقس الكتب المطبوعة على الأقراص نهار الاثنين صباحاً، ليسافر في تمام الساعة الثانية من بعد الظهر عائداً إلى رعاية العابرين إلى المسيحية في تلك البلاد، وقد ودعته مصلياً للرب أن يملأ شباكه (وشباك غيره من الخدّام العاملين في تلك البلاد..) بالصيد الوفير...

وقد شكرني هذا القسيس على كرم الضيافة... والسخاء في التوزيع...
عدت إلى بيتي فرحاً لأنّ الربّ يسوع قد استجاب صلاتي...
وقائلاً في نفسي إن معلّمنا الالهي يسوع. يهودي ببشريّته،
فهو دقيق في حساباته، ناجح في أعماله،
وقادر أن يحقّق مشاريعه مهما علت الحواجز وكثرت العوائق...
فله السجود والعبادة والقدرة إلى الأبد.

سماع صوت الربّ...

«اليوم، إذا سمعتم صوت الله فلا تُقسّوا قلوبكم» (عبرانيين ٣/ ١٥)
«ها أنا واقف على الباب أدقّه (وأقرع)،
فإن سمِع أحدٌ صوتي وفتح الباب دخلت إليه» (رؤيا يوحنا ٣/ ٢٠)
أخي القارئ، أختي القارئة...

إن أهمّ سؤال يمكن أن يطرحه الانسان، هو:

«من أنت يا رب؟ ماذا (عليّ أن) أعمل؟» (أعمال الرسل ٢٢/ ٨ و ١٠)

ولو فتّشنا الكتب الدينية كافةً،

لوجدنا أن هناك هوة «سحيقة»

بين الله القدوس... والانسان الخاطئ...

وهذه الهوة لا تردم بالطقوس، ولا بالحج، ولا بكمية الصلوات،

ولا بجلد الأجساد أو بالتقدّمات وأعمال الصلاح...

فالخطيئة تحجب وَجه الله عن الانسان،

لأن قداسة الله وخطيئة الانسان متعارضتان...

فما هي خطّة الله الأزليّة لخلاص الانسان

والتي خُطّط لها...

عبر الأنبياء وعلى مرّ آلاف السنين

والكثير من الأجيال؟..

الله عالمٌ بخطايانا، وخطاياكَ (كِ)

وهو عارِف بحاجتنا وبحاجتكَ (كِ)

إلى خلاصٍ من لدنه تعالى وكفّارة...

فنَفس الانسان الأمارة بالسوء... تبعده عن الله القدوس..

وإحتياج الخاطئ إلى خلاص من الله...

يوجب ضرورة مجيء «ألمخلّص»...

وإن خلاص الله قد «أتى»:

فكلمة «يسوع»، «يه شُوع» بالعبرية..

تعني «ألله يخلص»...

ويكفي أن تفكّر أخي القارئ**...** أختي القارئة**..** معي،

في هذه الأسئلة المصيرية المُوجبة:

١ – لماذا تنبأ الأنبياء عبر آلاف السنوات عن مجيء الكلمة الأزلي إلى الكرة الأرضيّة؟

٢ – لماذا الكلمة الأزلي حلّ في جسد بشري؟

٣ – ولماذا كان في جسده قدّوس بلا عيب؟ فهل هو آدم الجديد؟

٤ – وهل جسده (آدم الجديد) هو الكفارة عن خطاياي وخطاياك، بشرط التوبة والإيمان به كَرب ومخلّص؟

٥ – هل قبولي للكلمة المتجسد يؤدي إلى مغفرة خطاياي، كون يسوع هو خطّة الله لردم الهوة التي تفصل الانسان الخاطئ عن الله القدوس!

إن شعرت (بعد تفكيرك بهذه الأسئلة) أن «روح الرب»
يناشد ضميرك بالتوبة وبقبول الكلمة المتجسد كرب ومخلّص لك. .
أرجوكَ، (أرجوكِ) صلِّ معي هذه الصلاة،
فالله لا يهمّه كثرة الصلاة أو تعدادها،
ولا يبالي بآثامك الماضية والحاضرة،
وإنّما يهمّه حالة قلبك وأن تسلّم له إرادتك:

<u>صلاة:</u> **يـــا كـلمـة الله الأزلـــي،**
يا ربيّ ومخلّصي، أشكرك لأنك بذلت ذاتك من أجلي،
يا فاديّ لقد متّ على الصليب من أجل خلاصي،
أردم يا ربّ بكفّارة جسدك الهوّة التي بيني وبين الله
إنّي أقبلك سيّداً على حياتي،
سُد على إرادتي وأطباعي، وغيّرني بقوّة روحك القدّوس
ونقّني بكلمة إنجيلك المُحيي،
أعدك أن أكون تلميذاً صالحاً،
وأن أتبعك إلى آخر الطريق. . . آمين.

